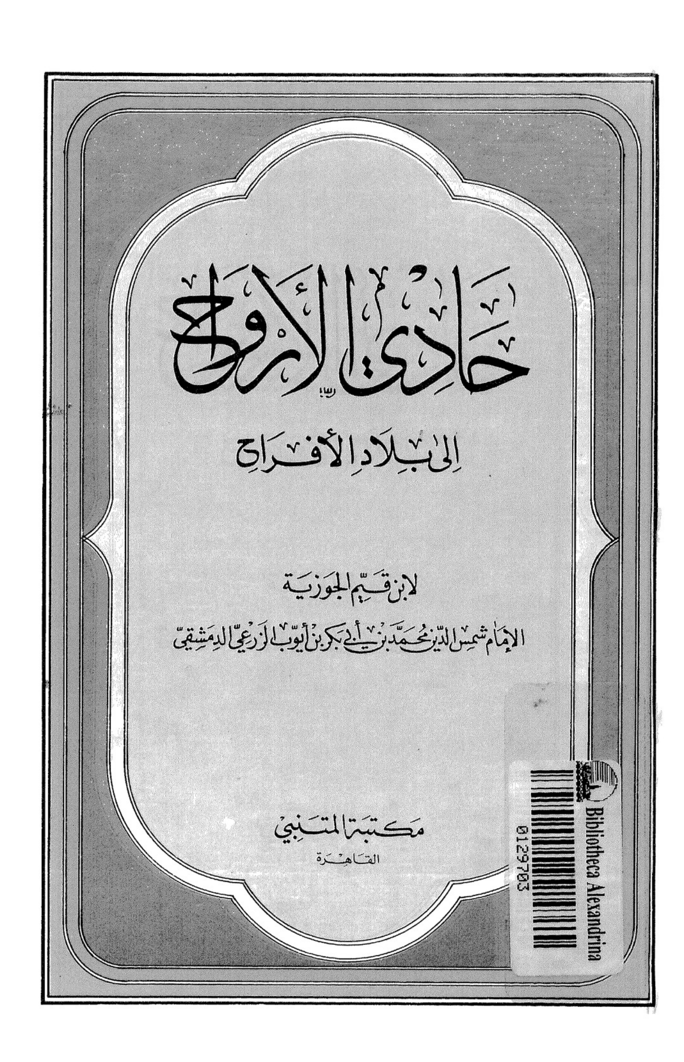

حادي الأرواح
إلى بلاد الأفراح
لابن قيم الجوزية
الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي
مكتبة المتنبي
القاهرة
Bibliotheca Alexandrina
0129703


حادي الأرواح
إلى بلاد الأفراح

بسم الله الرحمن الرحيم



إلى بلاد الأفراح

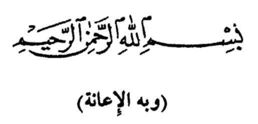
لابن قيم الجوزية

الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي

المتوفى سنة ٧٥١

مكتبة المتنبي

القاهرة



(وبه الإعانة)

(الحمد للّه) الذي جعل جنة الفردوس لعباده المؤمنين نزلاً * وييسرهم للأعمال الصالحة الموصلة إليها فلم يتخذوا سواها شغلاً * وسهل لهم طرقها فسلكوا السبيل الموصلة إليها ذللاً * خلقها لهم قبل أن يخلقهم، وأسكنهم إياها قبل أن يوجدهم وحفها بالمكاره، وأخرجهم إلى دار الامتحان ليبلوهم أيهم أحسن عملاً * وجعل ميعاد دخولها يوم القدوم عليه وضرب مدة الحياة الفانية دونه أجلاً، وأودعها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وجلالها لهم حتى عاينوها بعين البصيرة التي هي أنفذ من رؤية البصر، ويشرهم بما أعد لهم فيها على لسان رسوله فهي خير البشر، على لسان خير البشر، وكمل لهم البشرى بكونهم خالدين فيها لا يبغون عنها حولاً.

(والحمد للّه) فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلاً، وباعث الرسل مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على اللّه حجة بعد الرسل، إذ لم يخلقهم عبثاً، ولم يتركهم سدى، ولم يغفلهم هملاً، بل خلقهم لامر عظيم، وهيأهم لخطب جسيم، وعمر لهم دارين فهذه لمن أجاب الداعي ولم يبلغ سوى ربه الكريم بدلاً، وهذه لمن لم يجب دعوته ولم يرفع بها رأساً ولم يعلق بها أملاً.

(الحمد لله) الذي رضي من عباده باليسير من العمل، وتجاوز لهم عن الكثير من الزلل، وأفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمن الكتاب الذي كتبه أن رحمته سبقت غضبه، دعا عباده إلى دار السلام فعمهم بالدعوة حجة منه عليهم وعدلاً، وخص بالهداية والتوفيق من شاء نعمة ومنة وفضلاً. (فهذا) عدله وحكمته وهو العزيز الحكيم، وذلك فضله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم (وأشهد) أن

لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة عبده وابن عبده وابن أمته، ومن لا غنى به طرفة عين عن فضله ورحمته، ولا مطمع له في الفوز بالجنة والنجاة من النار إلا بعفوه ومغفرته. (وأشهد) أن محمداً عبده ورسوله. وأمينه على وحيه وخيرته من خلقه، أرسله رحمة للعالمين، وقدوة للعاملين ومحجة للسالكين، وحجة على العباد أجمعين، بعثه للإيمان منادياً، وإلى دار السلام داعياً، وللخليقة هادياً، ولكتابه تالياً، وفي مرضاته ساعياً، وبالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، أرسله على حين فترة من الرسل، فهدى به إلى أقوم الطرق، وأوضح السبل، وافترض على العباد طاعته ومحبته، وتعزيزه وتوقيره والقيام بحقوقه، وسد إلى الجنة جميع الطرق فلم يفتحها لأحد إلاّ من طريقه: فلو أتوا من كل طريق واستفتحوا من كل باب لما فتح لهم حتى يكونوا خلفه من الداخلين، وعلى منهاجه وطريقته من السالكين، (فسبحان) من شرح له صدره، ووضع عنه وزره، ورفع له ذكره، وجعل الذلة والصغار على من خالف أمره. فدعا إلى اللّه وإلى جنته سراً وجهاراً، وأذن بذلك بين أظهر الأمة ليلاً ونهاراً، إلى أن طلع فجر الإسلام، وأشرقت شمس الإيمان، وعلت كلمة الرحمن، وبطلت دعوة الشيطان، وأضاءت بنور رسالته الأرض بعد ظلماتها، وتألفت به القلوب بعد تفرقها وشتاتها، فأشرق وجه الدهر حسناً، وأصبح الظلام ضياء، واهتدى كل حيران، فلما كمل الله به دينه وأتم به نعمته، ونشر به على الخلائق رحمته، فبلغ رسالات ربه ونصح عباده، وجاهد في الله حق جهاده، خيره بين المقام في الدنيا وبين لقائه والقدوم عليه، فاختار لقاء ربه محبة له وشوقاً إليه، فاستأثر به ونقله إلى الرفيق الأعلى، والمحل الأرفع الأسنى، وقد ترك أمته على الواضحة الغراء، والمحجة البيضاء، فسلك أصحابه وأتباعه على أثره إلى جنات النعيم، وعدل الراغبون عن هديه إلى طرق الجحيم: **﴿ليهلك من هلك عن بينة ويحيي من حي عن بينة وإن الله لسميع عليم﴾**. (فصلى الله) وملائكته وأنبياؤه ورسله وعباده المؤمنون عليه كما وحد الله وعبده، وعرفنا به ودعا إليه.

(أما بعد) فإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق خلقه عبثاً ولم يتركهم سدى، بل خلقهم لأمر عظيم، وخطب جسيم، عرض على السموات والأرض والجبال فابين وأشفقن منه إشفاقاً ووجلاً، وقلن ربنا إن أمرتنا فسمعاً وطاعة وإن خيرتنا فعافيتك نريد لا نبغي بها بدلاً، وحمله الإنسان على ضعفه وعجزه عن حمله؛ وباء به على ظلمه

وجهله، فالقى أكثر الناس الحمل عن ظهورهم لشدة مؤنته عليهم وثقله، فصحبوا الدنيا صحبة الأنعام السائمة، لا ينظرون في معرفة موجدهم وحقه عليهم، ولا في المراد من إيجادهم وإخراجهم إلى هذه الدار التي هي طريق ومعبر إلى دار القرار، ولا يتفكرون في قلة مقامهم في الدنيا الفانية، وسرعة رحيلهم إلى الآخرة الباقية، فقد ملكهم باعث الحس، وغاب عنهم داعي العقل، وشملتهم الغفلة وغرتهم الأماني الباطلة، والخدع الكاذبة * فخدعهم طول الأمل * وران على قلوبهم سوء العمل، فهمهم في لذات الدنيا، وشهوات النفوس كيف حصلت حصولها، ومن أي وجه لاحتْ أخذوها، إذا بدا لهم حظ من الدنيا بآخرتهم طاروا إليه زرافات ووحدانا. وإذا عرض لهم عاجل من الدنيا لم يؤثروا عليه ثواباً من اللّه ولا رضوانا * يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون * نسوا اللّه فأنساهم أنفسهم أولئك هم الفاسقون. والعجب كل العجب من غفلة من لحظاته معدودة عليه * وكل نفس من أنفاسه لا قيمة له إذا ذهب لم يرجع إليه، فمطايا الليل والنهار تسرع به ولا يتفكر إلى أين يحمل، ويسار به أعظم من سير البريد، ولا يدري إلى أي الدارين ينقل، فإذا نزل به الموت االشد قلقه لخراب داته وذهاب لذاته. لا لما سبق من جناياته. وسلف من تفريطه، حيث لم يقدم لحياته. فإذا خطرت له خطرة عارضة لما خلق له دفعها باعتماده على العفو، وقال قد أنبئنا أنه هو الغفور الرحيم وكأنه لم ينبأ أن عذابه هو العذاب الأليم.

(فصل)

ولما علم الموفقون ما خلقوا له وما أريد بإيجادهم رفعوا رؤوسهم فإذا علم الجنة قد رفع لهم فشمروا إليه، وإذا صراطها المستقيم قد وضح لهم فاستقاموا عليه، ورأوا من أعظم الغبن بيع ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر في أبد لا يزول ولا ينفد بصبابة عيش إنما هو كأضغاث أحلام، أو كطيف زار في المنام، مشوب بالنغص، ممزوج بالغصص، إن أضحك قليلاً أبكى كثيراً، وإن سر يوماً أحزن شهوراً. آلامه تزيد على لذاته، وأحزانه أضعاف أضعاف مسراته، أوله مخاوف وآخره متالف، فيا عجباً من سفيه في صورة حليم، ومعتوه في مسلاخ عاقل، آثر الحظ الفاني الخسيس، على الحظ الباقي النفيس، وباع جنة عرضها السموات والأرض،

بسجن ضيق بين أرباب العاهات، والبليات، ومساكن طيبة في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار، بأعطان ضيقة آخرها الخراب والبوار، والبكار أعربا أترابا كأنهن الياقوت والمرجان، بقذرات دنسات سيآت الأخلاق مسافحات أو متخذات أخدان، وحوراً مقصورات في الخيام بخبيثات مسيبات بين الأنام، ولنهاراً من خمر لذة للشاربين، بشراب نجس مذهب للعقل مفسد للدنيا والدين، ولذة النظر إلى وجه العزيز الرحيم ، بالتمتع برؤية الوجه القبيح الذميم ، وسماع الخطاب من الرحمن ، بسماع المعازف والغناء والألحان ، والجلوس على منابر اللؤلؤ والياقوت والزبرجد يوم المزيد ، بالجلوس في مجالس الفسوق مع كل شيطان مريد ، ونداء المنادى يا أهل الجنة إن لكم أن تنعموا فلا تيأسوا، وتحيوا فلا تموتوا وتقيموا فلا تظعنوا، وتشبوا فلا تهرموا ، بغناء المغنين :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي ... متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هواك لذيذة ... حباً لذكرك فليلمني اللوم

وإنما يظهر الغبن الفاحش في هذا البيع يوم القيامة، وإنما يتبين سفه بائعه يوم الحسرة والندامة، إذا حشر المتقون إلى الرحمن وفداً، وسيق المجرمون إلى جهنم وردا، ونادى المنادي على رؤوس الأشهاد، ليعلمن أهل الموقف من أولى بالكرم من بين العباد، فلو توهم المتخلف عن هذه الرفقة ما أعد الله لهم من الإكرام، وأدخر لهم من الفضل والأنعام، وما أخفى لهم من قرة أعين لم يقع على مثلها بصر، ولا سمعته أذن ولا خطر على قلب بشر، لعلم أي بضاعة أضاع، وأنه لا خير له في حياته وهو معدود من سقط المتاع، وعلى أن القوم قد توسطوا ملكاً كبيراً لا تعتريه الآفات، ولا يلحقه الزوال، وفازوا بالنعيم المقيم في جوار الكبير المتعال، فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسرتها تحت الحجال يجلسون وعلى الفرش التي بطائنها من استبرق يتكئون، وبالحور العين يتنعمون، وبأنواع الثمار يتفكهون، يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون، وفاكهة مما يتخيرون، ولحم طير مما يشتهون، وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون؛ جزاء بما كانوا يعملون، يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون، تالله لقد نودي عليها في سوق الكساد، فما قلب ولا أسنام إلا أفراد من العباد، فواعجباً لها كيف نام طالبها، وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها،

وكيف طاب العيش في هذه الدار، بعد سماع أخبارها، وكيف قر للمشتاق القرار، دون معانقة أبكارها، وكيف قرت دونها أعين المشتاقين، وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين، وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين، وبأي شيء تعوضت عنها نفوس المعرضين.

(شعر في وصف الجنة)

وما ذاك إلا غيرة أن ينالها ... سوى كفئها والرب بالخلق أعلم
وإن حجبت عنا بكل كريهة ... وحفت بما يؤذي النفوس ويؤلم
فلله ما في حشوها من مسرة ... وأصناف لذات بها يتنعم
ولله برد العيش بين خيامها ... وروضاتها والثغر في الروض يبسم
ولله واديها الذي هو موعد المز ... يد لوفد الحب لو كنت منهم
بذيالك الوادي يهيم صبابة ... محب يرى أن الصبابة مغنم
ولله أفراح المحبين عندما ... يخاطبهم من فوقهم ويسلم
ولله أبصار ترى الله جهرة ... فلا الضيم يغشاها ولا هي تسأم
فيا نظرة اهدت إلى الوجه نضرة ... أمن بعدها يسلو المحب المتيم
ولله كم من خيرة إن تبسمت ... أضاء لها نور من الفجر أعظم
فيا لذة الأبصار إن هي أقبلت ... ويا لذة الأسماع حين تكلم
ويا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ... ويا خجلة الفجرين[1] حين تبسم
فإن كنت ذا قلب عليل بحبها ... فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما في لثمها عند ضمها ... وقد صار منها تحت جيدك معصم
تراه إذا أبدت له حسن وجهها ... يلذ به قبل الوصال وينعم
تفكه منها العين عند اجتلائها ... فواكه شتى طلعها ليس يعدم
عناقيد من كرم وتفاح جنة ... ورمان أغصان به القلب مغرم
وللورد ما قد ألبسته خدودها ... وللخمر ما قد ضمه الريق والفم
تقسم منها الحسن في جمع واحد ... فيا عجباً من واحد يتقسم
لها فرق شتى من الحسن أجمعت ... بجملتها إن السلو محرم
تذكر بالرحمن من هو ناظر ... فينطق بالتسبيح لا يتلعثم
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها ... تولى على أعقابه الجيش يهزم

فيـا خـاطب الحسنـاء إن كنت راغبـاً فهـذا زمـان المهـر فهـو المقـدم
ولمـا جـرى مـاء الشبـاب بغصنهـا تـيقـن حـقـاً أنـه لـيس يـهـرم
وكن مبغضـاً للخـائنـات لحبهـا فتحـظى بهـا من دونهـن وتنعـم
وكـن أيمـا ممـن سـواهـا فـإنهـا لمثلك في جنـات عـدن تـأيـم
وصم يـومـك الأدنى لعلك في غـد تفـوز بعيـد الفـطر والنـاس صـوم
وأقـدم ولا تقنـع بعيش منغص فمـا فـاز بـاللذات من ليس يقـدم
وإن ضـاقت الدنيا عليك بـأسرهـا ولـم يـك فيهـا منـزل لـك يعلم
فحي على جنـات عـدن فـأنهـا منـازلنـا الأولى وفيهـا المخيم
ولكننـا سبى العـدو فهـل تـرى نعـود إلى أوطـانـنـا ونـسـلم
وقـد زعمـوا أن الغـريب إذا نـأى وشـطت بـه أوطـانـه فهـو مغـرم
وأي اغتـراب فـوق غـربتنـا التي لهـا أضحت الأعـداء فينـا تحكم
وحي على السوق الذي فيه يلتقي الـ ـمحبـون ذاك السـوق للقـوم يعلم
فمـا شئت خـذ منـه بـلا ثمن لـه فقـد أسلف التجـار فيـه وأسلمـوا
وحي على يـوم المزيـد الـذي بـه زيـارة رب العـرش فـاليـوم مـوسم
وحـي عـلى واد هـنـالـك أفـيـح وتـربتـه من إذفـر المسـك أعـظم
منـابـر من نـور هـنـاك وفضـة ومـن خـالص العقيـان لا تنقـصم
وكثبـان مسـك قـد جعلن مقـاعـداً لمن دون أصحـاب المنـابـر يعلم
فبينـا همـو في عيشهـم وسـرورهم وأرزاقهـم تجـري عليهـم وتقسـم
ذاهـم بنـور سـاطـع أشـرقـت لـه بـأقـطارهـا الجنـات لا يتـوهـم
تجلى لهم رب السمـوات جهـرة فيضحـك فـوق العـرش ثـم يكلم
سـلام عليكـم يسمعـون جميعهم بـآذانـهـم تـسـليـمـه إذ يـسـلم
يقـول سلوني مـا اشتهيتم فكـل مـا تـريـدون عنـدي انني أنـا أرحـم
فقالوا جميعاً نحن نسألك الرضا فـأنت الـذي تـولى الجميل وتـرحم
فيعطيهم هـذا ويشهـد جمعهم عليـه تعـالى اللّه فـاللّه أكـرم
فيـا بـائعـاً هـذا ببخس معجـل كـأنك لا تـدري، بلى سـوف تعلم
فـإن كنت لا تـدري فتلك مصيبـة وإن كنت تـدري فـالمصيبـة أعـظم

(فصل)

وهـذا كتاب اجتهـدت في جمعه وتـرتيبه * وتفصيله وتبـويبه، فهـو للمحزون سلوة. وللمشتاق إلى تلك العرائس جلوة. محرك للقلوب. إلى أجل مطلوب. وحاد للنفوس. إلى مجاورة الملك القدوس. ممتع لقارئه. مشـوق للناظـر فيه. لا يسـأمه الجليس. ولا يمله الأنيس. مشتمل من بدائع الفوائد. وفرائد القلائد. على من لعل المجتهد في الطلب. لا يظفر به فيما سـواه من الكتب مع تضمينه لجملة كثيرة من الأحاديث المرفوعات. والآثار الموقوفات. والأسـرار المودعـة في كثير من الآيـات، والنكت البديعات. وإيضـاح كثير من المشكـلات. والتنبيه على أصـول من الأسماء والصفات. إذا نظر فيه الناظر زاده إيماناً. وجلى عليه الجنة حتى كأنه يشاهدها عياناً. فهو مثير ساكن العزمات إلى روضات الجنات. وباعث الهمم العليـات. إلى العيش الهني في تلك الغرفات (وسميته حادي الأرواح. إلى بلاد الأفراح) فإنه اسم يـطابق مسماه. ولفظ وافق معناه. والله يعلم ما قصدت. وما بجمعه وتأليفه أردت. فهو عند لسان كل عبد وقلبه. وهو المطلع على نيته وكسبه. وكان جل المقصود منه بشارة أهل السنة. بما أعد الله لهم في الجنة. فأنهم المستحقون للبشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة. ونعم الله عليهم باطنة وظاهرة. وهم أولياء الرسول وحزبه. ومن خـرج عن سنته فهم أعداؤه وحربه. لا تأخذهم في نصرة سنته ملامة اللوام، ولا يتركون ما صح عنه لقول أحد من الأنام. والسنه أجل في صدورهم من أن يقدموا عليها رأياً فقهياً. أو بحثاً جدلياً، أو خيالاً صوفياً، أو تناقضاً كلامياً، أو قياساً فلسفياً، أو حكماً سيـاسياً. فمن قدم عليها شيئاً من ذلك فبـاب الصواب عليه مسدود. وهـو عن طريق الـرشاد مصدود. فيا أيها الناظر فيه لك غنمه وعلى مؤلفه غرمه. ولك صفوه. وعليه كـدره. وهذه بضاعته المزجاة تعرض عليك. وبنات أفكـاره تزف إليـك. فإن صـادفت كفؤاً كـريماً لم تعـدم منه إمسـاكاً بمعـروف أو تسريحـاً بـإحسـان. وإن كـان غيـره فـالله المستعـان. فما كـان من صـواب فمن الـواحـد المنـان . ومـا كـان من خـطأ فمني ومن الشيـطان . والله بـريء منــه ورسـولــه وقـد قسمت الكتـاب سبعين بـابـاً (الباب الأول) في بيان وجـود الجنة الآن (البـاب الثاني) في اختـلاف الناس في الجنـة التي أسكنها آدم هـل هي جنـة الخلد أو جنـة في الأرض (البـاب الثـالث) في سيـاق حجج من ذهب إلى أنهـا جنة الخلد (البـاب الرابـع) في سيـاق حجج

الطائفة التي قالت أنها في الأرض (الباب الخامس) في جواب أرباب هذا القول لمن نازعهم (الباب السادس) في جواب من زعم أنها جنة الخلد عن حجج منازعيهم (الباب السابع) في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد (الباب الثامن) في الجواب عما احتجوا به من الشبه (الباب التاسع) في ذكر عدد أبواب الجنة (الباب العاشر) في ذكر سعة أبوابها (الباب الحادي عشر) في صفة أبوابها (الباب الثاني عشر) في ذكر مسافة ما بين الباب والباب (الباب الثالث عشر) في مكان الجنة وأين هي (الباب الرابع عشر) في مفتاح الجنة (الباب الخامس عشر) في توقيع الجنة ومنشورها الذي يكتب لأهلها (الباب السادس عشر) في بيان توّحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد (الباب السابع عشر) في درجات الجنة (الباب الثامن عشر) في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة (الباب التاسع عشر) في عرض الرب تعالى سلعته على عباده وثمنها الذي طلبه منهم، وعقد التبايع الذي وقع بين المتبايعين وبين ربهم الخ (الباب العشرون) في طلب الجنة أهلها من ربهم. وشفاعتها فيهم وطلبهم لها (الباب الحادي والعشرون) في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقها (الباب الثاني والعشرون) في عدد الجنات وأنواعها (الباب الثالث والعشرون) في خلق الرب تعالى لبعضها بيده (الباب الرابع والعشرون) في ذكر بوابيها وخزنتها (الباب الخامس والعشرون) في ذكر أول من يقرع باب الجنة (الباب السادس والعشرون) في ذكر أول الأمم دخولاً الجنة (الباب السابع والعشرون) في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم (الباب الثامن والعشرون) في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة (الباب التاسع والعشرون) في ذكر أصناف أهل الجنة التي ضمنت لهم دون غيرهم (الباب الثلاثون) في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ (الباب الحادي والثلاثون) في أن النساء في الجنة والنار أكثر من الرجال (الباب الثاني والثلاثون) فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم (الباب الثالث والثلاثون) في ذكر حثيات الرب عز وجل الذين يدخلهم الجنة (الباب الرابع والثلاثون) في ذكر تربة الجنة وطينها وخصبائها ونباتها (الباب الخامس والثلاثون) في ذكر نورها وبياضها (الباب السادس والثلاثون) في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها وخيامها (الباب السابع والثلاثون) في ذكر معرفتهم بمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك (الباب الثامن والثلاثون) في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون به عند دخولها (الباب التاسع والثلاثون) في ذكر صفة أهل الجنة في

خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقادير أسنانهم (الباب الأربعون) في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة وأدناهم (الباب الحادي والأربعون) في تحفة أهل الجنة أول ما يدخلونها (الباب الثاني والأربعون) في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم يوجد (الباب الثالث والأربعون) في الآذان الذي يؤذن به المؤمن فيها (الباب الرابع والأربعون) في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها (الباب الخامس والأربعون) في ذكر ثمارها وتعدد أنواعها وصفاتها (الباب السادس والأربعون) في ذكر الزرع في الجنة (الباب السابع والأربعون) في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه (الباب الثامن والأربعون) في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه (الباب التاسع والأربعون) في ذكر آنيتهم التي يأكلون ويشربون فيها وأجناسها وصفاتها (الباب الخمسون) في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم (الباب الحادي والخمسون) في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم (الباب الثاني والخمسون) في ذكر خدام أهل الجنة وغلمانهم (الباب الثالث والخمسون) في ذكر نساء أهل الجنة وسراريهم وأصنافهن وأوصافهن وحالهن الظاهر والباطن وجمالهن (الباب الرابع والخمسون) في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن (الباب الخامس والخمسون) في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك، ونزاهته عن المذي والمني (الباب السادس والخمسون) في اختلاف الناس هل من الجنة حمل وولادة أم لا؟ وحجة الفريقين (الباب السابع والخمسون) في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين (الباب الثامن والخمسون) في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم (الباب التاسع والخمسون) في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً ومذاكرتهم ما كان بينهم في الدنيا (الباب الستون) في ذكر سوق الجنة وما أعد الله فيها لأهلها (الباب الحادي والستون) في زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى (الباب الثاني والستون) في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة (الباب الثالث والستون) في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها (الباب الرابع والستون) في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال، وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها (الباب الخامس والستون) في رؤية أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكاً إليهم سبحانه لا إله إلا هو (الباب السادس والستون) في تكليمه سبحانه لأهل

الجنة وخطا به لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم (الباب السابع والستون) في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد (الباب الثامن والستون) في ذكر آخر أهـل الجنة دخـولاً إليها (الباب التاسع والستون) وهو باب جامع فيه فصول منثورة (الباب السبعون) في المستحق لهذه البشارة دون غيره والله سبحانه وتعالى هو المسئول أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، مدنياً لمؤلفه وقارئه وكاتبه من جنات النعيم * وأن يجعله حجة له ولا يجعله حجة عليه، وأن ينفع به من انتهى إليه، إنه خير مسؤول، وأكرم مأمول، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الباب الأول

في بيان وجود الجنة الآن

لم يزل أصحاب رسول اللّه ﷺ والتابعون وتابعوهم وأهل السنة والحديث قاطبة وفقهاء الإسلام وأهل التصوف والزهد على اعتقاد ذلك وإثباته مستندين في ذلك إلى نصوص الكتاب والسنة وما علم بالضرورة من أخبار الرسل كلهم من أولهم إلى آخرهم، فأنهم دعوا الأمم إليها، وأخبروا بها إلى أن نبغت نابغة من القدرية والمعتزلة فأنكرت أن تكون مخلوقة الآن، وقالت بل اللّه ينشئها يوم القيامة، وحملهم على ذلك أصلهم الفاسد الذي وضعوا به شريعة فيما يفعله اللّه، وأنه ينبغي له أن يفعل كذا ولا ينبغي له أن يفعل كذا، وقاسوه على خلقه في أفعالهم فهم مشبهة في الأفعال، ودخل التجهم فيهم فصاروا مع ذلك معطلة في الصفات، وقالوا خلق الجنة قبل الجزاء عبث فإنها تصير معطلة مدداً متطاولة ليس فيها سكانها، قالوا ومن المعلوم أن ملكاً لو اتخذ داراً وأعد فيها ألوان الأطعمة والآلات والمصالح وعطلها من الناس ولم يمكنهم من دخولها قروناً متطاولة لم يكن ما فعله واقعاً على وجه الحكمة، ووجد العقلاء سبيلاً إلى الاعتراض عليه، فحجروا على الرب تعالى بعقولهم الفاسدة، وآرائهم الباطلة!! وشبعوا أفعاله بأفعالهم وردوا من النصوص ما خالف هذه الشريعة الباطلة التي وضعوها للرب أو حرفوها عن مواضعها وضللوا وبدعوا من خالفهم فيها، والتزموا فيها لوازم أضحكوا عليهم فيها العقلاء ولهذا يذكر السلف في عقائدهم أن الجنة والنار مخلوقتان ويذكر من صنف في المقالات أن هذه مقالة أهل السنة والحديث قاطبة لا يختلفون فيها (قال) أبو الحسن الأشعري في كتاب مقالات الإسلاميين واختلاف المضلين، جملة ما عليه أصحاب الحديث وأهل السنة الإقرار باللّه وملائكته وكتبه ورسله وما جاء من عند اللّه وما رواه الثقات عن رسول اللّه ﷺ لا يردون من ذلك شيئاً وأن اللّه تعالى إله واحد فرد صمد لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. وأن محمداً عبده ورسوله

وأن الجنة حق وأن النار حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن اللّه يبعث من في القبور، وأن اللّه تعالى على عرشه، كما قال ﴿**الرحمن على العرش استوى**﴾ وأن له يدين بلا كيف كما قال ﴿**خلقت بيدي**﴾ وكما قال ﴿**بل يداه مبسوطتان**﴾ وأن له عينين بلا كيف كما قال ﴿**تجري بأعيننا**﴾ وأن له وجهاً كما قال ﴿**ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام**﴾ وأن أسماء اللّه تعالى لا يقال إنها غير اللّه كما قالت المعتزلة والخوارج وأقروا أن للّه علماً كما قال ﴿**أنزله بعلمه**﴾ وكما قال ﴿**وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا بعلمه**﴾ وأثبتوا السمع والبصر ولم ينفوا ذلك عن اللّه كما تعتقد المعتزلة، وأثبتوا للّه القوة كما قال: ﴿**أو لم يروا أن اللّه خلقهم هو أشد منهم قوة**﴾ وقالوا إنه لا يكون في الأرض من خير ولا شر إلا ما شاء اللّه وأن الأشياء تكون بمشيئة اللّه كما قال تعالى ﴿**وما تشاؤن إلا أن يشاء اللّه**﴾ وكما قال المسلمون: ما شاء اللّه كان وما لم يشأ لم يكن (وقالوا) إن أحداً لا يستطيع أن يفعل شيئاً قبل أن يفعله أو يكون أحد يقدر أن يخرج عن علم اللّه أو أن يفعل شيئاً علم الله أنه لا يفعله، وأقروا أنه لا خالق إلا اللّه تعالى، وأن أفعال العباد يخلقها الله تعالى وأن العباد لا يقدرون أن يخلقوا شيئاً، وأن الله تعالى وفق المؤمنين لطاعته، وخذل الكافرين ولطف بالمؤمنين ونظر لهم ولصلحهم وهداهم ولم يلطف بالكافرين ولا أصلحهم ولا هداهم ولو أصلحهم لكانوا صالحين، ولو هداهم لكانوا مهتدين، وأن الله تعالى يقدر أن يصلح الكافرين ويلطف بهم حتى يكونوا مؤمنين، ولكنه أراد أن يكونوا كافرين كما علم وخذلهم وأضلهم وطبع على قلوبهم، وأن الخير والشر بقضاء الله وقدره، ويؤمنون بقضاء الله وقدره خيره وشره حلوه ومره، ويؤمنون أنهم لا يملكون لأنفسهم نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء الله كما قال[1]، ويلجئون أمرهم إلى الله، ويثبتون الحاجة إلى الله في كل وقت والفقر إلى الله في كل حال، ويقولون إن القرآن كلام اللّه غير مخلوق، والكلام في الوقف واللفظ فمن قال باللفظ أو بالوقف فهو مبتدع عندهم، لا يقال اللفظ بالقرآن مخلوق ولا يقال غير مخلوق، ويقولون إن اللّه تعالى يرى بالأبصار يوم القيامة كما يرى القمر ليلة البدر، ويراه المؤمنون ولا يراه الكافرون، لأنهم عن اللّه تعالى محجوبون، قال اللّه تعالى: ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ وأن موسى عليه السلام سأل اللّه سبحانه وتعالى الرؤية في الدنيا، وإن اللّه تعالى تجلى للجبل فجعله دكاً، فأعلمه

---

(١) وهو قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضراً إلا ما شاء اللّه.

بذلك أنه لا يراه في الدنيا بل يراه في الآخرة، ولا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب يرتكبه كنحو الزنا والسرقة وما أشبه ذلك من الكبائر، وهم بما معهم من الإيمان مؤمنون وإن ارتكبوا الكبائر والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالقدر خيره وشره حلوه ومره، وأن ما أخطأهم لم يكن ليصيبهم وأن ما أصابهم لم يكن ليخطئهم، والإسلام هو أن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله كما جاء في الحديث والإسلام عندهم غير الإيمان، ويقرون بأن الله مقلب القلوب، ويقرون بشفاعة رسول الله ﷺ وأنها لأهل الكبائر من أمته، وبعذاب القبر وأن الحوض حق والصراط حق والبعث بعد الموت حق، والمحاسبة من الله لعباده حق، والوقوف بين يدي الله تعالى حق ويقرون بأن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص، ولا يقولون مخلوق ولا غير مخلوق ويقولون أسماء الله هي الله تعالى ولا يشهدون على أحد من أهل الكبائر بالنار ولا يحكمون بالجنة لأحد من الموحدين حتى يكون الله تعالى ينزلهم حيث شاء، ويقولون أمرهم إلى الله إن شاء عذبهم وإن شاء غفر لهم، ويؤمنون بأن الله تعالى يخرج قوماً من الموحدين من النار على ما جاءت به الروايات عن رسول الله ﷺ، وينكرون الجدال والمراء في الدين والخصومة في القدر والمناظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم بالتسليم للروايات الصحيحة، ولما جاءت به الآثار التي رواها الثقات عدلاً عن عدل حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ ولا يقولون كيف ولا لم؟ لأن ذلك بدعة ويقولون إن الله تعالى لم يأمر بالشر، بل نهى عنه وأمر بالخير، ولم يرضَ بالشرك وإن كان مريداً له، ويعرفون حق السلف الذين اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ، ويأخذون بفضائلهم ويمسكون عما شجر بينهم صغيرهم وكبيرهم، ويقدمون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علياً رضي الله عنهم ويقرون بأنهم الخلفاء الراشدون المهديون، وأنهم أفضل الناس كلهم بعد رسول الله ﷺ ويصدقون بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ «أن الله ينزل إلى السماء الدنيا فيقول هل من مستغفر؟» كما جاء في الحديث عن رسول الله ﷺ ويأخذون بالكتاب والسنة كما قال تعالى ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول﴾ ويرون أتباع من سلف من أئمة الدين وأن لا يتبعوا في دينهم ما لم يأذن به الله ويقرون أن الله تعالى يجيء يوم القيامة كما قال ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾ وأن الله، تعالى يقرب من خلقه كيف شاء كما قال ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ ويرون

العيدين والجمعة والجماعة خلف كل إمام بر أو فاجر، ويثبتون المسح على الخفين سنة ويرونه في الحضر والسفر، ويثبتون فرض الجهاد للمشركين منذ بعث اللّه نبيه ﷺ إلى آخر عصابة تقاتل الدجال وبعد ذلك يرون الدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح وأن لا يخرج عليهم بالسيف وأن لا يقاتلوا في الفتنة، ويصدقون بخروج الدجال وأن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام يقتله، ويؤمنون بمنكر ونكير والمعراج والرؤيا في المنام، وأن الدعاء لموتى المسلمين والصدقة عنهم بعد موتهم تصل إليهم، ويصدقون أن في الدنيا سحرة وأن الساحر كافر كما قال اللّه تعالى وأن السحر كائن موجود في الدنيا ويرون الصلاة على كل من مات من أهل القبلة مؤمنهم وفاجرهم، ويقرون أن الجنة والنار مخلوقتان وأن من مات مات بأجله، وكذلك كل من قتل قتل بأجله، وأن الأرزاق من قبل اللّه تعالى يرزقها عباده حلالاً كانت أو حراماً، وأن الشيطان يوسوس للإنسان ويشككه ويخبطه وأن الصالحين قد يجوز أن يخصهم اللّه تعالى بآيات تظهر عليهم، وأن السنة لا تنسخ بالقرآن، وأن الأطفال أمرهم إلى اللّه إن شاء عذبهم، وإن شاء فعل بهم ما أراد وأن اللّه تعالى عالم ما العباد عاملون، وكتب أن ذلك يكون وأن الأمور بيد اللّه تعالى ويرون الصبر على حكم اللّه والأخذ بما أمر اللّه تعالى والانتهاء عمى نهى اللّه عنه، وإخلاص العمل للّه والنصيحة للمسلمين ويدينون بعبادة اللّه في العابدين والنصيحة لجماعة المسلمين، واجتناب الكبائر والزنا وقول الزور والمعصية والفخر والكبر والازدراء على الناس والعجب، ويرون مجانبة كل داع إلى بدعة، والتشاغل بقراءة القرآن وكتابة الآثار والنظر في الفقه مع التواضع والاستكانة وحسن الخلق وبذل المعروف وكف الأذى وترك الغيبة والنميمة والسعاية وتفقد المآكل والمشارب فهذه جملة ما يأمرون به ويستعملونه ويرونه وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول وإليه نذهب وماتوفيقنا إلا بالله وهو حسبنا ونعم الوكيل، وبه نستعين وعليه نتوكل وإليه المصير، والمقصود حكايته عن جميع أهل السنة والحديث أن الجنة والنار مخلوقتان وسقنا جملة كلامه ليكون الكتاب مؤسساً على معرفة من يستحق البشارة المذكورة وأن أهل هذه المقالة هم أهلها وبالله التوفيق * وقد دل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى﴾ وقد رأى النبي ﷺ سدرة المنتهى ورأى عندها جنة المأوى كما في الصحيحين من حديث أنس في قصة الإسراء وفي آخره «ثم انطلق بي جبريل حتى انتهى إلى سدرة

المنتهى فغشيها ألوان لا أدري ما هي؟ قال ثم دخلت الجنة فإذا فيها جنابذ اللؤلؤ وإذا ترابها المسك وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة؟ فمن أهل الجنة وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك اللّٰه تعالى يوم القيامة» وفي المسند وصحيح الحاكم وابن حبان وغيرهم من حديث البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول اللّٰه ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ـ فذكر الحديث بطوله: وفيه، فينادي مناد من السماء إن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها» وذكر الحديث. وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم قال فيأتيه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل؟ قال فأما المؤمن فيقول أشهد أنه عبد اللّٰه ورسوله، قال فيقولان له انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك اللّٰه به مقعداً في الجنة، قال نبي اللّٰه ﷺ فيراهما جميعاً». وفي صحيح أبي عوانة الاسفرايني وسنن أبي داود من حديث البراء بن عازب الطويل في قبض الروح «ثم يفتح له باب من الجنة وباب من النار فيقال هذا كان منزلك لو عصيت اللّٰه تعالى أبدلك اللّٰه به هذا فإذا رأى ما في الجنة قال رب عجل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلي ومالي فيقال أسكن» وفي مسند البزار وغيره من حديث أبي سعيد قال: «شهدنا مع النبي ﷺ جنازة فقال رسول اللّٰه ﷺ أيها الناس أن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا دفن الإنسان وتفرق عنه أصحابه جاءه ملك في يده مطراق فأقعده فقال ما تقول في هذا الرجل؟ يعني محمداً ﷺ، فإن كان مؤمناً قال أشهد أن لا إله إلا اللّٰه وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولون له صدقت ثم يفتح له باب إلى النار فيقولون هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذ آمنت به فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إلى الجنة فيقولون له اسكن» وذكر الحديث وفي صحيح مسلم عن عائشة قالت: «خسفت الشمس في حياة رسول اللّٰه ﷺ فذكرت الحديث إلى أن قالت ثم قام فخطب الناس فأثنى على اللّٰه بما هو أهله ثم قال إن الشمس والقمر آيتان من آيات اللّٰه تعالى لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتموهما فافزعوا إلى الصلاة» وقال رسول اللّٰه ﷺ: «رأيت في مقامي هذا كل شيء وعدتم، حتى لقد رأيتني آخذ قطفاً من الجنة حين رأيتموني أقدم ولقد رأيت

جهنم يحطم بعضها بعضاً حين رأيتموني تأخرت». وفي الصحيحين واللفظ للبخاري عن عبد الله بن عباس قال: «انخسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فذكر الحديث وفيه فقال أن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فإذا رأيتم ذلك فاذكروا الله، فقالوا يا رسول الله رأيناك تناولت شيئاً في مقامك ثم رأيناك تكعكعت: فقال إني رأيت الجنة وتناولت عنقوداً ولو أصبته لاكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار لم أر منظراً كاليوم قط أفظع، ورأيت أكثر أهلها النساء؛ قالوا بم يا رسول الله؟ قال بكفرهن قيل أيكفرن بالله؟ قال يكفرن العشير ويكفرن الإحسان، لو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً قالت ما رأيت منك خيراً قط» وفي صحيح البخاري عن أسماء بنت أبي بكر عن النبي ﷺ في صلاة الخسوف قال «قد دنت مني الجنة حتى لو اجترأت عليها لجئتكم بقطاف من قطافها، ودنت مني النار حتى قلت أي رب وأنا معهم فإذا امرأة حسبت أنه قال تخدشها هرة قلت ما شأن هذه؟ قالوا حبستها حتى ماتت جوعاً لا أطعمتها ولا أرسلتها تأكل» وفي صحيح مسلم من حديث جابر في هذه القصة قال: «عرض علي كل شيء تولجونه فعرضت على الجنة حتى تناولت منها قطفاً فقصرت يدي عنه، وعرضت على النار فرأيت فيها امرأة من بني إسرائيل تعذب في هرة لها» وذكر الحديث. وفي صحيح مسلم عنه في هذا الحديث: «ما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه، لقد جيء بالنار وذلك حين رأيتموني تأخرت مخافة أن يصيبني من لفحها، وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قصبه في النار وكان يسرق الحاج بمحجنه فإذا فطن له قال إنما تعلق بمحجني وإن غفل عنه ذهب به، وحتى رأيت فيها صاحبة الهرة التي ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً، ثم جيء بالجنة وذلكم حين رأيتموني تقدمت حتى قمت في مقامي ولقد مددت يدي وأنا أريد أن أتناول من ثمرها لتنظروا إليه ثم بدا لي أن لا أفعل فما من شيء توعدونه إلا قد رأيته في صلاتي هذه». وفي مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود والنسائي من حديث عبد الله بن عمرو في هذه القصة «والذي نفس محمد بيده لقد أدنيت الجنة حتى لو بسطت يدي لتعاطيت من قطوفها، ولقد أدنيت النار مني حتى لقد جعلت أتقيها خشية أن تغشاكم» وذكر الحديث: وفي صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك قال: «بينما رسول الله ﷺ ذات يوم إذ أقيمت الصلاة فقال يا أيها الناس إني إمامكم فلا تسبقوني

بالركوع ولا بالسجود ولا ترفعوا رؤوسكم فإني أراكم من أمامي ومن خلفي وأيم الذي نفسي بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، قالوا وما رأيت يا رسول الله؟ قال رأيت الجنة والنار» وفي الموطأ والسنن من حديث كعب بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجر الجنة حتى يرجعها الله إلى جسده يوم القيامة» وهذا صريح في دخول الروح الجنة قبل يوم القيامة ومثله حديث كعب بن مالك أيضاً عن النبي ﷺ «إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تعلق في ثمر الجنة أو شجر الجنة» رواه أهل السنن وصححه الترمذي. وسيأتي في آخر هذا الكتاب في الباب الذي يذكر فيه دخول أرواح المؤمنين الجنة قبل يوم القيامة تمام هذه الأحاديث إن شاء الله تعالى، وذكر دلالة القرآن على ما دلت عليه السنة من ذلك. وفي صحيح مسلم والسنن والمسند من حديث أبي هريرة «أن رسول الله ﷺ قال لما خلق الله تعالى الجنة والنار أرسل جبريل إلى الجنة فقال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فذهب فنظر إليها وإلى ما أعد الله لأهلها فيها فرجع فقال وعزتك لا يسمع بها أحد إلا دخلها، فأمر بالجنة فحفت بالمكاره، فقال فارجع فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها، قال فنظر إليها ثم رجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا يدخلها أحد، قال ثم أرسله إلى النار قال اذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها فيها قال فنظر إليها فإذا هي يركب بعضها بعضاً ثم رجع فقال وعزتك وجلالك لا يدخلها أحد سمع بها؛ فأمر بها فحفت بالشهوات ثم قال اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها فذهب فنظر إليها فرجع فقال وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «حجبت الجنة بالمكاره وحجبت النار بالشهوات». وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن رسول الله ﷺ قال: «اختصمت الجنة والنار فقالت الجنة يا رب ما لها إنما يدخلها ضعفاء الناس وسقطهم، وقالت النار يا رب ما لها يدخلها الجبارون والمتكبرون فقال أنت رحمتي أصيب بك من أشاء وأنت عذابي أصيب بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها» وفي الصحيحين من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ أنه قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت يا رب أكل بعضي بعضاً فأذن لها بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف» وروى الليث بن سعد عن معاوية بن صالح عن عبد الملك بن بشير ورفع الحديث قال «ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يا رب قد طاب ثمري

واطردت أنهاري واشتقت إلى أوليائي فعجل إلي بأهلي، وتقول النار اشتد حرى وبعد قعري وعظم جمري فعجل على بأهلي» وفي صحيح البخاري من حديث أنس عن النبي ﷺ أنه قال: «بينما أنا أسير في الجنة وإذا بنهر في الجنة حافتاه قباب الدر المجوف قال قلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فضرب الملك بيده فإذا طينه المسك الأذفر» وفي صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : «دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً وداراً فقلت لمن هذا؟ فقيل لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا هو فقيل لعمر بن الخطاب فلولا غيرتك يا أبا حفص لدخلته، قال فبكى عمر وقال أو يغار عليك يا رسول الله» وسيأتي حديث بلال وقول النبي ﷺ «ما دخلت الجنة إلا سمعت خشخشتك بين يدي» وغير ذلك من الأحاديث التي تأتي إن شاء الله تعالى. وقال عبد الله بن وهب أنبأنا معاوية بن صالح عن عيسى بن عاصم عن زر بن حبيش عن أنس بن مالك قال: «صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم صلاة الصبح ثم مد يده ثم أخرها فلما سلم قيل له يا رسول الله لقد صنعت في صلاتك شيئاً لم تصنعه في غيرها، قال إني رأيت الجنة فرأيت فيها دالية قطوفها دانية حبها كالدباء فأردت أن أتناولها منها فأوحى إليها أن استأخري فاستأخرت ثم رأيت النار فيما بيني وبينكم حتى لقد رأيت ظلي وظلكم فأومأت إليكم أن استأخروا فأوحي إلى أقرهم فإنك أسلمت وأسلموا وهاجرت وهاجروا وجاهدت وجاهدوا فلم أر لي عليكم فضلاً إلا بالنبوة» فإن قيل فما منعكم عن الاحتجاج على وجودها الآن بقصد آدم ودخوله الجنة وإخراجه منها بأكله من الشجرة والاستدلال بها في غاية الظهور؟ «قيل» الاستدلال بذلك وإن كان عند العامة في غاية الظهور فهو في غاية الغموض لاختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم هل كانت جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة أو كانت جنة في الأرض في شرفها ونحن نذكر من قال بهذا ومن قال بهذا وما احتج به كل فريق على قولهم، وما رد به الفريق الآخر عليهم بحول الله وقوته.

(الباب الثاني)

(في اختلاف الناس في الجنة التي أسكنها آدم عليه الصلاة والسلام وأهبط منها هل هي جنة الخلد أو جنة أخرى غيرها في موضع عال من الأرض)

قال منذر بن سعيد في تفسيره وأما قوله تعالى لآدم ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ فقالت طائفة أسكن اللّٰه آدم جنة الخلد التي يدخلها المؤمنون يوم القيامة وقال آخرون هي جنة غيرها جعلها اللّٰه له وأسكنه إياها ليست جنة الخلد، قال وهذا قول تكثر الدلائل الشاهدة له والموجبة للقول به وقال أبو الحسن الماوردي في تفسيره واختلف الناس في الجنة التي أسكناها على قولين (أحدهما) أنها جنة الخلد (الثاني) أنها جنة أعدها اللّٰه تعالى لهما وجعلها دار ابتلاء وليست هي جنة الخلد التي جعلها دار جزاء، ومن قال بهذا اختلفوا فيه على قولين (أحدهما) أنها في السماء لأنه أهبطهما منها وهذا قول الحسن (الثاني) أنها في الأرض لأنه امتحنهما فيها بالنهي عن الشجرة التي نهيا عنها دون غيرها من الثمار، وهذا قول ابن بحر وكان ذلك بعد أن أمر إبليس بالسجود لآدم عليه الصلاة والسلام واللّٰه أعلم بصواب ذلك هذا كلامه وقال ابن الخطيب في تفسيره المشهور واختلفوا في الجنة المذكورة في هذه الآية هل كانت في الأرض أو في السماء؟ وبتقدير أنها كانت في السماء فهل هي الجنة التي هي دار الثواب وجنة الخلد أو جنة أخرى؟ فقال أبو القاسم البلخي وأبو مسلم الاصبهاني هذه الجنة في الأرض وحملا الأهباط على الانتقال من بقعة إلى بقعة كما في قوله «اهبطوا مصراً» واحتجا عليه بوجوده. (القول الثاني) وهو قول الجبائي أن تلك الجنة كانت في السماء السابعة (والقول الثالث) وهو قول جمهور أصحابنا أن هذه الجنة هي دار الثواب.

وقال أبو القاسم الراغب في تفسيره واختلف في الجنة التي أسكنها آدم فقال بعض المتكلمين كان بستاناً جعله اللّٰه تعالى له امتحاناً ولم تكن جنة المأوى وذكر بعض الاستدلال على القولين وممن ذكر الخلاف أيضاً أبو عيسى الرماني في تفسيره واختار أنها جنة الخلد ثم قال والمذهب الذي اخترناه قول الحسن وعمرو وواصل وأكثر أصحابنا وهو قول أبي علي وشيخنا أبي بكر وعليه أهل التفسير واختار ابن الخطيب التوقف في المسألة وجعله قولاً رابعاً فقال (والقول الرابع) إن الكل ممكن والأدلة متعارضة فوجب التوقف وترك القطع قال منذر بن سعيد والقول بأنها جنة في الأرض

ليست جنة الخلد قول أبي حنيفة وأصحابه قال وقد رأيت أقواماً نهضوا لمخالفتنا في جنة آدم عليه السلام بتصويب مذهبهم من غير حجة إلا الدعاوي والأماني ما أتوا بحجة من كتاب ولا سنة ولا أثر عن صاحب ولا تابع ولا تابع التابع ولا موصولاً ولا شاذاً مشهوراً. وقد أوجدناهم أن فقيه العراق ومن قال بقوله قالوا أن جنة آدم ليست جنة الخلد وهذه الدواوين مشحونة من علومهم ليسوا عند أحد من الشاذين بل بين رؤوساء المخالفين وإنما قلت هذا ليعلم أني لا أنصر مذهب أبي حنيفة وإنما أنصر ما قام لي عليه الدليل من القرآن والسنة هذا ابن زيد المالكي يقول في تفسيره سألت ابن نافع عن الجنة أمخلوقة هي؟ فقال السكوت عن الكلام في هذا أفضل، وهذا ابن عيينة يقول في قوله عز وجل ﴿**إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعري**﴾ قال يعني في الأرض وابن نافع إمام وابن عيينة إمام وهم لا يأتوننا بمثلهما ولا من يضاد قوله قولهما وهذا ابن قتيبة ذكر في كتاب المعارف بعد ذكره خلق اللّٰه لآدم وزوجه قال ثم تركهما وقال أثمروا وأكثروا واملئوا الأرض وتسلطوا على أنوان البحور وطير السماء والأنعام وعشب الأرض وشجرها وثمرها فأخبر أن في الأرض خلقه وفيها أمره ثم قال ونصب الفردوس فانقسم على أربعة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات ثم ذكر الحية فقال وكانت أعظم دواب البر فقالت للمرأة أنكما لا تموتان إن أكلتما من هذه الشجرة، ثم قال بعد كلام ثم أخرجه من مشرق جنة عدن إلى الأرض التي منها أخذ ثم قال قال وهب وكان مهبطه حين أهبط من جنة عدن في شرقي أرض الهند قال واحتمل قابيل أخاه حتى أتى به وادياً من أودية اليمن في شرقي عدن فكمن فيه وقال غيره فيما نقل أبو صالح عن ابن عباس في قوله اهبطوا هو كما يقال هبط فلان أرض كذا وكذا قال منذر بن سعيد فهذا وهب بن منبه يحكي أن آدم عليه السلام خلق في الأرض وفيها سكن وفيها نصب له الفردوس وأنه كان بعدن وأن أربعة أنهار انقسمت من ذلك النهر الذي كان يسمى فردوس آدم وتلك الأنهار بقيت في الأرض لا اختلاف بين المسلمين في ذلك فاعتبروا يا أولي الألباب وأخبر أن الحية التي كلمت آدم كانت من أعظم دواب البر ولم يقل من أعظم دواب السماء فهم يقولون إن الجنة لم تكن في الأرض وإنما كانت فوق السماء السابعة ثم قال وأخرجه من مشرق جنة عدن وليس في جنة المأوى مشرق ولا مغرب لأنه لا شمس فيها ثم قال وأخرجه إلى الأرض التي أخذ منها يعني أخرجه من الفردوس الذي نصب له في عدن في شرقي أرض الهند وهذه الأخبار

التي حكى ابن قتيبة إنما تنبىء عن أرض اليمن وعن عدن وهي من أرض اليمن وأخبر أن اللّه نصب الفردوس لآدم عليه الصلاة والسلام بعدن ثم أكد ذلك بأن قال الأربعة الأنهار التي ذكرناها منقسمة عن النهر الذي كان يسمى فردوس آدم قال منذر وقال ابن قتيبة عن ابن منبه عن أبي هريرة قال واشتهى آدم عند موته قطفاً من الجنة التي كان فيها بزعمهم على ظهر السماء السابعة وهو في الأرض فخرج أولاده يطلبون ذلك له حتى بلغتهم الملائكة موته فأولاد آدم كانوا مجانين عندكم إن كان ما نقله ابن قتيبة حقاً يطلبون لأبيهم ثمر جنة الخلد في الأرض، قال ونحن لم نقل غير ما قال هؤلاء ولو كانت جنة الخلد لخلد فيها ونحن استدللنا من القرآن وغيرنا قطع وادعى بما ليس له عليه برهان. فهذا ذكر بعض أقوال من حكى الخلاف في هذه المسألة ونحن نسوق حجج الفريقين إن شاء اللّه تعالى ونبين ما لهم وما عليهم.

الباب الثالث
في سياق حجج من اختار أنها جنة الخلد التي يدخلها الناس يوم القيامة

قالوا قولنا هذا هو الذي فطر اللّه عليه الناس صغيرهم وكبيرهم لم يخطر بقلوبهم سواه وأكثرهم لا يعلم في ذلك نزاعاً، قالوا وقد روى مسلم في صحيحه من حديث أبي مالك عن أبي حازم عن أبي هريرة وأبي مالك عن ربعي عن حذيفة قالا قال رسول اللّه ﷺ: «يجمع اللّه تعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة فيأتون آدم عليه السلام فيقولون يا أبانا استفتح لنا الجنة فقول وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم؟» وذكر الحديث قالوا وهذا يدل على أن الجنة التي أخرج منها هي بعينها التي يطلب منه أن يستفتحها. وفي الصحيحين حديث احتجاج آدم وموسى وقول موسى أخرجتنا ونفسك من الجنة ولو كانت في الأرض فهم قد خرجوا من بساتين فلم يخرجوا من الجنة وكذلك قول آدم للمؤمنين يوم القيامة وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم وخطيئته لم تخرجهم من جنات الدنيا. قالوا وقد قال تعالى في سورة البقرة ﴿**وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه**

وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ فهذا يدل على أن هبوطهم كان من الجنة إلى الأرض من وجهين (أحدهما) من لفظة اهبطوا فإنه نزول من علو إلى أسفل و (الثاني) قوله ولكم في الأرض مستقر عقب قوله اهبطوا فدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض ثم أكد هذا بقوله في سورة الأعراف ﴿قال فيها تحيون وفيها تموتون، ومنها تخرجون﴾ ولو كانت الجنة في الأرض لكانت حياتهم فيها قبل الإخراج وبعده قالوا وقد وصف سبحانه جنة آدم بصفات لا تكون إلا في جنة الخلد فقال: ﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي﴾ وهذا لا يكون في الدنيا أصلاً فأن الرجل ولو كان في أطيب منازلها لا بد أن يعرض له شيء من ذلك وقابل سبحانه بين الجوع والظمأ والعري والضحى فإن الجوع ذل الباطن والعرى ذل الظاهر والظمأ حر الباطن والضحى حر الظاهر فنفى عن سكانها ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن وذلك أحسن من المقابلة بين الجوع والعطش والعرى والضحى وهذا شأن ساكن جنة الخلد. قالوا وأيضاً فلو كانت تلك الجنة في الدنيا لعلم آدم كذب إبليس في قوله «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فأن آدم كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية وأن ملكها يبلى، قالوا وأيضاً هذه القصة في سورة البقرة ظاهرة جداً في أن الجنة التي أخرج منها فوق السماء فإنه سبحانه قال: ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين، فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه إنه هو التواب الرحيم﴾ فهذا إهباط آدم وحواء وإبليس من الجنة فلهذا أتى فيه بضمير الجمع وقد قيل إن الخطاب لهما وللحية وهذا ضعيف جداً إذ لا ذكر للحية في شيء من قصة آدم ولا في السياق ما يدل عليها. وقيل الخطاب لآدم وحواء وأتى فيه بضمير الجمع كقوله ﴿وكنا لحكمهم شاهدين﴾ وهما داود وسليمان وقيل لآدم وحواء وذريتهما وهذه الأقوال ضعيفة غير الأول لأنها بين قول لا دليل عليه وبين ما يدل اللفظ على خلافه فثبت أن إبليس داخل في هذا الخطاب وأنه من المهبطين فإذا تقرر هذا فقد ذكر سبحانه الإهباط ثانياً بقوله ﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فأما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾

والظاهر أن هذا الإهباط الثاني غير الأول وهو إهباط من السماء إلى الأرض والأول إهباط من الجنة وحينئذ فتكون الجنة التي اهبط منها أولاً فوق السماء جنة الخلد وقد ظن الزمخشري أن قوله اهبطوا منها جميعاً خطاب لآدم وحواء خاصة وعبر عنهما بالجمع لاستتباعهما ذرياتهما قال والدليل عليه قوله تعالى: ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو**﴾ قال ويدل على ذلك قوله ﴿**فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون**﴾ وما هو إلا حكم يعم الناس كلهم ومعنى قوله بعضكم لبعض عدو ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم بعضاً. وهذا الذي اختاره أضعف الأقوال في الآية فإن العداوة التي ذكرها اللّٰه تعالى إنما هي بين آدم وإبليس وذريتهما كما قال اللّٰه تعالى: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً**﴾ وهو سبحانه قد أكد أمر العداوة بين الشيطان والإنسان وأعاد وأبدى ذكرها في القرآن لشدة الحاجة إلى التحرز من هذا العدو، وأما آدم وزوجته فإنه إنما أخبر في كتابه أنه خلقها ليسكن إليها وجعل بينهما مودة ورحمة فالمودة والرحمة بين الرجل وامرأته والعداوة بين الإنسان والشيطان وقد تقدم ذكر آدم وزوجته وإبليس وهم ثلاثة فلماذا يعود الضمير على بعض المذكور مع منافرته لطريق الكلام دون جميعه مع أن اللفظ والمعنى يقتضيه فلم يصنع الزمخشري شيئاً. وأما قوله تعالى في سورة طه: ﴿**قال اهبطا منها جميعاً بعضكم لبعض عدو**﴾ وهذا خطاب لآدم وحواء وقد جعل بعضهم لبعض عدواً فالضمير في قوله اهبطا منها أما أن يرجع إلى آدم وزوجته أو إلى آدم وإبليس ولم يذكر الزوجة لأنها تبع له وعلى هذا فالعداوة المذكورة للمخاطبين بالإهباط وهما آدم وإبليس فالأمر ظاهر، وأما على الأول فتكون الآية قد اشتملت على أمرين (أحدهما) أمره تعالى لآدم وزوجه بالهبوط والثاني إخباره بالعداوة بين آدم وزوجته وبين إبليس ولهذا أتى بضمير الجمع في الثاني دون الأول ولا بد أن يكون إبليس داخلاً في حكم هذه العداوة قطعاً كما قال تعالى: ﴿**إن هذا عدو لك ولزوجك**﴾ وقال للذرية: ﴿**إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً**﴾ وتأمل كيف اتفقت المواضع التي فيها ذكر العداوة على ضمير الجمع دون التثنية؟ وأما الإهباط فتارة يذكره بلفظ الجمع وتارة بلفظ التثنية وتارة بلفظ الأفراد كقوله في سورة الأعراف قال اهبط منها وكذلك في سورة ص وهذا لإبليس وحده وحيث ورد بصيغة الجمع فهو لآدم وزوجه وإبليس إذ مدار القصة عليهم وحيث ورد

بلفظ التثنية فأما أن يكون لآدم وزوجه إذ هما اللذان باشرا الأكل من الشجرة وأقـدما على المعصية، وإما أن يكون لآدم وإبليس إذ هما أبوا الثقلين وأصلا الـذرية فـذكر حالهما ومآل أمرهما ليكون عظة وعبرة لأولادهما وقد حكيت القولين في ذلك والذي يوضح أن الضمير في قوله اهبطا منهـا جميعاً لآدم وإبليس أن اللّه سبحـانه لمـا ذكر المعصية أفرد بها آدم دون زوجه فقال «وعصى آدم ربه فغوى ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى قال اهبطا منها جميعاً» وهذا يدل على أن المخاطب بالإهباط هو آدم ومن زين له المعصية ودخلت الزوجه تبعاً فإن المقصود إخبار اللّه تعالى للثقلين بما جرى على أبويهما من شؤم المعصية ومخالفة الأمر فذكر أبويهما أبلغ في حصول هذا المعنى من ذكر أبوي الإنس فقط وقد أخبر سبحانه عن الزوجة بأنها أكلت مع آدم وأخبر أنه أهبطه وأخرجه من الجنة بتلك الأكلة فعلم أن حكم الزوجة كذلك وأنها صارت إلى ما صار إليه آدم، وكان تجريد العناية إلى ذكر حال أبوي الثقلين أولى من تجريده إلى ذكر أبي الإنس وأمهم فتأمله. وبالجملة فقوله ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ ظاهر في الجمع فلا يسوغ حمله على الاثنين في قوله ﴿اهبطا﴾ من غير موجب. فالوا وأيضاً فـالجنة جاءت معرفة بلام التعريف في جميع المواضع كقوله ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ ونظائره ولا جنة يعهدها المخاطبـون ويعرفـونها إلا جنة الخلد التي وعـد الرحمن عبـاده بالغيب فقد صـار هذا الاسم علمـاً عليها بـالغلبة كـالمدينـة والنجم والبيت والكتاب ونظائرها فحيث ورد لفظهـا معرفـاً انصرف إلى الجنـة المعهودة المعلومـة في قلوب المؤمنين وأما إن أريد به جنة غيرها فأنها تجيء منكرة أو مقيدة بالإضافة، أو مقيدة من السياق بما يدل على أنها جنة في الأرض فالأول كقوله ﴿جنتين من أعناب﴾ والثاني كقوله ﴿ولولا إذ دخلت جنتك﴾ والثالث كقوله ﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة﴾ قالوا ومـــما يدل على أن جنة آدم هي جنة المأوى ما روى هوذة بن خليفة عن عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى الأشعري قال: «إن اللّه تعالى لما أخـرج آدم من الجنة زوده من ثمار الجنة وعلمه صنعة كل شيء فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أن هذه تتغير وتلك لا تتغير» قالوا وقد ضمن اللّه سبحانه وتعالى له أن تاب إليه وأناب أن يعيـده إليها كمـا روى المنهال عن سعيـد بـن جبير عن ابن عبـاس في قولـه تعالى: ﴿فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه﴾ قال (يا رب ألم تخلقني بيدك؟ قال بلى، قال أي رب ألم تنفخ في من روحك؟ قال بلى، قال أي رب ألم تسكني جنتك؟ قال بلى،

قال أي رب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى، قال أرأيت أن تبت وأصلحت أراجعي أنت إلى الجنة؟ قال بلى، قال فهو قوله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه) وله طرق عن ابن عباس وفي بعضها «كان آدم قال لربه إذ عصاه رب إن أنا تبت وأصلحت فقال له ربه أني راجعك إلى الجنة» فهذا بعض ما احتج به القائلون بأنها جنة الخلد ونحن نسوق حجج الآخرين.

الباب الرابع
في سياق حجج الطائفة التي قالت ليست جنة الخلد وإنما هي جنة في الأرض

قالوا هذا قول تكثر الدلائل الموجبة للقول به فنذكر بعضها قالوا قد أخبر اللّه سبحانه على لسان جميع رسله أن جنة الخلد إنما يكون الدخول إليها يوم القيامة، ولم يأت زمن دخولها بعد، وقد وصفها اللّه سبحانه وتعالى لنا في كتابه بصفاتها ومحال أن يصف اللّه سبحانه وتعالى شيئاً بصفة ثم يكون ذلك الشيء بغير تلك الصفة التي وصفه بها قالوا فوجدناه اللّه تعالى وصف الجنة التي أعدت للمتقين بأنها دار المقامة فمن دخلها أقام بها ولم يقم آدم بالجنة التي دخلها ووصفها بأنها جنة الخلد وآدم لم يخلد فيها ووصفها بأنها دار ثواب وجزاء لا دار تكليف وأمر ونهي، ووصفها بأنها دار سلامة مطلقة لا دار ابتلاء وامتحان وقد ابتلى آدم فيها بأعظم الابتلاء ووصفها بأنها دار لا يعصى اللّه فيها أبداً وقد عصى آدم ربه في جنته التي دخلها ووصفها بأنها ليست دار خوف ولا حزن وقد حصل للأبوين فيها من الخوف والحزن ما حصل وسماها دار السلام ولم يسلم فيها الأبوان من الفتنة ودار القرار ولم يستقرا فيها وقال في داخليها ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ وقد أخرج منها الأبوان، وقال ﴿لا يمسهم فيها نصب﴾ وقد ند فيه آدم هارباً فاراً وطفق يخصف ورق الجنة على نفسه وهذا النصب بعينه، وأخبر أنه لا لغو فيها ولا تأثيم وقد سمع فيها آدم لغو إبليس وإثمه وأخبر أنه لا يسمع فيها لغو ولا كذب وقد سمع فيها آدم عليه السلام كذب إبليس وقد سماها اللّه سبحانه وتعالى مقعد صدق وقد كذب فيها إبليس وحلف على كذبه وقد قال تعالى للملائكة ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ولم يقل إني جاعل في جنة المأوى «فقالت الملائكة

أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء؟» ومحال أن يكون هذا في جنة المأوى وقد أخبر اللّٰه تعالى عن إبليس أنه قال لآدم «هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى» فإن كان اللّٰه سبحانه وتعالى قد أسكن آدم جنة الخلد والملك الذي لا يبلى فكيف لم يرد عليه ويقول له كيف تدلني على شيء أنا فيه وقد أعطيته ولم يكن اللّٰه سبحانه وتعالى قد أخبر آدم إذ أسكنه الجنة أنه فيها من الخالدين ولو علم أنها دار الخلد لما ركن إلى قول إبليس ولا مال إلى نصيحته ولكنه لما كان في غير دار خلود غره بما أطمعه فيه من الخلد قالوا ولو كان آدم أسكن جنة الخلد وهي دار القدس التي لا يسكنها إلا طاهر مقدس فكيف توصل إليها إبليس الرجس النجس المذموم المدحور حتى فتن فيها آدم عليه السلام ووسوس له وهذه الوسوسة إما أن تكون في قلبه وإما أن تكون في أذنه، وعلى التقديرين فكيف توصل اللعين إلى دخول دار المتقين وأيضاً فبعد أن قيل له اهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها أيفسح له أن يرقى إلى جنة المأوى فوق السماء السابعة بعد السخط عليه والإبعاد له والزجر والطرد بعتوه واستكباره، وهل هذا يلائم قوله ﴿فما يكون لك أن تتكبر فيها﴾ فإن كانت مخاطبته لآدم بما خاطبه به وقاسمه عليه ليست تكبرا فما التكبر بعد هذا؟ فإن قلتم فلعل وسوسته وصلت إلى الأبوين وهو في الأرض وهما فوق السماء في عليين فهذا غير معقول لغة ولا حساً ولا عرفاً وإن زعمتم أنه دخل في بطن الحية حتى أوصل إليهما الوسوسة فأبطل وأبطل، إذ كيف يرتقي بعد الإهباط إلى أن يدخل الجنة ولو في بطن الحية وإذ قلتم إنه دخل في قلوبهما ووسوس إليهما فالمحذور قائم وأيضاً فإن اللّٰه سبحانه وتعالى حكى مخاطبته لهما كلاماً سمعناه شفاهاً: ﴿فقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة﴾ وهذا دليل على مشاهدته لهما وللشجرة ولما كان آدم خارجاً من الجنة وغير ساكن فيها قال اللّٰه تعالى له ﴿ألم أنهكما عن تلكما الشجرة﴾ ولم يقل عن هذه الشجرة فعندما قال لهما ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة لما أطعمهما في ملكهما والخلود في مقرها أتى باسم الإشارة بلفظ الحضور تقريباً لها وإحضاراً لها عندهما وربهما تعالى قال لهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة؟، ولما أراد إخراجهما منها فأتى باسم الإشارة بلفظ البعد والغيبة كأنهما لم يبق لهما من الجنة حتى ولا مشاهدة الشجرة التي نهياً عنها وأيضاً فإنه سبحانه قال: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ووسوسة اللعين من أخبث الكلم فلا تصعد إلى محل القدس. قال منذر وقد روى عن النبي ﷺ «أن آدم

عليه السلام نام في جنته» وجنة الخلد لا نوم فيها بالنص وإجماع المسلمين فإن النبي ﷺ سئل «أينام أهل الجنة في الجنة؟ قال لا النوم أخو الموت والنوم وفاة» وقد نطق به القرآن والوفاة تقلب حال ودار السلام مسلمة من تقلب الأحوال والنائم ميت أو كالميت (قلت) الحديث الذي أشار إليه المعروف أنه موقوف من رواية ابن أبي نجيح عن مجاهد قال «خلقت حواء من قصيري آدم وهو نائم» وقال إسباط عن السدى «أسكن آدم عليه السلام الجنة وكان يمشي فيها وحشاً ليس له زوج يسكن إليها فنام نومة فاستيقظ فإذا عند رأسه امرأة قاعدة خلقها اللّه من ضلعه فسألها ما أنت؟ قالت امرأة قال ولم خلقت؟ قالت لتسكن إلي» وقال ابن إسحاق عن ابن عباس «ألقى اللّه على آدم عليه السلام السنة ثم أخذ ضلعاً من أضلاعه من شقه الأيسر ولأم مكانه لحماً وآدم نائم لم يهب من نومته حتى خلق اللّه من ضلعه تلك زوجته حواء فسواها امرأة يسكن إليها فلما كشف عنه السنة وهب من نومته رآها إلى جنبه فقال لحمي ودمي وروحي فسكن إليها» قالوا ولا نزاع أن اللّه سبحانه وتعالى خلق آدم في الأرض ولم يذكر في موضع واحد أصلاً أنه نقله إلى السماء بعد ذلك ولو كان قد نقله بعد ذلك إلى السماء لكان هذا أولى بالذكر لأنه من أعظم الآيات ومن أعظم النعم عليه فإنه كان معراجاً ببدنه وروحه من الأرض إلى فوق السموات قالوا وكيف ينقله سبحانه ويسكنه فوق السماء وقد أخبر ملائكته أنه جاعله في الأرض خليفة وكيف يسكنه دار الخلد التي من دخلها خلد فيها ولا يخرج منها قال تعالى: ﴿**وما هم منها بمخرجين**﴾ قالوا ولم يكن معنا في المسألة إلا أن اللّه سبحانه أهبط إبليس من السماء حين امتنع من السجود لآدم عليه السلام وهذا أمر تكوين لا يمكن وقوع خلافه ثم أدخل آدم عليه السلام الجنة بعد هذا فإن الأمر بالسجود كان عقب خلقه من غير فصل فلو كانت الجنة فوق السموات لم يكن لإبليس سبيل إلى صعوده إليها وقد أهبط منها وأما تلك التقادير التي قدرتموها فتكلفات ظاهرة كقول من قال يجوز أن يصمد إليها صعوداً عارضاً لا مستقراً وقول من قال أدخلته الحية وقول من قال دخل في أجوافها وقول من قال يجوز أن تصل وسوسته إليهما وهو في الأرض وهما فوق السماء ولا يخفى ما في ذلك من التعسف الشديد والتكلف البعيد وهذا بخلاف قولنا فإنه سبحانه لما أهبطه من ملكوت السماء حيث لم يسجد لآدم عليه السلام أشرب عداوته فلما أسكنه جنته حسده عدوه وسعى بكيده وغروره في إخراجه منها واللّه أعلم. قالوا ومما يدل على أن

جنة آدم لم تكن جنة الخلد التي وعد المتقون أن اللّه سبحانه لما خلقه أعلمه أن لعمره أجلاً ينتهي إليه وأنه لم يخلقه للبقاء كما روى الترمذي في جامعه من حديث أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «لما خلق اللّه آدم عليه السلام ونفخ فيه الروح عطس فقال الحمد للّه فحمد اللّه بإذنه فقال ربه يرحمك اللّه يا آدم اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقال السلام عليكم قالوا وعليك السلام الخ ثم رجع إلى ربه فقال إن هذه تحيتك وتحية بنيك بينهم فقال اللّه له ويداه مقبوضتان اختر أيهما شئت، فقال اخترت يمين ربي وكلتا يديه يمين مباركة ثم بسطها فإذا فيها آدم وذريته فقال يا رب ما هؤلاء؟ قال هؤلاء ذريتك فإذا كل إنسان مكتوب بين عينيه عمره فإذا فيهم رجل أضوؤهم قال يا رب من هذا؟ قال هذا ابنك داود قد كتبت له عمراً أربعين سنة قال يا رب زده في عمره، قال ذلك الذي كتبت له قال أي رب فإني قد جعلت له من عمري ستين سنة قال أنت وذلك، قال ثم أسكن الجنة ما شاء اللّه ثم اهبط منها فكان آدم عليه السلام يعد لنفسه قال فأتاه ملك الموت فقال له آدم قد عجلت قد كتبت لي ألف سنة قال بلى ولكنك جعلت لابنك داود ستين سنة، فجحد فجحدت ذريته. ونسي فنسيت ذريته. قال فمن يومئذٍ أمر بالكتاب والشهود» قال هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روي من غير وجه عن أبي هريرة قالوا فهذا صريح في أن آدم عليه السلام لم يخلق في دار البقاء التي لا يموت من دخلها وإنما خلق في دار الفناء التي جعل اللّه تعالى لها ولسكانها أجلاً معلوماً وفيها أسكن. «فإن قيل» فإذا كان آدم عليه السلام قد علم أن له عمراً مقدراً وأجلاً ينتهي إليه وأنه ليس من الخالدين فكيف لم يعلم كذب إبليس في قوله «هل أدلك على شجرة الخلد» وقوله «أو تكونا من الخالدين» فالجواب من وجهين (أحدهما) أن الخلد لا يستلزم الدوام والبقاء بل هو المكث الطويل كما سيأتي (الثاني) إن إبليس لما حلف له وغره وأطعمه في الخلود نسي ما قدر له من عمره. قالوا وأيضاً فمن المعلوم الذي لا ينازع فيه مسلم أن اللّه سبحانه خلق آدم عليه السلام من تربة هذه الأرض وأخبر أنه خلقه من سلالة من طين وأنه خلقه من صلصال من حمأ مسنون فقيل هو الذي له صلصلة ليبسه وقيل هو الذي تغيرت رائحته من قولهم صل اللحم إذا تغير. والحمأ الطين الأسود المتغير والمسنون المصبوب وهذه كلها أطوار للتراب الذي هو مبدؤه الأول كما أخبر عن أطوار خلق الذرية من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ولم يخبر سبحانه وتعالى أنه رفعه من

الأرض إلى فوق السموات لا قبل التخليق ولا بعده فأين الدليـل الدال على إصعـاد مادته أو إصعاده هو بعد خلقه وهذا ما لا دليل لكم عليه ولا هو لازم من لوازم ما أخبر اللّٰه به. قالوا ومن المعلوم أن ما فوق السموات ليس بمكـان للطين الأرضي المتغير الرائحة الذي قد أنتن من تغيـره وإنما محـل هذا الأرض التي هي محـل المتغيرات الفاسدات وأما ما فوق الأفلاك فلا يلحقه تغير ولا نتن ولا فساد ولا استحالة فهذا أمر لا يرتاب فيه العقلاء. قالوا وقد قال اللّٰه تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ فأخبر سبحانه أن عطاء جنة الخلد غير مجذوذ قالوا فإذا جمع ما أخبر به سبحانه من أنه خلقه من الأرض وجعله خليفة في الأرض وأن إبليس وسوس إليه في مكانه الذي أسكنـه فيه بعـد أن أهبطه من السماء بامتناعه من السجود له وأنه أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة وأن دار الخلد دار جزاء وثواب على الامتحان والتكاليف وأنه لا لغو فيها ولا تأثيم ولا كذاب وأن من دخلها لا يخرج منها ولا ييأس ولا يحزن ولا يخـاف ولا ينام وأن اللّٰه حرمها على الكافرين، وإبليس رأس الكفر فإذا جمع ذلك بعضه إلى بعض وفكر فيه المنصف الذي رفع له علم الدليل فشمر إليه وربأ بنفسه عن حضيض التقليد تبين له الصواب واللّٰه الموفق قالوا ولو لم يكن في المسألة إلا أن الجنة ليست دار تكليف وقد كلف الله سبحانه الأبوين بنهيهما عن الأكل من الشجرة فدل على أنها دار تكليف لا جزاء وخلد. فهذا أيضاً بعض ما احتجت به هذه الفرقة على قولها والله أعلم.

الباب الخامس
في جواب أرباب هذا القول لأصحاب القول الأول

قالوا أما قولكم أن قولنا هو الذي فطر اللّٰه عليه عبـاده بحيث لا يعرفـون سواه فالمسألة سمعية لا تعرف إلا بأخبار الرسل ونحن وأنتم إنما تلقينا هذا من القرآن لا من المعقول ولا من الفطرة فالمتبع فيه ما دل عليه كتاب اللّٰه وسنة رسوله ونحن نطالبكم بصـاحب واحد أو تـابع أو أثـر صحيح أو حسن بـأنها جنـة الخلد التي أعـدهـا اللّٰه للمؤمنين بعينها ولن تجدوا إلى ذلك سبيلاً وقـد أوجدنـاكم من كلام السلف مـا يدل على خلافه ولكن لما وردت الجنة مـطلقة في هـذه القصة ووافقت اسم الجنـة التي

أعدها الله لعباده في إطلاقها وبعض أوصافها فذهب كثير من الأوهام إلى أنها هي بعينها فإن أردتم بالفطرة هذا القدر لم يفدكم شيئاً، وإن أردتم أن الله فطر الخلق على ذلك كما فطرهم يلى حسن العدل وقبح الظلم وغير ذلك من الأمور الفطرية فدعوى باطلة ونحن إذا رجعنا إلى فطرنا لم نجد علمها بذلك كعلمها بوجوب الواجبات واستحالة المستحيلات وأما استدلالكم بحديث أبي هريرة رضي الله عنه وقول آدم وهل أخرجكم منها إلا خطيئة أبيكم فإنما يدل على تأخر آدم عليه السلام عن الاستقباح للخطيئة التي قد تقدمت منه في دار الدنيا وأنه بسبب تلك الخطيئة حصل له الخروج من الجنة كما في اللفظ الآخر أني نهيت عن أكل الشجرة فأكلت منها فأين في هذا ما يدل على أنها جنة المأوى بمطابقة أو تضمن أو استلزام وكذلك قول موسى له أخرجتنا ونفسك من الجنة فإنه لم يقل له أخرجتنا من جنة الخلد، وقولكم أنهم خرجوا إلى بساتين من جنس الجنة التي في الأرض فاسم الجنة وأن أطلق على تلك البساتين فبينها وبين جنة آدم ما لا يعلمه إلا الله وهي كالسجن بالنسبة إليها واشتراكهـ في كونهما في الأرض لا ينفي تفاوتهما أعظم تفاوت في جميع الأشياء، وأما استدلالكم بقوله تعالى وقلنا اهبطوا عقيب إخراجهم من الجنة فلفظ الهبوط لا يستلزم النزول من السماء إلى الأرض غايته أن يدل على النزول من مكان عال إلى أسفل منه وهذا غير منكر فإنها كانت جنة في أعلى الأرض فاهبطوا منها إلى الأرض وقد بينا أن الأمر كان لآدم عليه السلام وزوجه وعدوهما فلو كانت الجنة في السماء لما كان عدوهما متمكناً منها بعد إهباطه الأول لما أبى السجود لآدم عليه السلام فالآية أيضاً من أظهر الحجج عليكم ولا تغني عنكم وجوه التعسفات والتكلفات التي قدرتموها وقد تقدمت وأما قوله تعالى: ﴿ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين﴾ فهذا لا يدل على أنهم لم يكونوا قبل ذلك في الأرض فإن الأرض اسم جنس وكانوا في أعلاها وأطيبها وأفضلها في محل لا يدركهم فيه جوع ولا عرى ولا ظمأ ولا ضحى ناهبطوا إلى أرض يعرض فيها ذلك كله وفيها حياتهم وموتهم وخروجهم من القبور، والجنة التي أسكناها لم تكن دار نصب ولا تعب ولا أذىً والأرض التي اهبطوا إليها هي محل التعب والنصب والأذى وأنواع المكاره، وأما قولكم إنه سبحانه وتعالى وصفها بصفات لا تكون في الدنيا، فجوابه أن تلك الصفات لا تكون في الأرض التي اهبطوا إليها فمن أين لكم أنها لا تكون في الأرض التي اهبطوا منها؟ وأما قولكم أن

آدم عليه السلام كان يعلم أن الدنيا منقضية فانية فلو كانت الجنة فيها لعلم كذب إبليس في قوله هل أدلك على شجرة الخلد؟ فجوابه من وجهين (أحدهما) أن اللفظ إنما يدل على الخلد وهو أعم من الدوام الذي لا انقطاع له فإنه في اللغة المكث الطويل ومكث كل شيء بحسبه، ومنه قولهم رجل مخلد إذا أسن وكبر، ومنه قولهم لأثافي الصخور خوالد لطول بقائها بعد دروس الأطلال قال:

إلا رماداً هامداً دفعت عنه الرياح خوالد سحم

ونظير هذا إطلاقهم القديم على ما تقادم عهده وإن كان له أول كما قال تعالى **﴿كالعرجون القديم﴾ ﴿وإنك لفي ضلالك القديم﴾ ﴿وافك قديم﴾** وقد أطلق تعالى الخلود في النار على عذاب بعض العصاة كقاتل النفس وأطلقه النبي ﷺ على قاتل نفسه (الوجه الثاني) أن العلم بانقطاع الدنيا ومجيء الآخرة إنما يعلم بالوحي ولم يتقدم لآدم عليه الصلاة والسلام نبوة يعلم بها ذلك وهو وإن نبأه اللّه سبحانه وتعالى وأوحى إليه وأنزل عليه صحفاً كما في حديث أبي ذر لكن هذا بعد اهباطه إلى الأرض بنص القرآن قال تعالى: **﴿اهبطوا منها جميعاً فإما يأتينكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾** وكذلك في سورة البقرة: **﴿قلنا اهبطوا منها جميعاً فأما يأتينكم مني هدى﴾** الآية. وأما قولكم أن الجنة وردت معرفة باللام التي للعهد فتنصرف إلى جنة الخلد فقد وردت معرفة باللام غير مراد بها جنة الخلد قطعاً كقوله تعالى **﴿إنا بلوناهم كما بلونا أصحاب الجنة إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين﴾** وقولكم أن السياق ها هنا دل على أنها جنة في الأرض «قلنا» والأدلة التي ذكرناها دلت على بيان جنة آدم عليه السلام في الأرض فلذلك صرنا إلى موجبها إذ لا يجوز تعطيل دلالة الدليل الصحيح. وأما استدلالكم بأثر أبي موسى «أن اللّه أخرج آدم عليه السلام من الجنة وزوده من ثمارها» فليس فيه زيادة على ما دل عليه القرآن الا تزوده منها وهذا لا يقتضي أن تكون جنة الخلد. وقولكم أن هذه تتغير وتلك لا تتغير فمن أين لكم أن الجنة التي أسكنها آدم كان التغير يعرض لثمارها كما يعرض لهذه الثمار وقد ثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «لولا بنو إسرائيل لم يخنز اللحم» أي لم يتغير ولم ينتن وقد أبقى اللّه سبحانه وتعالى في هذا العالم طعام العزير وشرابه مائة سنة لم يتغير. وأما قولكم أن اللّه سبحانه وتعالى ضمن لآدم عليه السلام إن تاب أن

يعيده إلى الجنة فلا ريب أن الأمر كذلك ولكن ليس يعلم أن الضمان إنما يتناول عوده إلى تلك الجنة بعينها بل إذا أعاده إلى جنة الخلد فقد وفى سبحانه بضمانه حق الوفاء. ولفظ العود لا يستلزم الرجوع إلى عين الحالة الأولى ولا زمانها ولا مكانها بل ولا إلى نظيرها كما قال شعيب لقومه «قد افترينا على اللّه كذباً إن عدنا في ملتكم بعد إذ نجانا اللّه منها وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء اللّه ربنا» وقد جعل اللّه سبحانه المظاهر عائداً بإرادته الوطء ثانياً أو بنفس الوطء أو بالإمساك وكل منها غير الأول لا عينه فهذا ما أجابت به هذه الطائفة لمن نازعها.

الباب السادس
في جواب من زعم أنها جنة الخلد عما احتج به منازعوهم

(قالوا) أما قولكم إن اللّه سبحانه أخبر أن جنة الخلد إنما يقع الدخول إليها يوم القيامة ولم يأت زمن دخولها بعد، فهذا حق في الدخول المطلق الذي هو دخول استقرار ودوام وأما الدخول العارض فيقع قبل يوم القيامة وقد دخل النبي ﷺ الجنة ليلة الإسراء وأرواح المؤمنين والشهداء في البرزخ في الجنة، وهذا غير الدخول الذي أخبر اللّه به في يوم القيامة، فدخول الخلود إنما يكون يوم القيامة فمن أين لكم أن مطلق الدخول لا يكون في الدنيا وبهذا خرج الجواب عن استدلالكم بكونها دار المقامة ودار الخلد؟ قالوا وأما إحتجاجكم بسائر الوجوه التي ذكرتموها في الجنة وأنها لم توجد في جنة آدم عليه السلام من العرى والنصب والحزن واللغو والكذب وغيرها فهذا كله حق لا ننكره نحن ولا أحد من أهل الإسلام ولكن هذا إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة كما يدل عليه سياق الآيات كلها فإن نفي ذلك مقرون بدخول المؤمنين إياها وهذا لا ينفي أن يكون فيها بين أبوي الثقلين ما حكاه اللّه سبحانه وتعالى من ذلك، ثم يصير الأمر عند دخول المؤمنين إياها إلى ما أخبر اللّه عنها فلا تنافي بين الأمرين (وأما) قولكم إنها دار جزاء وثواب لا دار تكليف وقد كلف اللّه سبحانه آدم بالنهي عن الأكل من تلك الشجرة فدل على أن تلك الجنة دار تكليف لا دار خلود فجوابه من وجهين (أحدهما) أنه إنما تمتنع أن تكون دار تكليف إذا دخلها المؤمنون يوم القيامة فحينئذ ينقطع التكليف (وأما) وقوع التكليف فيها في دار الدنيا فلا دليل على امتناعه البتة، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «دخلت البارحة الجنة فرأيت امرأة

تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن أنت» الحديث وغير ممتنع أن يكون فيها من يعمل بأمر اللّٰه ويعبد اللّٰه قبل يوم القيامة بل هذا هو الواقع فإن من فيها الآن مؤتمرون بأوامر من قبل ربهم لا يتعدونها سواء سمي ذلك تكليفاً أو لم يسم (الوجه الثاني) أن التكليف فيها لم يكن بالأعمال التي يكلف بها الناس في الدنيا من الصيام والصلاة والجهاد ونحوها وإنما كان حجراً عليهما في شجرة واحدة من جملة أشجارها إما واحدة بالعين أو بالنوع وهذا القدر لا يمتنع وقوعه في دار الخلد كما أن كل واحد محجور عليه أن يقرب أهل غيره فيها، فإن أردتم بكونها ليست دار تكليف امتناع وقوع مثل هذا فيها في وقت من الأوقات فلا دليل عليه، وإن أردتم أن تكاليف الدنيا منتفية عنها فهو حق ولكن لا يدل على مطلوبكم. وأما استدلالكم بنوم آدم فيها والجنة لا ينام أهلها، فهذا إن ثبت النقل بنوم آدم فإنما ينفي النوم عن أهلها يوم دخول الخلود حيث لا يموتون وأما قبل ذلك فلا. وأما استدلالكم بقصة وسوسة إبليس له بعد اهباطه وإخراجه من السماء فلعمر اللّٰه إنه لمن أقوى الأدلة وأظهرها على صحة قولكم وتلك التعسفات لدخوله الجنة وصعوده إلى السماء بعد إهباط اللّٰه له منها لا يرتضيها منصف، ولكن لا يمتنع أن يصعد إلى هنالك صعوداً عارضاً لتمام الإبتلاء والإمتحان الذي قدره اللّٰه تعالى وقدر أسبابه وإن لم يكن ذلك المكان مقعداً له مستقراً كما كان وقد أخبر اللّٰه سبحانه عن الشياطين أنهم كانوا قبل مبعث رسول اللّٰه ﷺ يقعدون من السماء مقاعد للسمع فيستمعون الشيء من الوحي وهذا صعود إلى هناك ولكنه صعود عارض لا يستقرون في المكان الذي يصعدون إليه مع قوله تعالى ﴿اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ فلا تنافي بين هذا الصعود وبين الأمر بالهبوط فهذا محتمل واللّٰه أعلم. وأما استدلالكم بأن اللّٰه سبحانه أعلم آدم عليه السلام مقدار أجله وما ذكرتم من الحديث وتقرير الدلالة منه، فجوابه أن إعلامه بذلك لا ينافي إدخاله جنة الخلد وإسكانه فيها مدة. وأما أخباره سبحانه أن داخلها لا يموت وأنه لا يخرج منها فهذا يوم القيامة. وأما احتجاجكم بكونه خلق من الأرض فلا ريب في ذلك ولكن من أين لكم أنه كمل خلقه فيها، وقد جاء في بعض الآثار «أن اللّٰه سبحانه ألقاه على باب الجنة أربعين صباحاً فجعل إبليس يطوف به ويقول لأمر ما خلقت، فلما رآه أجوف علم أنه خلق لا يتمالك فقال لئن سلطت عليه لاهلكنه، ولئن سلط علي لأعصينه» مع أن قوله سبحانه «وعلم آدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء

هؤلاء إن كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض» يدل على أنه كان معهم في السماء حيث أنبأهم بتلك الأسماء وإلا فهم لم ينزلوا كلهم إلى الأرض حتى سمعوا منه ذلك ولو كان خلقه قد كمل في الأرض لم يمتنع أن يصعده سبحانه إلى السماء لأمر دبره وقدره ثم يعيده إلى الأرض فقد أصعد المسيح ﷺ إلى السماء ثم ينزله إلى الأرض قبل يوم القيامة وقد أسرى ببدن رسول الله ﷺ وروحه إلى فوق السموات فهذا جواب القائلين بأنها جنة الخلد لمنازعيهم والله أعلم.

الباب السابع
في ذكر شبه من زعم أن الجنة لم تخلق بعد

قالوا لو كانت الجنة مخلوقة الآن لوجب اضطراراً أن تفني يوم القيامة وأن يهلك كل ما فيها ويموت لقوله تعالى: **﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾** و **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** فتموت الحور العين التي فيها والولدان وقد أخبر الله سبحانه أن الدار دار خلود ومن فيها مخلدون لا يموتون فيها وخبره سبحانه لا يجوز عليه خلف ولا نسخ قالوا وقد روى الترمذي في جامعه من حديث ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «لقيت إبراهيم ليلة أسرى بي فقال يا محمد أقرئ أمتك مني السلام وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة عذبة الماء وأنها قيعان وأن غراسها سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر» قال هذا حديث حسن غريب. وفيه أيضاً من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ أنه قال: «من قال سبحان الله وبحمده غرست له نخلة في الجنة» قال هذا حديث حسن صحيح قالوا فلو كانت الجنة مخلوقة مفروغاً منها لم تكن قيعاناً ولم يكن لهذا الغرس معنى قالوا وقد قال تعالى عن امرأة فرعون إنها قالت رب ابني لي عندك بيتاً في الجنة ومحال أن يقول قائل لمن نسج له ثوباً أو بنى له بيتاً أنسج لي ثوباً وابن لي بيتاً وأصرح من هذا قول النبي ﷺ: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» متفق عليه وهذه جملة مركبة من شرط وجزاء تقتضي وقوع الجزاء بعد الشرط بإجماع أهل العربية وهذا ثابت عن النبي ﷺ من رواية عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وجابر بن عبد الله وأنس بن مالك وعمرو بن عنبسة قالوا وقد

جاءت آثار بأن الملائكة تغرس فيها وتبنى للعبد ما دام يعمل فإذا فتر فتر الملك عن العمل. قالوا وقد روى ابن حبان في صحيحه والإمام أحمد في مسنده من حديث أبي موسى الأشعري قال قال رسول اللّه ﷺ: «إذا قبض اللّه ولد العبد قال يا ملك الموت قبضت ولد عبدي، قبضت قرة عينه وثمرة فؤاده؟ قال نعم قال فما قال؟ قال حمدك واسترجع قال ابنوا له بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» وفي المسند من حديثه أيضاً قال قال رسول اللّه صلى اللّه عليه وآله وسلم: «من صلى في يوم وليلة ثنتي عشرة ركعة سوى الفريضة بنى اللّه له بيتاً في الجنة» قالوا وليس هذا من أقوال أهل البدع والاعتزال كما زعمتم فهذا ابن مزين قد ذكر في تفسيره عن ابن نافع وهو من أئمة السنة أنه سئل عن الجنة أمخلوقة هي؟ فقال السكوت عن هذا أفضل واللّه أعلم.

الباب الثامن
في الجواب عما احتجت به هذه الطائفة

قد تقدم في الباب الأول من ذكر الأدلة الدالة على وجود الجنة الآن ما فيه كفاية فنقول ما تعنون بقولكم إن الجنة لم تخلق بعد، أتريدون أنها الآن عدم محض لم تدخل إلى الوجود بعد بل هي بمنزلة النفخ في الصور وقيام الناس من القبور؟ فهذا قول باطل يرده المعلوم بالضرورة من الأحاديث الصريحة الصحيحة التي تقدم بعضها وسيأتي بعضها وهذا قول لم يقله أحد من السلف ولا أهل السنة وهو باطل قطعاً. أم تريدون أنها لم تخلق بكمالها، وجميع ما أعد اللّه فيها لأهلها وأنها لا يزال اللّه يحدث فيها شيئاً بعد شيء وإذا دخلها المؤمنون أحدث اللّه فيها عند دخولهم أموراً أخر فهذا حق لا يمكن رده، وأدلتكم هذه إنما دلت على هذا القدر وحديث ابن مسعود الذي ذكرتموه وحديث أبي الزبير عن جابر صريحان في أن أرضها مخلوقة وأن الذكر ينشيء اللّه سبحانه لقائله منه غراساً في تلك الأرض، وكذا بناء البيوت فيها بالأعمال المذكورة والعبد كلما وسع في أعمال البر وسع له في الجنة وكلما عمل خيراً غرس له به هناك غراس وبنى له بناء، وأنشيء له من عمله أنواع مما يتمتع به فهذا القدر لا يدل على أن الجنة لم تخلق بعد ولا يسوغ إطلاق ذلك، وأما احتجاجكم بقوله تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ فإنما أتيتم من عدم فهمكم معنى الآية واحتجاجكم بها على عدم وجود الجنة والنار الآن نظير احتجاج إخوانكم بها على

فنائهما وخرابهما وموت أهلهما فلا أنتم وفقتم لفهم معناها ولا إخوانكم، وإنما وفق لفهم معناها السلف وأئمة الإسلام، ونحن نذكر بعض كلامهم في الآية قال البخاري في صحيحه يقال كل شيء هالك إلا وجهه إلا ملكه ويقال إلا ما أريد به وجهه وقال الإمام أحمد في رواية ابنه عبد الله فأما السماء والأرض فقد زالتا لأن أهلهما صاروا إلى الجنة وإلى النار وأما العرش فلا يبيد ولا يذهب لأنه سقف الجنة والله سبحانه وتعالى عليه فلا يهلك ولا يبيد، وأما قوله تعالى كل شيء هالك إلا وجهه فذلك أن الله سبحانه وتعالى أنزل ﴿**كل من عليها فان**﴾ فقالت الملائكة هلك أهل الأرض وطمعوا في البقاء فاخبر الله تعالى عن أهل السموات وأهل الأرض أنهم يموتون فقال كل شيء هالك يعني ميت إلا وجهه لأنه حي لا يموت فأيقنت الملائكة عند ذلك بالموت انتهى كلامه وقال في رواية أبي العباس أحمد بن جعفر بن يعقوب الأصطخري ذكره أبو الحسين في كتاب الطبقات قال قال أبو عبد الله أحمد بن حنبل هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بعروتها المعروفين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب نبينا ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعةزائل عن منهج السنة وسبيل الحق وساق أقوالهم إلى أن قال وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما الله عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فإن احتج مبتدع أو زنديق بقول الله عز وجل ﴿**كل شيء هالك إلا وجهه**﴾ وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقتا للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً لأن الله عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع وقد ضل عن سواء السبيل. وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمسمائة عام وبين كل سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء وأن الله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والأرضين السبع وما بينهما وما تحت الثرى وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات

ومسفط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الحصا والتراب والرمل ومثاقيل الجبال وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء لا يخفى عليه من ذلك شيء وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم بها فإن احتج مبتدع ومخالف بقول اللّه عز وجل ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ وقوله ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ وقوله ﴿الا هو معهم أينما كانوا﴾ وقوله ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم﴾ ونحو هذا من متشابه القرآن فقل إنما يعني بذلك العلم لأن اللّه عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان، وقال في رواية أبي جعفر الطائي محمد بن عوف بن سفيان الحمصي قال الخلال حافظ إمام في زمانه معروف بالتقدم في العلم والمعرفة كان أحمد بن حنبل يعرف له ذلك ويقبل منه ويسأله عن الرجال من أهل بلده قال أملي على أحمد بن حنبل فذكر رسالة في السنة ثم قال في أثنائها وأن الجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء الخبر قال النبي ﷺ: «دخلت الجنة فرأيت فيها قصراً ورأيت الكوثر، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب برسول اللّه ﷺ وبالقرآن كافر بالجنة والنار، يستتاب فإن تاب وإلا قتل. وقال في رواية عبدوس بن مالك العطار وذكر رسالة في السنة قال فيها والجنة والنار مخلوقتان قد خلقتا كما جاء عن رسول اللّه ﷺ «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها كذا وكذا» فمن زعم أنهما لم يخلقا فهو مكذب بالقرآن وأحاديث رسول اللّه ﷺ ولا أحسبه يؤمن بالجنة والنار فتأمل هذه الأبواب وما تضمنته من النقول والمباحث والنكت والفوائد التي لا تطفر بها في غير هذا الكتاب البتة ونحن اختصرنا الكلام في ذلك ولو بسطناه لقام منه سفر ضخم واللّه المستعان وعليه التكلان وهو الموفق للصواب.

الباب التاسع
في ذكر عدد أبواب الجنة

قال اللّه تعالى: ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ وقال في صفة النار: ﴿حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها﴾ بغير واو فقالت طائفة هذه واو الثمانية دخلت

في أبواب الجنة لكونها ثمـانية، وأبـواب النار سبعـة فلم تدخلهـا الواو، وهـذا قول ضعيف لا دليل عليه ولا تعرفه العرب ولا أئمة العربية وإنمـا هو من استنبـاط بعض المتأخرين، وقالت طائفة أخرى: الواو زائدة والجواب الفعل الذي بعدها كما هو في الآية الثانية وهذا أيضاً ضعيف فإن زيادة الواو غير معروف في كلامهم ولا يليق بأفصح الكـلام أن يكون فيـه حرف زائـد لغير معنى ولا فـائدة وقـالت طائفـة ثالثـة الجواب محذوف وقوله وفتحت أبوابها عطف على قوله جاؤها وهذا اختيار أبي عبيدة والمبرد والزجاج وغيرهم قال المبرد وحذف الجواب أبلغ عند أهـل العلم قال أبـو الفتح ابن جنى: وأصحابنا يدفعون زيادة الواو ولا يجيزونه ويـرون أن الجواب محـذوف للعلم به. بقي أن يقال فما السر في حذف الجواب في آية أهل الجنـة وذكره في آيـة أهل النار؟ فيقال هذا أبلغ في الموضعين فإن الملائكة تسوق أهل النار إليها وأبوابها مغلقة حتى إذا وصلوا إليهـا فتحت في وجوههم فيفجـأهم العذاب بغتـه فحين انتهوا إليهـا فتحت أبوابها بلا مهلة فإن هذا شأن الجزاء المرتب على الشرط أن يكون عقيبه فإنها دار الإهانة والخزي فلم يستأذن لهم في دخولها ويطلب إلى خزنتها أن يمكنوهم من الدخول، وأما الجنة فإنها دار اللّه ودار كرامته ومحل خواصه وأوليائه فإذا انتهوا إليها صادفوا أبوابها مغلقة فيرغبون إلى صاحبها ومالكهـا أن يفتحها لهم ويستشفعـون إليه بأولي العزم من رسله وكلهم يتأخر عن ذلك حتى تقع الدلالة على خاتمهم وسيدهم وأفضلهم فيقول أنا لها فيأتي إلى تحت العرش ويخر ساجداً لربه فيـدعه مـا شاء أن يدعه ثم يأذن له في رفع رأسه وأن يسأل حاجته فيشفع إليه سبحانـه في فتح أبـوابها فيشفعه ويفتحها تعظيماً لخطرها. وإظهاراً لمنزلة رسوله وكرامتـه عليه وإن مثـل هذه الـدار التي هي دار ملك الملوك ورب العالمين إنمـا يدخـل إليها بعـد تلك الأهوال العظيمة التي أولها من حين عقل العبد في هذه الدار إلى أن انتهى إليها، وما ركبه من الأطباق طبقاً بعد طبق وقاساه من الشدائد شدة بعد شدة حتى أذن اللّه تعـالى لخاتم أنبيائه ورسله وأحب خلقه إليه أن يشفع إليه في فتحها لهم وهذا أبلغ وأعظم في تمام النعمة وحصول الفرح والسرور مما يقدر بخلاف ذلك لئلا يتوهم الجاهل أنها بمنزلة الخان الذي يدخله من شاء، فجنـة اللّه عاليـة غاليـة بين الناس وبينهـا من العقبات والمفاوز والأخطار ما لا تنال إلا به فما لمن اتبع نفسه هواها وتمنى على اللّه الأماني ولهذه الدر فليعد عنها إلى ما هو أولى به، وقد خلق له وهـيء له، وتأمل ما في سوق

الفريقين إلى الدارين زمراً من فرحة هؤلاء بإخوانهم وسيرهم معهم كل زمرة على حدة كل مشتركين في عمل متصاحبين فيه على زمرتهم وجماعتهم مستبشرين أقوياء القلوب كما كانوا في الدنيا وقت اجتماعهم على الخير، كذلك يؤنس بعضهم بعضاً ويفرح بعضهم ببعض، وكذلك أصحاب الدار الأخرى يساقون إليها زمراً يلعن بعضهم بعضاً ويتأذى بعضهم ببعض وذلك أبلغ في الخزي والفضيحة والهتيكة من أن يساقوا واحداً واحداً فلا تمهل تدبر قوله زمراً، وقال خزنة أهل الجنة لأهلها سلام عليكم فبدؤهم بالسلام المتضمن للسلامة من كل شر ومكروه أي سلمتم فلا يلحقكم بعد اليوم ما تكرهون، ثم قالوا لهم طبتم فادخلوها خالدين، أي سلامتكم ودخولها بطيبكم فإن اللّٰه حرمها إلا على الطيبين فبشروهم بالسلامة والطيب والدخول والخلود وأما أهل النار فإنهم لما انتهوا إليها على تلك الحال من الهم والغم والحزن وفتحت لهم أبوابها وقفوا عليها وزيدوا على ما هم عليه توبيخ خزنتها وتبكيتهم لهم بقولهم: «ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا» فاعترفوا وقالوا بلى فبشروهم بدخولها والخلود فيها وأنها بئس المثوى لهم؛ وتأمل قول خزنة الجنة لأهلها ادخلوها وقول خزنة النار لأهلها ادخلوا أبواب جهنم، تجد تحته سراً لطيفاً ومعنى بديعاً لا يخفى على المتأمل وهو أنها لما كانت دار العقوبة وأبوابها أفظع شيء وأشده حراً وأعظمه غماً يستقبل فيها الداخل من العذاب ما هو أشد منها ويدنو من الغم والخزي والحزن والكرب بدخول الأبواب فقيل ادخلوا أبوابها صغاراً لهم وإذلالاً وخزياً ثم قيل لهم لا يقتصر بكم على مجرد دخول الأبواب الفظيعة ولكن وراءها الخلود في النار وأما الجنة فهي دار الكرامة والمنزل الذي أعده اللّٰه لأوليائه فبشروا من أول وهلة بالدخول إلى المقاعد والمنازل والخلود فيها وتأمل قوله سبحانه:

﴿جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب﴾

كيف تجد تحته معنى بديعاً وهو أنهم إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي وأما النار فإذا دخلها أهلها اغلقت عليهم أبوابها كما قال تعالى: **﴿إنها عليهم مؤصدة﴾** أي مطبقة مغلقة ومنه سمي الباب وصيداً وهي **﴿مؤصدة في عمد ممددة﴾** قد جعلت العمد ممسكة للأبواب من خلفها كالحجر العظيم الذي يجعل خلف الباب قال مقاتل يعني أبوابها عليهم مطبقة فلا يفتح لها باب ولا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح آخر الأبد، وأيضاً فإن في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم

وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤا ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا وقد اختلف أهل العربية في الضمير العائد من الصفة على الموصوف في هذه الجملة فقال الكوفيون التقدير مفتحة لهم أبوابها والعرب تعاقب بين الألف واللام والإضافة فيقولون مررت برجل حسن العين أي عينه ومنه قوله تعالى: ﴿**فإن الجحيم هي المأوى**﴾ أي مأواه وقال بعض البصريين التقدير مفتحة لهم الأبواب منها فحذف الضمير وما اتصل به قال وهذا التقدير في العربية أجود من أن يجعل الألف واللام بدلاً من الهاء والألف لأن معنى الألف واللام ليس من معنى الهاء والألف في شيء لأن الهاء والألف اسم والألف واللام دخلتا للتعريف ولا يبدل حرف من اسم ولا ينوب عنه. قالوا وأيضاً لو كانت الألف واللام بدلاً من المضير لوجب أن يكون في «مفتحة» ضمير الجنات ويكون المعنى مفتحة هي ثم أبدل منها الأبواب ولو كان كذلك لوجب نصب الأبواب لكون مفتحة قد رفع ضمير الفاعل فلا يجوز أن يرفع به اسم آخر لامتناع ارتفاع فاعلين بفعل واحد فلما ارتفع الأبواب ذل على أن مفتحة خال من ضمير والأبواب مرتفعة به وإذا كان في الصفة ضمير تعين نصب الثاني كما تقول مررت برجل حسن الوجه ولو رفعت الوجه ونونت حسناً لم يجز فالألف واللام إذاً للتعريف ليس إلا فلا بد من ضمير يعود على الموصوف الذي هو جنات عدن ولا ضمير في اللفظ فهو محذوف تقديره الأبواب منها وعندي أن هذا غير مبطل لقول الكوفيين فإنهم لم يريدوا بالبدل إلا أن الألف واللام خلف وعوض عن الضمير تغني عنه، وإجماع العرب على قولهم حسن الوجه وحسن وجهه شاهد بذلك وقد قالوا أن التنوين بدل من الألف واللام بمعنى أنهما لا يجتمعان وكذلك المضاف إليه يكون بدلاً من التنوين والتنوين بدل من الإضافة بمعنى التعاقب والتوارد ولا يريدون بقولهم هذا بدل من هذا أن معنى البدل معنى المبدل منه بل قد يكون في كل منهما معنى لا يكون في الآخر فالكوفيون أرادوا أن الألف واللام في الأبواب أغنت عن الضمير لو قيل أبوابها وهذا صحيح فإن المقصود الربط بين الصفة والموصوف بأمر يجعلها له لا مستقلة فلما كان الضمير عائداً على الموصوف نفي توهم الاستقلال وكذلك لام التعريف فإن كلا من الضمير واللام يعين صاحبه هذا بعين مفسره وهذا يعين ما دخل عليه وقد قالوا في زيد نعم

الرجل إن الألف واللام أغنت عن الضمير والله أعلم. وقد أعرب الزمخشري هذه الآية إعراباً اعترض عليه فيه فقال جنات عدن معرفة كقوله ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ وانتصابها على أنها عطف بيان لحسن مآب ومفتحة حال والعامل فيها ما في المتقين من معنى الفعل وفي مفتحة ضمير الجنات. والأبواب بدل من الضمير تقديره مفتحة هي الأبواب كقولهم ضرب زيد اليد والرجل وهو من بدل الاشتمال، هذا إعرابه فاعترض عليه بأن جنات عدن ليس فيها ما يقتضي تعريفها وأما قوله ﴿التي وعد الرحمن عباده﴾ فبدل لا صفة وبأن جنات عدن لا يسهل أن تكون عطف بيان لحسن مآب على قوله لأن جريان المعرفة على النكرة عطف بيان لا قائل به فإن القائل قائلان أحدهما أنه لا يكون إلا في المعارف كقول البصريين والثاني أنه يكون في المعارف والنكرات بشرط المطابقة كقول الكوفيين وأبي علي الفارسي وقوله أن في مفتحة ضمير الجنات فالظاهر خلافه وأن الأبواب مرتفع به ولا ضمير فيه وقوله أن الأبواب بدل اشتمال فبدل الاشتمال قد صرح هو وغيره أنه لا بد فيه من الضمير وإن نازعهم فيه آخرون ولكن يجوز أن يكون الضمير ملفوظاً به وأن يكون مقدراً وهنا لم يلفظ به فلا بد من تقديره أي الأبواب منها فإذا كان التقدير مفتحة لهم هي الأبواب منها كان فيه تكثير للأضمار وتقليله أولى. وفي الصحيحين من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «في الجنة ثمانية أبواب باب منها يسمى الريان لا يدخله إلا الصائمون». وفي الصحيحين من حديث الزهري عن حميد بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «من أنفق زوجين في شيء من الأشياء في سبيل الله دعى من أبواب الجنة يا عبد الله هذا خير فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة ومن كان من أهل الجهاد دعى من باب الجهاد ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، فقال أبو بكر بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما على من دعى من تلك الأبواب من ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال نعم وأرجو أن تكون منهم» وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب عن النبي ﷺ قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فيبالغ أو فيسبغ الوضوء ثم يقول أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء» زاد الترمذي بعد التشهد (اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين) زاد

أبو داود والإمام أحمد ثم رفع نظ ـه إلى السماء فقال: وعند الإمام أحمد من رواية أنس يرفعه «من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله فتح له أبواب الجنة الثمـانية من أيهـا شاء دخـل». وعن عتبة بن عبـد اللّه السلمي قال سمعت رسـول اللّه ﷺ يقول: «مـا من مسلم يتوفى له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنث إلا تلقوه من أبواب الجنة الثمانية من أيها شاء دخل» رواه ابن ماجه وعبد اللّه بن أحمد عن ابن نمير ثنا إسحق بن سليمان ثنا جرير بن عثمان عن شرخيل بـــن شفعة عن عتبـــة .

الباب العاشر
في ذكر سعة أبوابها

عن أبي هريرة قال: «وضعت بين يدي رسـول اللّه ﷺ قصعة من ثـريد ولحم فتناول الذراع وكان أحب الشاة إليه فنهش نهشة وقال أنا سيد الناس يوم القيامة، ثم نهش أخرى وقال أنا سيد الناس يوم القيامة فلما رأى أصحابه لا يسألونه قال ألا تقولون كيف؟ قالوا كيف يـا رسول اللّه؟ قـال يقوم النـاس لرب العـالمين فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر فذكر حديث الشفاعة بطوله وقال في آخره فانطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي فيقيمني رب العالمين مقـاماً لم يقمـه أحداً قبلي ولن يقيمـه أحداً بعدي فأقول يا رب أمتي أمتي فيقول يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب، والذي نفس محمد بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو هجر ومكة» وفي لفظ «لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى» متفق على صحتـه. وفي لفظ خارج الصحيح بإسناده «إن ما بين عضادتي الباب لكما بين مكة وهجر» وعن خالد بن عمير العدوي قال: «خطبنا عتبة بن غزوان فحمد اللّه وأثنى عليه ثم قـال: أما بعـد، فإن الدنيا قد آذنت بصرم وولت حذاء، ولم يبق منها إلا صبـابة كصبـابة الإنـاء يصطبهـا صاحبها، وأنكم منقلبون منها إلى دار لا زوال لها فانقلبوا بخير ما بحضرتكم. ولقد ذكر لنا أن مصراعين من مصاريع الجنة بينهما مسيرة أربعين سنة وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، فهذا موقوف والذي قبله مرفوع فإن كان رسول اللّه ﷺ هو الذاكر له كان هذا ما بين باب من أبوابها ولعله الباب الأعظم، وإن كان الذاكر ذلك غير رسول

اللّه ﷺ لم يقدم على حديث أبي هريرة المتقدم ولكن قد روى الإمام أحمد في مسنده من طريق حماد بن سلمة قال سمعت الجريري يحدث عن حكيم بن معاوية عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ قال: «أنتم موفون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على اللّه وما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين عاماً وليأتين عليه يوم وله كظيظ» وقد رواه ابن أبي داود أنبأنا إسحاق بن شاهين أنبأنا خالد عن الجريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه يرفعه: «ما بين كل مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة سبع سنين» وروينا في مسند عبد بن حميد أنبأنا الحسن بن موسى أنبأنا ابن لهيعة أنبأنا دراج أبو السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن رسول اللّه ﷺ قال: «إن ما بين مصراعين في الجنة لمسيرة أربعين سنة» وحديث أبي هريرة أصح وهذه النسخة ضعيفة واللّه أعلم. وروى أبو الشيخ أنبأنا جعفر بن أحمد بن فارس أنبأنا يعقوب بن حميد أنبأنا معن حدثنا خالد بن أبي بكر عن سالم بن عبد اللّه عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «الباب الذي يدخل منه أهل الجنة مسيرة الراكب المجد ثلاثاً، ثم أنهم ليضطغطون عليه حتى تكاد مناكبهم تزول» رواه أبو نعيم عنه وهذا مطابق للحديث المتفق عليه: «إن ما بين المصراعين كما بين مكة وبصرى» فإن الراكب المجد غاية الإجادة على أسرع هجين لا يفتر ليلاً ولا نهاراً يقطع هذه المسافة في هذا القدر أو قريب منه. وأما حديث حكيم بن معاوية فقد اضطرب رواته فحماد بن سلمة ذكر عن الجريري التقدير بأربعين عاماً وخالد ذكر عنه التقدير بسبع سنين وحديث أبي سعيد المرفوع فيه التقدير بأربعين عاماً على طريقة دراج عن أبي الهيثم. قال الإمام أحمد: أحاديث دراج مناكير وقال أبو حاتم الرازي ضعيف وقال النسائي ليس بالقوى فالصحيح المرفوع السالم عن الاضطراب والشذوذ والعلة حديث أبي هريرة المتفق على صحته. على أن حديث حكيم بن معاوية ليس التقدير فيه بظاهر الرفع ويحتمل أنه مدرج في الحديث موقوف فيكون كحديث عتبة بن غزوان.

الباب الحادي عشر
في صفة أبوابها وأنها ذات حلق

روى الوليد بن مسلم عن خليد عن الحسن (مفتحة لهم الأبواب) قال أبواب ترى وذكر أيضاً عن خليد عن قتادة قال: أبواب يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من

ظاهرها تتكلم وتكلم، وتفهم ما يقال لها، انفتحي إنغلقي. وقال أبو الشيخ أنبأنا محمد بن عبد اللَّه بن محمد القيسي أنبأنا محمد بن إسحاق أنبأنا أحمد بن أبي الحواري أنبأنا عبد اللَّه بن غياث عن الفزاري قال: «لكل مؤمن في الجنة أربعة أبواب فباب يدخل عليه منه زواره من الملائكة: وباب يدخل عليه منه أزواجه من الحور العين، وباب مقفل فيما بينه وبين أهل النار يفتحه إذا شاء ينظر إليهم لتعظم النعمة عليه، وباب فيما بينه وبين دار السلام يدخل منه على ربه إذا شاء» وقد روى سهيل بن أبي صالح عن زياد النميري عن أنس بن مالك قال قال رسول اللَّه ﷺ: «أنا أول من آخذ بحلقة باب الجنة ولا فخر» وفي حديث الشفاعة الطويل من رواية ابن عيينة عن علي بن زيد عن أنس قال قال رسول اللَّه ﷺ (فآخذ بحلقة باب الجنة فأقعقعها) وهذا صريح في أنها حلقة حسية تحرك وتقعقع. وروى سهيل عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي» ويذكر عن علي رضي اللَّه عنه: «من قال لا إله إلا اللَّه الملك الحق المبين في كل يوم مائة مرة كان له أمان من الفقر ومن وحشة القبر واستجلب به الغنى واستقرع به باب الجنة».

(فصل)

ولما كانت الجنات درجات بعضها فوق بعض كانت أبوابها كذلك وباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها وكلما علت الجنة اتسعت، فعاليها أوسع مما دونه وسعة الباب بحسب وسع الجنة ولعل هذا وجه الاختلاف الذي جاء في مسافة ما بين مصراعي الباب فإن أبوابها بعضها أعلى من بعض، ولهذه الأمة باب مختص بهم يدخلون منه دون سائر الأمم كما في المسند من حديث ابن عمر عن النبي ﷺ قال: «باب أمتي الذي يدخلون منه الجنة عرض مسيرة الراكب ثلاثاً ثم أنهم ليضطغطون حتى تكاد مناكبهم تزول» وفيه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي» الحديث وسيأتي بتمامه إن شاء الله تعالى. وقال خلف بن هشام البزار ثنا أبو شهاب عن عمرو بن قيس الملائي عن أبي إسحاق عن عاصم بن حمزة عن علي بن أبي طالب قال: «إن أبواب الجنة هكذا بعضها فوق بعض ثم قرأ حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها إذا هم عندها بشجرة في أصلها عينان تجريان فيشربون من إحداهما فلا تترك في بطونهم قذي ولا أذى إلا رمته

ويغتسلون من الأخرى فتجري عليهم نضرة النعيم فلا تشعث رؤوسهم ولا تغير أبشارهم بعد هذا أبداً، ثم قرأ طبتم فادخلوها خالد بن فيدخل الرجل وهو يعرف منزله ويتلقاهم الولدان فيستبشرون برؤيتهم كما يستبشر الأهل بالحميم يقدم من الغيبة فينطلقون إلى أزواجهم فيخبرونهم بمعانتهم فنقول أنت رأيته؟ فيقوم إلى الباب فيدخل إلى بيته فيتكيء على سريره فينظر إلى أساس بيته فإذا هو قد أسس على اللؤلؤ ثم ينظر في أخضر وأحمر وأصفر ثم يرفع رأسه إلى سماء بيته فلولا أنه خلق له لا التمع[١] بصره فيقول الحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا اللّه» واللّه أعلم.

الباب الثاني عشر
في ذكر مسافة ما بين الباب والباب

روينا في معجم الطبراني أنبأنا مصعب بن إبراهيم بن حمزة الزبيري وعبد اللّه بن الصقر السكري قالا أنبأنا إبراهيم بن المنذر الحرامي ثنا عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن بن عبد اللّه بن خالد بن حرام حدثني عبد الرحمن بن عياش الأنصاري حدثنا دلهم بن الأسود بن عبد اللّه بن حاجب بن المنتفق. قال دلهم وحدثنيه أيضاً أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيط بن عامر خرج وافداً إلى رسول اللّه ﷺ قال: «قلت يا رسول اللّه فما الجنة والنار؟ قال لعمر الهك أن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وأن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً» وذكر الحديث بطوله وهذا الظاهر منه أن هذه المسافة بين الباب والباب لأن ما بين مكة وبصرى لا يحتمل التقدير بسبعين عاماً ولا يمكن حمله على باب معين لقوله ما منهن بابان واللّه أعلم.

---

(١) أي اختلس.

الباب الثالث عشر
في مكان الجنة وأين هي؟

قال اللّه تعالى : ﴿ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهي عندها جنة المأوى﴾ - وقد ثبت أن سدرة المنتهى فوق السماء وسميت بذلك لأنها ينتهي إليها ما ينزل من عند اللّه فيقبض منها وما يصعد إليه فيقبض منها وقال تعالى ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون﴾ قال ابن أبي نجيح عن مجاهد هو الجنة وكذلك تلقاه الناس عنه وقد ذكر ابن المنذر في تفسيره وغيره أيضاً عن مجاهد قال هو الجنة والنار وهذا يحتاج إلى تفسير فإن النار في أسفل السافلين ليست في السماء ومعنى هذا ما قاله في رواية ابن أبي نجيح عنه وقاله أبو صالح عن ابن عباس الخير والشر كلاهما يأتي من السماء وعلى هذا فالمعنى أسباب الجنة والنار بقدر ثابت في السماء من عند اللّه. وقال الحارث بن أبي أسامة حدثنا عبد العزيز بن أبان حدثنا مهدي بن ميمون حدثنا محمد بن عبد اللّه بن أبي يعقوب عن بشر بن شغاف قال سمعت عبد اللّه بن سلام يقول: «إن أكرم خليقة اللّه أبو القاسم ﷺ وإن الجنة في السما» رواه أبو نعيم عنه قال ورواه معمر بن راشد عن محمد بن أبي يعقوب مرفوعاً ثم ساقه من طريق ابن منيع قال ثنا عمر والناقد ثنا عمرو بن عثمان ثنا موسى بن أعين عن معمر به مرفوعاً. ثم ساق من طريق محمد بن فضيل ثنا محمد بن عبد اللّه عن عطية عن ابن عباس أنه قال: «الجنة فوق السماء السابعة ويجعلها اللّه حيث شاء يوم القيامة، وجهنم في الأرض السابعة» وقال ابن منده ثنا أحمد بن إسحاق قال ثنا أبو أحمد الزبيري ثنا محمد بن عبد اللّه عن سلمة بن كهيل عن أبي الزعراء عن عبد اللّه قال: «الجنة في السماء الرابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها اللّه حيث يشاء، والنار في الأرض السابعة فإذا كان يوم القيامة جعلها اللّه حيث يشاء» وقال مجاهد: «قلت لابن عباس أين الجنة؟ قال فوق سبع سموات؟ قلت فأين النار قال تحت سبعة أبحر مطبقة» رواه ابن منده عن أحمد بن إسحاق عن الزبيري عن إسرائيل عن ابن أبي يحيى عن مجاهد. وأما الأثر الذي رواه أبو بكر بن أبيَ شيبة ثنا عيسى بن يونس عن نوير بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد اللّه بن عمرو قال: «الجنة مطوية معلقة بقرون الشمس تنشر في كل عام مرة وأن أرواح المؤمنين في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر الجنة» فهذا قد يظهر منه التناقض بين أول كلامه وآخره ولا تناقض فيه فإن الجنة المعلقة بقرون الشمس ما

يحدثه اللّٰه سبحانه وتعالى بالشمس في كل سنة مرة من أنواع الثمار والفواكه والنبات جعله اللّٰه تعالى مذكراً بتلك الجنة وآية دالة عليها كما جعل هذه النار مذكرة بتلك وإلا فالجنة التي عرضها السموات والأرض ليست معلقة بقرون الشمس وهي فوق الشمس وأكبر منها وقد ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنه قال: «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض» وهذا يدل على أنها في غاية العلو والارتفاع واللّٰه أعلم. والحديث له لفظان هذا احدهما والثاني «إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض أعدها اللّٰه للمجاهدين في سبيله» وشيخنا يرجح هذا اللفظ وهو لا ينفي أن يكون درج الجنة أكثر من ذلك ونظير هذا قوله في الحديث الصحيح «إن للّٰه تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنة» أي من جملة أسمائه هذا القدر فيكون الكلام جملة واحدة في الموضعين ويدل على صحة هذا أن منزلة نبينا ﷺ فوق هذا كله في درجة في الجنة ليس فوقها درجة وتلك المائة ينالها آحاد أمته بالجهاد والجنة مقببة أعلاها وأوسعها ووسطها هو الفردوس وسقفه العرش كما قال ﷺ في الحديث الصحيح: «إذا سألتم فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة» قال شيخنا أبو الحجاج المزي والصواب رواية من رواه وفوقه بضم القاف على أنه اسم لا ظرف أي وسقفه عرش الرحمن «فإن قيل» فالجنة جميعها تحت العرش والعرش سقفها فإن الكرسي وسع السموات والأرض والعرش أكبر منه «قيل» لما كان العرش أقرب إلى الفردوس مما دونه من الجنات بحيث لا جنة فوقه دون العرش كان سقفاً له دون ما تحته من الجنات، ولعظم سعة الجنة وغاية ارتفاعها يكون الصعود من أدناها إلى أعلاها بالتدريج شيئاً فشيئاً درجة فوق درجة كما يقال لقارىء القرآن اقرأ وارق فإن منزلتك عند آخر آية تقرأها، وهذا يحتمل شيئين أن تكون منزلته عند آخر حفظه وأن تكون عند آخر تلاوته لمحفوظه واللّٰه أعلم.

الباب الرابع عشر
في مفتاح الجنة

قال الحسن بن عرفة ثنا إسماعيل بن عياش عن عبد اللّٰه بن عبد الرحمن بن أبي حسن عن شهر بن حوشب عن معاذ بن جبل قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «مفتاح

الجنة شهادة أن لا إله إلا اللّه» رواه الإمام أحمد في مسنده ولفظه «مفتاح الجنة شهادة أن لا إله إلا اللّه» وذكر البخاري في صحيحه عن وهب بن منبه أنه قيل له أليس مفتاح الجنة لا إله إلا اللّه؟ قال بلى، ولكن ليس من مفتاح إلا وله أسنان فإن أتيت بمفتاح له أسنان فتح لك وإلا لم يفتح» وروى أبو نعيم من حديث أبان عن أنس قال قال أعرابي: «يا رسول اللّه ما مفتاح الجنة؟ قال لا إله إلا اللّه» وذكر أبو الشيخ من حديث الأعمش عن مجاهد عن يزيد بن سخيرة قال: «إن السيوف مفاتيح الجنة» وفي المسند من حديث معاذ بن جبل قال قال رسول اللّه ﷺ: «ألا أدلك على باب من أبواب الجنة؟ قلت بلى، قال لا حول ولا قوة إلا باللّه» وقد جعل اللّه سبحانه لكل مطلوب مفتاحاً يفتح به فجعل مفتاح الصلاة الطهور كما قال ﷺ «مفتاح الصلاة الطهور» ومفتاح الحج الإحرام ومفتاح البر الصدق ومفتاح الجنة التوحيد، ومفتاح العلم حسن السؤال وحسن الإصغاء، ومفتاح النصر والظفر الصبر، ومفتاح المزيد الشكر، ومفتاح الولاية المحبة والذكر، ومفتاح الفلاح التقوى، ومفتاح التوفيق الرغبة والرهبة ومفتاح الإجابة الدعاء، ومفتاح الرغبة في الآخرة الزهد في الدنيا، ومفتاح الإيمان التفكر فيما دعا اللّه عباده إلى التفكر فيه، ومفتاح الدخول على اللّه إسلام القلب وسلامته له والإخلاص له في الحب والبغض والفعل والترك، ومفتاح حياة القلب تدبر القرآن والتضرع بالأسحار وترك الذنوب، ومفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده، ومفتاح الرزق السعي مع الاستغفار والتقوى، ومفتاح العز طاعة اللّه ورسوله، ومفتاح الاستعداد للآخرة قصر الأمل، ومفتاح كل خير الرغبة في اللّه والدار الآخرة، ومفتاح كل شر حب الدنيا وطول الأمل. وهذا باب عظيم من أنفع أبواب العلم وهو معرفة مفاتيح الخير والشر لا يوفق لمعرفته ومراعاته إلا من عظم حظه وتوفيقه فإن اللّه سبحانه وتعالى جعل لكل خير وشر مفتاحاً وباباً يدخل منه إليه كما جعل الشرك والكبر والإعراض عما بعث اللّه به رسوله، والغفلة عن ذكره والقيام بحقه مفتاحاً للنار، وكما جعل الخمر مفتاح كل إثم، وجعل الغنى مفتاح الزنا، وجعل إطلاق النظر في الصور مفتاح الطلب والعشق، وجعل الكسل والراحة مفتاح الخيبة والحرمان، وجعل المعاصي مفتاح الكفر، وجعل الكذب. مفتاح النفاق وجعل الشح والحرص مفتاح البخل وقطيعة الرحم وأخذ المال من غير حله، وجعل الإعراض عما جاء به الرسول مفتاح كل بدعة وضلالة، وهذه الأمور لا يصدق بها إلا كل من له

بصيرة صحيحة وعقل يعرف به ما في نفسه وما في الوجود من الخير والشر فينبغي للعبد أن يعتني كل الاعتناء بمعرفة المفاتيح وما جعلت المفاتيح له والله من وراء توفيقه وخذ.له له الملك وله الحمد وله النعمة والفضل لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون.

الباب الخامس عشر
في توقيع الجنة ومنشورها الذي يوقع به لاصحابها عند الموت وعند دخولها

قال تعالى: **﴿كلا إن كتاب الأبرار لفي عليين، وما أدراك ما عليون؟ كتاب مرقوم يشهده المقربون﴾** فأخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابة حقيقة وخص تعالى كتاب الأبرار بأنه يكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجار تنويهاً بكتاب الأبرار وما وقع لهم به، وإشهاراً له وإظهاراً بين خواص خلقه كما يكتب الملوك تواقيع من تعظمه بين الأمراء وخواص أهل المملكة تنويهاً باسم المكتوب له وإشادة بذكره. وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده، وروى الإمام أحمد في مسنده وابن حبان وأبو عوانة الأسفرايني في صحيحيهما من حديث المنهال عن زاذان عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى جنازة فجلس رسول الله ﷺ على القبر وجلسنا حوله كأن على رؤوسنا الطير وهو يلحد له، فقال أعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال إن المؤمن إذا كان في إقبال من الآخرة وانقطاع من الدنيا تنزلت إليه الملائكة كأن على وجوههم الشمس مع كل واحد منهم حنوط وكفن فجلسوا منه مد بصره ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض، قال فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب؟ فيقولون فلان ابن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم

ويشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التي تليها حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله عز وجل فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين وأعيدوه إلى الأرض فإني منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى. قال فتعاد روحه في جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له ربك؟ فيقول ربي اللّٰه، فيقولان له ما دينك؟ فيقول ديني الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول هو رسول اللّٰه ﷺ فيقولان له وما علمك؟ فيقول قرأت كتاب اللّٰه فآمنت به وصدقت، قال فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره، قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذي يسرك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول له من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالخير؟ فيقول أنا عملك الصالح، فيقول رب اقم الساعة، رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي، قال وأن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال على الدنيا نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من اللّٰه وغضب، قال فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح ويخرج منها كأنين ريح جيفة وجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي إلى سماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له، ثم قرأ رسول اللّٰه ﷺ (لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط) فيقول اللّٰه عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى وتطرح روحه طرحاً ثم قرأ رسول اللّٰه ﷺ (ومن يشرك باللّٰه فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق) فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك؟ فيقول هاه هاه!!! لا أدري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم؟ فيقول ها هاه، لآ أدري، فينادي مناد من السماء أن كذب عبدي فأفرشوه من النار وافتحوا له باباً إلى النار، فيأتيه من حرها وسمومها، ويضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه، ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح،

فيقول له أبشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد، فيقول من أنت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر؟ فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة» ورواه أبو داود بطوله بنحوه فهذا التوقيع والمنشور الأول.

فصل وأما المنشور الثاني

فقال الطبراني في معجمه: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الديري عن عبد الرزاق عن سفيان الثوري عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم عن عطاء بن يسار عن سلمان الفارسي قال قال رسول اللّه ﷺ: «لا يدخل الجنة أحد إلا بجواز بسم اللّه الرحمن الرحيم هذا كتاب من اللّه لفلان بن فلان أدخلوه جنة عالية قطوفها دانية» وأخبرنا سليمان بن حمزة الحاكم أنبأنا محمد بن عبد الواحد المقدسي أنبأنا زاهر الثقفي أن عبد السلام بن محمد بن عبد اللّه أخبرهم أنبأنا المطهر بن عبد الواحد البراقي حدثنا محمد بن إسحاق بن منده أنبأنا محمد بن علي البلخي حدثنا محمد بن حسام حدثنا العباس بن زياد ثقة ثنا سعدان بن سعيد ثنا سليمان التيمي عن أبي عثمان النهدي عن سلمان الفارسي أن النبي ﷺ قال: «يعطى المؤمن جوازاً على الصراط بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان ابن فلان ادخلوه جنة عالية قطوفها دانية» قلت وقع المؤمن في قبضة أصحاب اليمين يوم القبضتين ثم كتب من أهل الجنة يوم نفخ الروح فيه ثم يكتب في ديوان أهل الجنة يوم موته ثم يعطي هذا المنشور يوم القيامة فاللّه المستعان.

الباب السادس عشر
في توحد طريق الجنة وأنه ليس لها إلا طريق واحد

هذا مما اتفقت عليه الرسل من أولهم إلى خاتمهم صلوات الله وسلامه عليهم (وأما) طرق الجحيم فأكثر من أن تحصى ولهذا يوحد سبحانه سبيله ويجمع سبل النار كقوله تعالى: ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله﴾ وقال: ﴿وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر﴾ أي ومن السبيل جائر عن القصد وهي سبيل الغي وقال: ﴿هذا صراط على مستقيم﴾ وقال ابن مسعود: «خط لنا

رسول الله ﷺ خطاً وقال هذا سبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن يساره ثم قال هذه سبل وعلى كل سبيل منها شيطان يدعو إليه، ثم قرأ وأن هـذا صراطي مستقيمـاً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل» الآية فإن قيل فقد قال الله تعالى. **﴿قـد جاءكم من الله نـور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام﴾** قيل هي سبل تجمع في سبيل واحد وهي بمنزلة الجواد والطرق في الطريق الأعـظم فهذه هي شعب الإيمـان يجمعها الإيمان وهو شعبة كما يجمع ساق الشجرة أغصانها وشعبها، وهذه السبل هي إجابة داعي الله بتصديق خبره وطاعة أمره وطريق الجنة هي إجابة الداعي إليهـا ليس إلا، وقد روى البخاري في صحيحه عن جابر قال: «جـاءت ملائكـة إلى النبي ﷺ فقال بعضهم إنه نائم وقال بعضهم العين نائمة والقلب يقظان فقالوا أن لصاحبكم هذا مثلاً فاضربوا له مثلاً، فقالوا مثله مثل رجل بنى داراً وجعل فيهـا مأدبـة وبعث داعياً فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم يأكل من المأدبة، فقالوا أولوها له يفقهها فقال بعضهم أن العين نائمة والقلب يقظان، الدار الجنة والداعي محمد، فمن أطاع محمداً فقد أطاع اللَّه ومن عصى محمداً فقد عصى اللَّه ومحمد فرق بين النـاس» ورواه الترمـذي عنه ولفـظه «خرج علينـا رسول اللَّه ﷺ يوماً فقال إني رأيت في المنام كأن جبريل عند رأسي وميكائيل عند رجلي، يقول أحدهما لصاحبه إضرب له مثلاً فقال اسمع سمعت أذنك، واعقل عقل قلبك، إنما مثلك ومثل أمتك كمثل ملك اتخذ داراً ثم بنى فيها بيتاً ثم جعل مـائدة ثم بعث رسولاً يدعو الناس إلى طعامه فمنهم من أجاب الرسـول ومنهم من تركـه، فاللَّه هـو الملك والـدار الإسلام والبيت الجنـة وأنت يا محمـد الرسـول، فمن أجابـك دخـل الإسـلام، ومن دخل الإسـلام دخل الجنـة ومن دخل الجنـة أكل مـا فيها» وصحـح الترمذي من حديث عبد اللَّه بن مسعود قال «صلى رسول اللَّه ﷺ العشاء ثم انصرف فأخذ بيدي حتى خرج بي إلى بـطحاء مكـة فأجلسني ثم خط علي خـطا ثم قال لا تبرحن خطك فإنه سينتهي إليك رجال فلا تكلمهم فإنهم لا يكلمونك ثم مضى رسول الله ﷺ حيث أراد فبينـا أنا جـالس في خطي إذ أتـاني رجال كـأنهم الزط أشعـارهم وأجسامهم لا أرى عورة ولا أرى بشراً وينتهون إلي لا يجـاوزون الخط ثم يصدرون إلى رسـول اللَّه ﷺ حتى إذا كان آخـر الليل[1] لكن رسـول اللَّه ﷺ قد جـاءني وأنا

(١) من قوله لئن الخ كذا في النسخ ولعل في الحديث تحريفاً فليراجع. ع.

جالس فقال لقد رآني. منذ الليلة ثم دخل علي في خطي فتوسد فخذي فرقد وكان رسول الله ﷺ إذا رقد نفخ فبينا أنا قاعد ورسول الله ﷺ متوسد فخذي إذا برجال عليهم ثياب بيض الله أعلم ما بهم من الجمال فانتهوا إلي فجلس طائفة منهم عند رأس رسول الله ﷺ وطائفة منهم عند رجليه ثم قالوا ما رأينا عبداً قد أوتي مثل ما أوتي هذا النبي إن عينيه تنامان وقلبه يقظان اضربوا له مثلاً، مثل سيد بنى قصراً ثم جعل مأدبة فدعا الناس إلى طعامه وشرابه فمن أجابه أكل من طعامه وشرب من شرابه ومن لم يجبه عاقبه أو قال عذبه ثم ارتفعوا واستيقظ رسول اللّه ﷺ عند ذلك فقال سمعت ما قال هؤلاء؟ وهل تدري من هم؟ قلت الله ورسوله أعلم. قال هم الملائكة فتدري ما المثل الذي ضربوه؟ قلت الله ورسوله أعلم، قال الرحمن بنى الجنة ودعا إليها عباده فمن أجابه دخل الجنة ومن لم يجبه عذبه».

الباب السابع عشر
في درجات الجنة

قال تعالى: ﴿**لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل اللّه بأموالهم وأنفسهم، فضل اللّه المجاهدين بأموالهم على القاعدين درجة، وكلا وعد اللّه الحسنى، وفضل اللّه المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً، درجات منه ومغفرة ورحمة وكان اللّه غفوراً رحيماً**﴾ ذكر ابن جرير عن هشام بن حسان عن جبلة بن عطية عن ابن محيريز قال: «فضل اللّه المجاهدين على القاعدين أجراً عظيماً درجات منه قال هي سبعون درجة ما بين الدرجتين عدو الفرس الجواد المضمر سبعين عاماً» وقال ابن المبارك أنبأنا سلمة بن نبيط عن الضحاك في قوله تعالى ﴿**لهم درجات عند ربهم**﴾ قال بعضهم أفضل من بعض فيرى الذي قد فضل به فضله ولا يرى الذي هو أسفل منه أنه فضل عليه أحد من الناس وتأمل قوله كيف أوقع التفضيل أولاً بدرجة ثم أوقعه ثانياً بدرجات فقيل الأول بين القاعد المعذور والمجاهد والثاني بين القاعد بلا عذر والمجاهد وقال تعالى: ﴿**أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون**﴾ وقال تعالى: ﴿**إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله، وجلت قلوبهم وإذا تليت**

عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون، الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾ وفي الصحيحين من حديث مالك عن صفوان بن سليم عن عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما يتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم، قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال بلى، والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ولفظ البخاري في الأفق وهو أبين والغابر هو الذاهب الماضي الذي قد تدلى للغروب، وفي التمثيل به دون الكوكب المسامت للرأس وهو أعلى فائدتان، (إحداهما) بعده عن العيون (والثانية) أن الجنة درجات بعضها أعلى من بعض وأن لم تسامت العليا السفلى كالبساتين الممتدة من رأس الجبل إلى ذيله والله أعلم. وفي الصحيحين أيضاً من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرفة في الجنة كما ترون الكوكب في أفق السماء». وقال الإمام أحمد حدثنا فرات أخبرني فليح عن هلال يعني ابن علي عن عطاء عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون في الجنة كما تراءون أو ترون الكوكب الدري الغارب في الأفق الطالع في تفاضل الدرجات» قالوا يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال بلى والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» ورجال هذا الإسناد احتج بهم البخاري في صحيحه وفي هذا الحديث الغارب وفي حديث أبي سعيد الخدري الغابر، وقوله الطالع صفة للكوكب وصفه بكونه غارباً وبكونه طالعاً وقد صرح بهذا المعنى في الحديث الذي رواه ابن المبارك عن فليح بن سلمان عن هلال بن علي عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليتراءون في الغرف كما يرى الكوكب الشرقي والكوكب الغربي في الأفق في تفاضل الدرجات، قالوا يا رسول الله أولئك النبيون؟ قال بلى، والذي نفسي بيده وأقوام آمنوا بالله وصدقوا المرسلين» وهذا على شرط البخاري أيضاً. وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المتحابين لترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي فيقال من هؤلاء؟ فيقال هؤلاء المتحابون في الله عز وجل». وفي المسند من حديث أبي سعيد الخدري أيضاً عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة ولو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن وسعتهم» وفي المسند عنه

أيضاً عن النبي ﷺ قال: «يقال لصاحب القرآن إذا دخل الجنة اقرأ واصعد فيقرأ ويصعد بكل آية درجة حتى يقرأ آخر شيء معه» وهذا صريح في أن درج الجنة تزيد على مائة درجة، وأما حديث أبي هريرة الذي رواه البخاري في صحيحه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة فوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنها الجنة» فأما أن تكون هذه المائة من جملة الدرج وإما أن تكون نهايتها هذه المائة وفي ضمن كل درجة درجة دونها، ويدل على المعنى الأول حديث زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار عن معاذ بن جبل قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول «من صلى هؤلاء الصلوات الخمس وصام شهر رمضان كان حقاً على الله أن يغفر له هاجر أو قعد حيث ولدته أمه، قلت يا رسول الله ألا أخرج فأوذن الناس؟ قال لا؛ ذر الناس يعملون وإن في الجنة مائة درجة بين كل درجتين منها مثل ما بين السماء والأرض، وأعلى درجة منها الفردوس وعليها يكون العرش وهي أوسط شيء في الجنة ومنها تفجر أنهار الجنة، وإذا سألتم الله فسلوه الفردوس» رواه الترمذي هكذا بلفظه وروى أيضاً من حديث عطاء عن عبادة بن الصامت أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة مائة درجة» ثم ذكر نحو حديث معاذ وفيه أيضاً من حديث عطاء عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مائة عام» قال هذا حديث حسن غريب. وفيه أيضاً من حديث أبي سعيد يرفعه «إن في الجنة مائة درجة لو أن العالمين اجتمعوا في إحداهن لو سعتهم» ورواه أحمد بدون لفظة في كما تقدم وقد رويت هذه الأحاديث بلفظة في وبدونها وإن كان المحفوظ ثبوتها فهي من جملة درجها، وإن كان المحفوظ سقوطها فهي الدرج الكبار المتضمنة للدرج الصغار والله أعلم. ولا تناقض بين تقدير ما بين الدرجتين بالمائة وتقديره بالخمسمائة لاختلاف السير في السرعة والبطء والنبي ﷺ ذكر هذا تقريباً للإفهام ويدل عليه حديث زيد بن حبان حدثنا عبد الرحمن بن شريح حدثني أبو هانيء التجيبي سمعت أبا علي التجيبي سمعت أبا سعيد الخدري يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول «مائة درجة في الجنة ما بين الدرجتين ما بين السماء والأرض، أو بعد ما بين السماء والأرض، قلت يا رسول الله لمن؟ قال للمجاهدين في سبيل الله».

الباب الثامن عشر
في ذكر أعلى درجاتها واسم تلك الدرجة

روى مسلم في صحيحه من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى اللَّه عليه عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلَّا لعبد من عباد اللَّه وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه شفاعتي» وقال أحمد أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا سفيان عن ليث عن كعب عن أبي هريرة أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إذا صليتم فسلوا اللَّه لي الوسيلة قيل يا رسول اللَّه وما الوسيلة؟ قال أعلى درجة في الجنة لا ينالها إلا رجل واحد وأرجو أن أكون أنا هو» هكذا الرواية (أن أكون أنا هو) ووجهها أن تكون الجملة خبراً عن اسم كان المستتر فيها ولا يكون أنا فصلًا ولا توكيداً بل مبتدأ. وفي الصحيحين من حديث جابر قال قال رسول اللَّه ﷺ: «من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته، إلا حلت له الشفاعة يوم القيامة». هكذا لفظ الحديث «مقاماً» بالتنكير ليوافق لفظ الآية ولأنه لما تعين وانحصر نوعه في شخصه جرى مجرى المعرفة فوصف بما توصف به المعارف وهذا ألطف من جعل الذي وعدته بدلًا فتأمله. وفي المسند من حديث عمارة بن غزية عن موسى بن وردان عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللَّه ﷺ «الوسيلة درجة عند اللَّه عز وجل ليس فوقها درجة فسلوا الله لي الوسيلة» وذكره ابن أبي الدنيا وقال فيه «درجة في الجنة ليس في الجنة درجة أعلى منها فسلوا اللَّه أن يؤتنيها على رؤوس الخلائق» وقال أبو نعيم أنبأنا سليمان بن أحمد حدثنا أحمد بن عمرو بن مسلم الخلال حدثنا عبد اللَّه بن عمران العابدي حدثنا فضيل بن عياض عن منصور عن إبراهيم عن الأسود عن عائشة قلت: «جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال يا رسول اللَّه الله إنك لأحب إلي من نفسي وأنك لأحب إلي من أهلي وأحب إلي من ولدي وأني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذ ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رفعت مع النبيين وإني إذا دخلت الجنة خشيت أن لا أراك، فلم يرد عليه النبي ﷺ حتى نزل جبريل بهذه الآية ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين

والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾ قال الحافظ أبو عبد اللّه المقدسي لا أعلم بإسناد هذا الحديث بأساً. وسميت درجة النبي ﷺ الوسيلة لأنها أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن وهي أقرب الدرجات إلى اللّه وأصل اشتقاق لفظ الوسيلة من القرب وهي فعيلة من وسل إليه إذا تقرب إليه قال لبيد * بلى كل ذي رأي إلى اللّه واسل * ومعنى الوسيلة من الوصلة ولهذا كانت أفضل الجنة وأشرفها، وأعظمها نوراً. وقال صالح بن عبد الكريم قال لنا فضيل بن عياض أتدرون لم حسنت الجنة؟ لأن عرش رب العالمين سقفها. وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس «نور سقف مساكنكم نور عرشه» وقال بكر عن أشعث عن الحسن: «إنما سميت عدن لأن فوقها العرش ومنها تفجر أنهار الجنة وللحور العدنية الفضل على سائر الحور والقربى والزلفى واحد، وإن كان في الوسيلة معنى التقرب إليه بأنواع الوسائل» وقال الكلبي: «اطلبوا إليه القربة بالأعمال الصالحة» وقد كشف سبحانه عن هذا المعنى كل الكشف بقوله: ﴿أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة أيهم أقرب﴾ فقوله أيهم أقرب هو تفسير للوسيلة التي يبتغيها هؤلاء الذين يدعوهم المشركون من دون الله فيتنافسون في القرب منه ولما كان رسول اللّه ﷺ أعظم الخلق عبودية لربه وأعلمهم به وأشدهم له خشية وأعظمهم له محبة كانت منزلته أقرب المنازل إلى الله وهي أعلى درجة في الجنة وأمر النبي ﷺ أمته أن يسألوها له لينالوا بهذا الدعاء زلفى من اللّه وزيادة الإيمان وأيضاً فإن اللّه سبحانه قدرها له بأسباب (منها) دعاء أمته له بها بما نالوه على يده من الإيمان والهدى صلوات الله وسلامه عليه. وقوله: «حلت عليه يروي عليه» و «له» فمن رواه باللام فمعناه حصلت له ومن رواه بعلى فمعناه وقعت عليه شفاعتي والله أعلم.

الباب التاسع عشر
في عرض الرب تعالى سلعته الجنة على عباده
وثمنها الذي طلبه منهم وعقد التبايع الذي وقع بين المؤمنين وبين ربهم

قال تعالى: ﴿إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل اللّه فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من اللّه؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ فجعل سبحانه ها هنا الجنة ثمناً لنفوس المؤمنين وأموالهم بحيث إذا بذلوها فيه

استحقوا الثمن وعقد معهم هذا العقد وأكده بأنواع من التأكيد (أحدها) أخبارهم سبحانه وتعالى بصيغة الخبر المؤكد بأداة أن (الثاني) الإخبار بذلك بصيغة المرضى الذي قد وقع وثبت واستقر (الثالث) إضافة هذا العقد إلى نفسه سبحانه وأنه هو الذي اشترى هذا المبيع (الرابع) أنه أخبر بأنه وعد بتسليم هذا الثمن وعداً لا يخلفه ولا يتركه (الخامس) أنه أتى بصيغة على التي للوجوب إعلاماً لعباده بأن ذلك حق عليه أحقه هو على نفسه (السادس) أنه أكد ذلك بكونه حقاً عليه (السابع) أنه أخبر عن محل هذا الوعد وأنه في أفضل كتبه المنزلة من السماء وهي التوراة والإنجيل والقرآن (الثامن) إعلامه لعباده بصيغة استفهام الإنكار وأنه لا أحد أوفى بعهده منه سبحانه (التاسع) أنه سبحانه وتعالى أمرهم أن يستبشروا بهذا العقد ويبشر به بعضهم بعضاً بشارة من قد تم له العقد ولزم بحيث لا يثبت فيه خيار ولا يعرض له ما يفسخه (العاشر) أنه أخبرهم إخباراً مؤكداً بأن ذلك البيع الذي بايعوه به هو الفوز العظيم والبيع ههنا بمعنى المبيع الذي أخذوه بهذا الثمن وهو الجنة وقوله بايعتم به أي عاوضتم وثامنتم به ثم ذكر سبحانه أهل هذا العقد الذي وقع العقد وتم لهم دون غيرهم وهم التائبون مما يكره، العابدون له بما يحب، الحامدون له على ما يحبون وما يكرهون، السائحون وفسرت السياحة بالصيام وفسرت بالسفر في طلب العلم وفسرت بالجهاد وفسرت بدوام الطاعة. والتحقيق فيها أنها سياحة القلب في ذكر الله ومحبته والإنابة إليه والشوق إلى لقائه ويترتب عليها كل ما ذكر من الأفعال ولذلك وصف الله سبحانه نساء النبي ﷺ اللاتي لو طلق أزواجه بدله بهن بأنهن سائحات وليست سياحتهن جهاداً ولا سفراً في طلب علم ولا إدامة صيام، وإنما هي سياحة قلوبهن في محبة الله تعالى وخشيته والإنابة إليه وذكره. وتأمل كيف جعل الله سبحانه التوبة والعبادة قرينتين هذه ترك ما يكره وهذه فعل ما يحب، والحمد والسياحة قرينتين هذا الثناء عليه بأوصاف كماله، وسياحة اللسان في أفضل ذكره وهذه سياحة القلب في حبه وذكره وإجلاله، كما جعل سبحانه العبادة والسياحة قرينتين في صفة الأزواج فهذه عبادة البدن وهذه عبادة القلب وجعل الإسلام والإيمان قرينين فهذا علانية وهذا في القلب كما في المسند عنه ﷺ «الإسلام علانية، والإيمان في القلب» وجعل القنوت والتوبة قرينين هذا فعل ما يحب وهذا ترك ما يكره. وجعل الثيوبة والبكارة قرينتين فهذه قد وطئت وارتاضت وذللت صعوبتها. وهذه روضة أنف لم يرتع فيها بعد، وجعل الركوع

والسجود قرينين وجعل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قرينين وأدخل بينهما الواو دون ما تقدم إعلاماً بأن أحدهما لا يكفي حتى يكون مع الآخر، وجعل ذلك قريناً لحفظ حدوده فهذا حفظها في نفس الإنسان وذلك أمر غيره بحفظها. وأفهمت الآية خطر النفس الإنسانية وشرفها وعظم مقدارها فإن السلعة إذا خفي عليك قدرها فانظر إلى المشتري لها من هو، وانظر إلى الثمن المبذول فيها ما هو؟ وانظر إلى من جرى على يده عقد التبايع فالسلعة النفس والله سبحانه المشتري لها، والثمن لها جنات النعيم والسفير في هذا العقد خير خلقه من الملائكة وأكرمهم عليه وخيرهم من البشر وأكرمهم عليه.

قد هيؤك لأمر لو فطنت له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل

وفي جامع الترمذي من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل إلا أن سلعة الله غالية، إلا إن سلعة الله الجنة» قال هذا حديث حسن غريب، وفي كتاب صفة الجنة لأبي نعيم من حديث إبان عن أنس قال: «جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقال ما ثمن الجنة؟ قال لا إله إلا الله» وشواهد هذا الحديث كثيرة جداً. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة «أن أعرابياً جاء إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله دلني على عمل إذا عملته دخلت الجنة. فقال تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة المفروضة. وتصوم رمضان قال والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا شيئاً أبداً ولا أنقص منه، فلما ولى قال من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل الجنة فلينظر إلى هذا» وفي صحيح مسلم عن جابر قال: «أتى النعمان بن قوقل إلى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله أرأيت إذا صليت المكتوبة وحرمت الحرام وأحللت الحلال آدخل الجنة؟ فقال النبي ﷺ نعم» وفي صحيح مسلم عن عثمان بن عفان قال قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي سنن أبي داود عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة» وفي الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من ربي فأخبرني أو قال فبشرني أنه من مات من أمتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة، قلت وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق». وفي الصحيحين من حديث عبادة بن

الصامت قال قال رسول اللّه ﷺ «من قال أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك لـه وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد اللّه ورسوله وكلمته ألقاها إلى مـريم وروح منه وأن الجنة حق وأن النار حق أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء» وفي لفظ «ادخله الله الجنة على ما كان من عمل» وفي صحيح مسلم «أن رسول الله ﷺ أعطى أبا هريرة نعليه فقال اذهب بنعلي هاتين فمن لقيت من وراء هذا الحائط يشهد أن لا إله إلا اللّه مستيقناً بها قلبه فبشره بالجنة.» وقال روح بـن عبادة عن حبيب بن الشهيد عن الحسن قال: «ثمن الجنة لا إله إلا الله».. وروى أبو نعيم من حديث أبي الزبير عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يدخـل أحداً منكم الجنـة عمله ولا يجيره من النار ولا أنا إلا بتوحيد الله تعالى» وإسناده على شرط مسلم وأصل الحديث في الصحيح.

(فصل)

وههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أن الجنة إنما تدخـل برحمـة الله تعالى وليس عمل العبد مستقلاً بدخولها وإن كان سبباً ولهذا أثبت الله تعالى دخولها بالأعمال في قوله بما كنتم تعملون، ونفى رسول اللّه ﷺ دخولها بالأعمال بقوله: «لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله» ولا تنافي بين الأمرين لوجهين (أحدهما) ما ذكره سفيان وغيره قال كـانوا يقـولون النجـاة من النار بعفـو الله، ودخول الجنـة برحمتـه واقتسـام المنـازل والدرجات بالأعمال ويدل على هذا حـديث أبي هريرة الذي سيأتي إن شاء الله تعالى أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم، رواه الترمذي (والثاني) أن الباء التي نفت الدخول هي باء المعاوضة التي يكون فيها أحد العوضين مقابلاً للآخر والباء التي أثبتت الدخول هي باء السببية التي تقتضي سببيـة ما دخلت عليـه لغيره وإن لـم يكن مستقلاً بحصوله وقد جمع النبي ﷺ بين الأمرين بقوله «سددوا وقاربـوا وأبشروا واعلموا أن أحداً منكم لن ينجو بعمله. قالوا ولا أنت يا رسول الله. قال ولا أنا إلا أن يتغمدني الله برحمته» ومن عرف الله تعالى وشهد مشهـد حقه عليـه ومشهد تقصيـره وذنـوبه وأبصـر هذين المشهـدين بقلبه عـرف ذلك وجـزم به والله سبحـانـه وتعـالى المستعان.

الباب العشرون

في طلب أهل الجنة لها من ربهم وطلبها لهم وشفاعتها فيهم إلى ربها عزّ وجلّ

قال اللّه تعالى حكاية عن أولي الألباب من عباده قولهم: «ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا. ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار. ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد» والمعنى وآتنا ما وعدتنا على ألسنة رسلك من دخول الجنة. وقالت طائفة معناه وآتنا ما وعدتنا على الإيمان برسلك وليس بسهل حذف الاسم والحرف معاً إلا أن يقدر على تصديق رسلك وطاعة رسلك وحينئذ فيتكافأ التقديران، ويترجح الأول بأنه قد تقدم قولهم ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا وهذا صريح في الإيمان بالرسول والمرسل ثم توسلوا إليه بأيمانهم أن يؤتيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل فإنهم سمعوا بوعدهم لهم بذلك من الرسل وذلك أيضاً يتضمن التصديق بهم وأنهم بلغوهم وعده فصدقوا به، وسألوه أن يؤتيهم إياه. وهذا هو الذي ذكره السلف والخلف في الآية. وقيل المعنى آتنا ما وعدتنا من النصر والظفر على ألسنة الرسل. والأول أعم وأكمل. (وتأمل) كيف تضمن إيمانهم به الإيمان بأمره ونهيه ورسله ووعده ووعيده وأسمائه وصفاته وأفعاله وصدق وعده والخوف من وعيده واستجابتهم لأمره. فبمجموع ذلك صاروا مؤمنين بربهم فبذلك صح لهم التوسل إلى سؤال ما وعدهم به والنجاة من عذابه. وقد أشكل على بعض الناس سؤالهم أن ينجز لهم وعده مع أنه فاعل لذلك ولا بد. وأجاب بأن هذا تعبد محض كقوله «رب احكم بالحق» وقول الملائكة «فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك» وخفي على هؤلاء أن الوعد معلق بشروط منها الرغبة إليه سبحانه وتعالى وسؤاله أن ينجزه لهم كما أنه معلق بالإيمان وموافاتهم به. وأن لا يلحقه ما يحبطه. فإذا سألوه سبحانه أن ينجز لهم ما وعدهم تضمن ذلك توفيقهم وتثبيتهم وإعانتهم على الأسباب التي ينجز لهم بها وعده فكان هذا الدعاء من أهم الأدعية وأنفعها وهم أحوج إليه من كثير من الأدعية. وأما قوله رب احكم فهذا سؤال له سبحانه وتعالى أن ينصرهم على أعدائهم فيحكم لهم عليهم بالنصر والغلبة وكذا سؤال الملائكة ربهم أن يغفر للتائبين هو من الأسباب التي يوجب بها لهم

المغفرة فهو سبحانه نصب الأسباب التي يفعل بها ما يريده بأوليائه وأعدائه وجعلها أسباباً لإرادته كما جعلها أسباباً لوقوع مراده فمنه السبب والمسبب. وإن أشكل عليك ذلك فانظر إلى خلقه الأسباب التي توجب محبته وغضبه فهو يحب ويرضى ويغضب ويسخط عن الأسباب التي خلقها وشاءها فالكل منه وبه مبتدأ من مشيئته وعائد إلى حكمته وحده. وهذا باب عظيم من أبواب التوحيد لا يلجه إلا العالمون باللَّه. ونظير هذه الآية في سؤاله ما وعد به قوله تعالى: ﴿قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيراً لهم فيها ما يشاؤن خالدين كان على ربك وعداً مسؤولاً﴾ يسأله إياه عباده المؤمنون ويسأله إياه ملائكته لهم، فالجنة تسأل ربها أهلها، وأهلها يسألونه إياها والملائكة تسألها لهم والرسل يسألونه إياها لهم ولأتباعهم، ويوم القيامة يقيمهم سبحانه بين يديه يشفعون فيها لعباده المؤمنين، وفي هذا من تمام ملكه وإظهار رحمته وإحسانه وجوده وكرمه وإعطائه ما سئل. ما هو من لوازم أسمائه وصفاته واقتضائها لآثارها ومتعلقاتها فلا يجوز تعطيلها عن آثارها وأحكامها، فالرب تعالى جواد له الجود كله يحب أن يسئل ويطلب منه ويرغب إليه، فخلق من يسأله وألهمه سؤاله وخلق له ما يسأله إياه فهو خالق السائل وسؤاله ومسؤوله؛ وذلك لمحبته سؤال عباده له ورغبتهم إليه وطلبهم منه وهو يغضب إذا لم يسئل.

اللَّه يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسئل يغضب

وأحب خلقه إليه أكثرهم وأفضلهم له سؤالاً، وهو يحب الملحين في الدعاء وكلما ألح العبد عليه في السؤال أحبه وقربه وأعطاه؛ وفي الحديث «من لم يسأل اللَّه يغضب عليه» فلا إله إلا هو، أي جناية جنت القواعد الفاسدة على الإيمان وحالت بين القلوب وبين معرفة ربها وأسمائه وصفات كماله ونعوت جلاله!! والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله. قال أبو نعيم الفضل حدثنا يونس هو ابن أبي إسحاق حدثنا يزيد بن أبي مرثد قال قال أنس بن مالك قال رسول الله ﷺ: «ما من مسلم يسأل الله الجنة ثلاثاً إلا قالت الجنة اللهم أدخله الجنة. ومن استجار من النار بالله ثلاثاً قالت النار اللهم أجره من النار» رواه الترمذي والنسائي وابن ماجه عن هناد بن السرى عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق عن يزيد به. وقال الحسن بن سفيان حدثنا عثمان بن أبي شيبة حدثنا جرير عن ليث عن يونس بن حبان عن أبي

حازم عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «ما سأل اللّه عبد الجنة في يوم سبع مرات إلا قالت الجنة يا رب إن عبدك فلاناً يسألني فأدخلنيه» وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا أبو خيثمة زهير بن حرب حدثنا جرير عن يونس عن أبي حازم عن أبي هريرة رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ: «ما استجار عبد من النار سبع مرات إلا قالت النار أن عبدك فلاناً استجار مني فأجره، ولا يسأل عبد الجنة سبع مرات إلا قالت الجنة يا رب إن عبدك فلاناً سألني فأدخله الجنة» وإسناده على شرط الصحيحين.
وقال أبو داود في مسنده حدثنا شعبة حدثني يونس بن حبان سمع أبا علقمة عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «من قال أسأل الله الجنة سبعاً قالت الجنة اللهم أدخله الجنة» وقال الحسن بن سفيان حدثنا المقدمي حدثنا عمر بن علي عن يحيى بن عبد اللّه عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «أكثروا مسألة الله الجنة واستعيذوا به من النار فأنهما شافعتان مشفعتان، وأن العبد إذا أكثر مسألة الله الجنة قالت الجنة يا رب عبدك هذا الذي سألنيك فاسكنه إياي. وتقول النار يا رب عبدك هذا الذي استعاذ بك مني فاعذه» وقد كان جماعة من السلف لا يسألون الله الجنة ويقولون حسبنا أن يجيرنا من النار فمنهم أبو الصهباء صلة بن أشيم صلى ليلة إلى السحر ثم رفع يديه وقال اللهم أجرني من النار أو مثلي يجتريء أن يسألك الجنة.
ومنهم عطاء السلمي كان لا يسأل الجنة فقال له صالح المري أن أبان حدثني عن أنس أن النبي ﷺ قال: «يقول الله عز وجل انظروا في ديوان عبدي فمن رأيتموه سألني الجنة أعطيته ومن استعاذ بي من النار أعذته» فقال عطاء كفاني أن يجيرني من النار، ذكرها أبو نعيم وقد روى أبو داود في سننه من حديث جابر في قصة صلاة معاذ وتطويله بهم أن النبي ﷺ قال للفتى يعني الذي شكاه «كيف تصنع يا ابن أخي إذا صليت؟ قال أقرأ بفاتحة الكتاب وأسأل الله الجنة وأعوذ به من النار وأني لا أدري ما دندنتك ودندنة معاذ فقال النبي ﷺ إني ومعاذاً حولها ندندن» وفي سنن أبي داود من حديث محمد بن المنكدر عن جابر عن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «لا يسئل بوجه الله إلا الجنة» رواه عن أحمد بن عمرو العصفري حدثنا يعقوب بن إسحاق حدثنا سليمان بن معاذ عن محمد فذكره وقد تقدم في أول الكتاب حديث الليث عن معاوية عن صالح عن عبد الملك بن أبي بشير يرفع الحديث: «ما من يوم إلا والجنة والنار يسألان تقول الجنة يا رب قد طابت ثماري، وأطردت أنهاري، واشتقت إلى

أوليائي، فعجل إلي بأهلي» الحديث فالجنة تطلب أهلها بالذات وتجذبهم إليها جذباً، والنار كذلك وقد أمرنا رسول الله ﷺ أن لا نزال نذكرهما ولا ننساهما كما روى أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل حدثنا أيوب بن أبي شبيب الصنعاني قال: كان فيما عرضنا على رباح بن زيد حدثني عبد الله بن نمير سمعت عبد الرحمن بن يزيد يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تنسوا العظيمتين قلنا وما العظيمتان يا رسول الله؟ قال الجنة والنار» وذكر أبو بكر الشافعي من حديث كليب بن حرب قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اطلبوا الجنة جهدكم واهربوا من النار جهدكم، فإن الجنة لا ينام طالبها وأن النار لا ينام هاربها وإن الآخرة اليوم محفوفة بالمكاره، وأن الدنيا محفوفة باللذات والشهوات فلا تلهينكم عن الآخرة».

الباب الحادي والعشرون
في أسماء الجنة ومعانيها واشتقاقاتها
ولها عدة أسماء باعتبار صفاتها ، ومسماها واحد باعتبار الذات فهي مترادفة من هذا الوجه، وتختلف باعتبار الصفات فهي متباينة من هذا الوجه وهكذا أسماء الرب سبحانه وتعالى، وأسماء كتابه وأسماء رسله وأسماء اليوم الآخر وأسماء النار

(الاسم الأول) الجنة وهو الاسم العام المتناول لتلك الدار وما اشتملت عليه من أنواع النعيم واللذة والبهجة والسرور وقرة الأعين، وأصل اشتقاق هذه اللفظة من الستر والتغطية ومنه الجنين لاستتاره في البطن، والجان لاستتاره عن العيون، والمجن لستره ووقايته الوجه، والمجنون لاستتار عقله وتواريه عنه، والجان هي الحية الصغيرة الرقيقة ومنه قول الشاعر:

فدقت وجلت واسبكرت وأكملت ... فلو جن إنسان من الحسن جنت

أي لو غطى وستر عن العيون لفعل بها ذلك. ومنه سمي البستان جنة لأنه يستر

داخله بالأشجار ويغطيه ولا يستحق هذا الاسم إلا موضع كثير الأشجار مختلف الأنواع والجنة بالضم ما يستجن به من ترس أو غيره، ومنه قوله تعالى: ﴿اتخذوا إيمانهم جنة﴾ أي يستترون بها من إنكار المؤمنين عليهم، ومنه الجنة بالكسر الجن كما قال تعالى ﴿من الجنة والناس﴾ وذهبت طائفة من المفسرين إلى أن الملائكة يسمون جنة واحتجوا بقوله تعالى ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً﴾ قالوا وهذا النسب قولهم الملائكة بنات اللّه ورجحوا هذا القول بوجهين (أحدهما) أن النسب الذي جعلوه إنما زعموا أنه بين الملائكة وبينه لا بين الجن وبينه (الثاني) قوله تعالى: ﴿ولقد علمت الجنة إنهم لمحضرون﴾ أي قد علمت الملائكة أن الذين قالوا هذا القول محضرون للعذاب. والصحيح خلاف ما ذهب إليه هؤلاء، وأن الجنة هم الجن نفسهم كما قال تعالى ﴿من الجنة والناس﴾ وعلى هذا ففي الآية قولان (أحدهما) قول مجاهد قال قالت كفار قريش: الملائكة بنات اللّه. فقال لهم أبو بكر فمن أمهاتهم؟ قالوا سروات الجن. وقال الكلبي: قالوا تزوج من الجن فخرج من بينهما الملائكة. وقال قتادة قالوا صاهر الجن (والقول الثاني هو) قول الحسن قال: أشركوا الشياطين في عبادة اللّه فهو النسب الذي جعلوه والصحيح قول مجاهد وغيره وما احتج به أصحاب القول الأول ليس بمستلزم لصحة قولهم فإنهم لما قالوا الملائكة بنات الله وهم من الجن عقدوا بينه وبين الجن نسباً بهذا الإيلاد وجعلوا هذا النسب متولداً بينه وبين الجن وأما قوله ﴿ولقد علمت الجنة أنهم لمحضرون﴾ فالضمير يرجع إلى الجنة أي قد علمت الجنة أنهم محضرون الحساب قاله مجاهد أي لو كان بينه وبينهم نسب لم يحضروا للحساب كما قال تعالى: ﴿وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء اللّه وأحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم؟﴾ فجعل سبحانه عقوبتهم بذنوبهم وإحضارهم للعذاب مبطلاً لدعواهم الكاذبة وهذا التقدير في الآية أبلغ في إبطال قولهم من التقدير الأول فتأمله والمقصود ذكر أسماء الجنة.

(فصل)

(الاسم الثاني) دار السلام وقد سماها اللّه بهذا الاسم في قوله ﴿لهم دار السلام عند ربهم﴾ وقوله ﴿واللّه يدعو إلى دار السلام﴾ وهي أحق بهذا الاسم فإنها دار السلامة من كل بلية وآفة ومكروه وهي دار اللّه واسمه سبحانه وتعالى السلام الذي

سلمها وسلم أهلها ﴿وتحيتهم فيها سلام﴾ ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم﴾ والرب تعالى يسلم عليهم من فوقهم كما قال تعالى: ﴿لهم فيها فاكهة ولهم ما يدعون سلام قولاً من رب رحيم﴾ وسيأتي حديث جابر في سلام الرب تبارك وتعالى عليهم في الجنة. وكلامهم كلهم فيها سلام أي لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل، كما قال تعالى: ﴿لا يسمعون فيها لغواً إلا سلاماً﴾ وأما قوله تعالى: ﴿وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين﴾ فأكثر المفسرين حاموا حول المعنى وما وردوه وقالوا أقوالاً لا يخفى بعدها، عن المقصود. وإنما معنى الآية والله أعلم فسلام لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين أي فسلامه لك كائناً من أصحاب اليمين الذين سلموا من الدنيا وأنكادها ومن النار وعذابها، فبشر بالسلامة عند ارتحاله من الدنيا وقدومه على الله كما يبشر الملك روحه عند أخذها بقوله: ﴿بشري بروح وريحان ورب غير غضبان. وهذا أول البشرى التي للمؤمن في الآخرة﴾.

(فصل)

(الإسم الثالث) دار الخلد وسميت بذلك لأن أهلها لا يظعنون عنها أبداً كما قال تعالى: ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ وقال: ﴿إن هذا لرزقنا ما له من نفاد﴾ وقال: ﴿أكلها دائم وظلها﴾ وقال: ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ وسيأتي إبطال قول من قال من الجهمية والمعتزلة بفنائها أو فناء حركات أهلها إن شاء الله تعالى.

(فصل)

(الإسم الرابع) دار المقامة قال تعالى حكاية عن أهلها: ﴿وقالوا الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن إن ربنا لغفور شكور، الذي أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب﴾ قال مقاتل أنزلنا دار الخلود، أقاموا فيها أبداً لا يموتون ولا يتحولون منها أبداً قال الفراء والزجاج المقامة مثل الإقامة يقال أقمت بالمكان إقامة ومقامة ومقاماً.

(فصل)

(الإسم الخامس) جنة المأوى قال تعالى: ﴿عندها جنة المأوى﴾ والمأوى مفعل من أوى يأوي إذا انضم إلى المكان وصار إليه واستقر به وقال عطاء عن ابن عباس هي الجنة التي يأوي إليها جبريل والملائكة: وقال مقاتل والكلبي هي جنة تأوي إليها أرواح الشهداء، وقال كعب جنة المأوى جنة فيها طير خضر ترتع فيها أرواح الشهداء، وقالت عائشة رضي الله عنها وزر بن حبيش: هي جنة من الجنان، والصحيح أنه اسم من أسماء الجنة كما قال تعالى: ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ وقال في النار ﴿فإن الجحيم هي المأوى﴾ وقال ﴿ مأواكم النار ﴾ .

(فصل)

(الاسم السادس) جنات عدن، فقيل هي اسم لجنة من الجنان والصحيح أنه اسم لجملة الجنان وكلها جنات عدن قال تعالى : ﴿جنات عدن التي وعد الرحمن عباده بالغيب﴾ وقال تعالى : ﴿جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤ ولباسهم فيها حرير﴾ وقال تعالى : ﴿ ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ والاشتقاق يدل على أن جميعها جنات عدن فإنه من الإقامة والدوام يقال عدن بالمكان إذا أقام به وعدنت البلد توطنته وعدنت الإبل بمكان كذا لزمته فلم تبرح منه قال الجوهري ومنه جناتِ عدن أي إقامة ومنه سمي المعدن بكسر الدال لأن الناس يقيمون فيه الصيف والشتاء ومركز كل شيء معدنه. والعادن الناقة المقيمة في المرعى.

(فصل)

(الإسم السابع) دار الحيوان، قال تعالى: ﴿وإن الدار الآخر لهي الحيوان﴾ والمراد الجنة عند أهل التفسير قالوا وأن الآخرة يعني الجنة لهي الحيوان لهي دار الحياة التي لا موت فيها فقال الكلبي هي حياة لا موت فيها وقال الزجاج هي دار الحياة الدائمة وأهل اللغة على أن الحيوان بمعنى الحياة قال أبو عبيدة وابن قتيبة الحياة الحيوان قال أبو عبيد الحياة والحيوان والحي بكسر الحاء واحد قال أبو علي

يعني أنها مصادر فالحياة فعلة كالجلبة والحيوان كالنزوان والغليان والحي كالعي قال العجاج* كنا بها إذا الحياة حي * أي إذا الحياة حياة. وأما أبو زيد فخالفهم وقال: الحيوان ما فيه روح. والموتان والموات ما لا روح فيه. والصواب أن الحيوان يقع على ضربين (أحدهما) مصدر كما حكاه أبو عبيدة (والثاني) وصف كما حكاه أبو زيد وعلى قول أبي زيد الحيوان مثل الحي خلاف الميت ورجح القول الأول بأن الفعلان بابه المصادر كالنزوان والغليان بخلاف الصفات فإن بابها فعلان كسكران وغضبان، وأجاب من رجح القول الثاني بأن فعلان قد جاء في الصفات أيضاً قالوا رجل ضميان للسريع الخفيف وزفيان قال في الصحاح: ناقة زفيان سريعة وقوس زفيان سريعة الإرسال للسهم فيحتمل قوله تعالى: ﴿وإن الدار الآخرة لهي الحيوان﴾ معنيين (أحدهما) أن حياة الآخرة هي الحياة لأنها لا تنغيص فيها ولا نفاد لها أي لا يشوبها ما يشوب الحياة في هذه الدار فيكون الحيوان مصدراً على هذا (الثاني) أن يكون المعنى أنها الدار التي لا تفنى ولا تنقطع ولا تبيد كما يفنى الأحياء في هذه الدنيا فهي أحق بهذا الاسم من الحيوان الذي يفنى ويموت.

(فصل)

(الإسم الثامن) الفردوس قال تعالى: ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً خالدين فيها﴾ والفردوس اسم يقال على جميع الجنة ويقال على أفضلها وأعلاها، كأنه أحق بهذا الاسم من غيره من الجنات وأصل الفردوس البستان والفراديس البساتين قال كعب هو البستان الذي فيه الأعناب، وقال الليث الفردوس جنة ذات كروم يقال كرم مفردس أي معرش وقال الضحاك هي الجنة الملتفة بالأشجار وهو اختيار المبرد وقال الفردوس فيما سمعت من كلام العرب الشجر الملتف والأغلب عليه العنب وجمعه الفراديس قال ولهذا سمي باب الفراديس بالشام وأنشد لجرير:

فقلت للركب إذ جد المسير بنا   يا بعد بيرين من باب الفراديس

وقال مجاهد: هذا البستان بالرومية واختاره الزجاج فقال هو بالرومية منقول إلى لفظ العربية قال وحقيقته أنه البستان الذي يجمع كل ما يكون في البساتين قال حسان:

وأن ثواب اللّه كل مخلد جنان من الفردوس فيها يخلد

(فصل)

(الإسم التاسع) جنات النعيم قال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم جنات النعيم﴾ وهذا أيضاً اسم جامع لجميع الجنات لما تضمنته من الأنواع التي يتنعم بها من المأكول والمشروب والملبوس والصور والرائحة الطيبة والمنظر البهيج والمساكن الواسعة وغير ذلك من النعيم الظاهر والباطن.

(فصل)

(الإسم العاشر) المقام الأمين قال تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ والمقام موضع الإقامة والأمين الآمن من كل سوء وآفة ومكروه وهو الذي قد جمع صفات الأمن كلها فهو آمن من الزوال والخراب وأنواع النقص وأهله آمنون فيه من الخروج والنغص والنكد (وللبلد الأمين) الذي قد أمن أهله فيه مما يخاف منه سواهم، وتأمل كيف ذكر سبحانه الأمن في قوله تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين﴾ وفي قوله تعالى: ﴿يدعون فيها بكل فاكهة آمنين﴾ فجمع لهم بين أمن المكان وأمن الطعام فلا يخافون انقطاع الفاكهة ولا سوء عاقبتها ومضرتها، وأمن الخروج منها فلا يخافون ذلك، وأمن الموت فلا يخافون فيها موتاً.

(فصل)

(الإسم الحادي عشر) (والثاني عشر) مقعد الصدق وقدم الصدق، قال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق﴾ فسمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها كما يقال مودة صادقة إذا كانت ثابتة تامة وحلاوة صادقة وحملة صادقة ومنه الكلام الصدق لحصول مقصوده منه وموضع هذه اللفظة في كلامهم الصحة والكمال ومنه الصدق في الحديث والصدق في العمل، والصديق الذي يصدق قوله بالعمل، والصدق بالفتح الصلب من الرماح ويقال للرجل الشجاع أنه لذو مصدق أي صادق الحملة وهذا مصداق هذا أي ما يصدقه ومنه

الصداقة لصفاء المودة والمخالة، ومنه صدقني القتال وصدقني المودة ومنه قدم صدق ولسان صدق ومدخل صدق ومخرج صدق وذلك كله للحق الثابت المقصود الـذي يرغب فيه بخلاف الكذب الباطل الذي لا شيء تحته وهو لا يتضمن أمراً ثابتاً قط، وفسر قوم قدم صدق بالجنة، وفسر بالأعمال التي تنال بها الجنة وفسر بالسابقة التي سبقت لهم من اللّه وفسر بالرسول الذي على يده وهدايته نـالوا ذلـك، والتحقيق أن الجميع حق فإنهم سبقت لهم من اللّه الحسنى بتلك السابقة أي بالأسباب التي قدرها لهم على يد رسوله وأدخر لهم جزاءها يـوم القيامة ولسان الصـدق وهو لسـان الثناء الصادق بمحاسن الأفعال وجميل الطرائق؛ وفي كونه لسان صدق إشارة إلى مطابقته للواقع وأنه ثناء بحق لا بباطل ومدخل الصدق ومخرج الصدق هو المدخل والمخرج الذي يكون صاحبه فيه ضامناً على اللّه وهو دخوله وخروجه باللّه وللّه، وهذه الدعوة من أنفع الدعاء للعبد فإنه لا يزال داخلاً في أمر وخارجاً من أمر فمتى كان دخوله للّه وبـاللّه وخروجـه كذلـك كان قـد أدخل مـدخل صـدق وأخـرج مخـرج صـدق واللّه المستعان.

الباب الثاني والعشرون
في عدد الجنات وأنها نوعان جنتان من ذهب وجنتان من فضة

الجنة اسم شامل لجميع ما حوته من البساتين والمساكن والقصور وهي جنات كثيرة جداً كما روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن أم الربيع بنت البراء وهي أم حـارثة بن سـراقة «أتت رسـول اللّه ﷺ فقالت يـا نبي اللّه ألا تحـدثني عن حارثة؟ وكان قتل يوم بدر أصابه سهم غرب. فإن كان في الجنة صبرت وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء، قال يا أم حارثة إنها جنان في الجنةَ وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى» وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن رسول اللّه ﷺ أنـه قال: «جنتـان من ذهب آنيتهما وحليتهمـا وما فيهمـا، وجنتان من فضـة آنيتهمـا وحليتهما وما فيهما. وما بين القـوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبـرياء على وجهه في جنة عدن» وقد قال تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربـه جنتان﴾ فـذكرهمـا ثم قال: ﴿ومن دونهما جنتان﴾ فهذه أربع وقد اختلف في قوله ومن دونهما هل المراد به

أنهما فوقهما أو تحتهما على قولين فقالت طائفة من دونهما أي أقرب منهما إلى العرش فيكونان فوقهما. وقالت طائفة بل معنى من دونهما تحتهما قالوا وهذا المنقول في لغة العرب إذا قالوا هذا دون هذا أي دونه في المنزلة كما قال بعضهم لمن بالغ في مدحه، أنا دون ما تقول وفوق ما في نفسك. وفي الصحاح دون نقيض فوق وهو تقصير عن الغاية ثم قال ويقال هذا دون هذا أي أقرب منه والسياق يدل على تفضيل الجنتين الأوليين من عشرة أوجه: (أحدها) قوله ﴿ذوات أفنان﴾ وفيه قولان أحدهما أنه جمع فنن وهو الغصن والثاني أنه جمع فن وهو الصنف أي ذواتا أصناف شتى من الفواكه وغيرها ولم يذكر ذلك في اللتين بعدهما (الثاني) قوله ﴿فيهما عينان تجريان﴾ وفي الأخريين ﴿فيهما عينان نضاختان﴾ والنضاخة هي الفوارة والجارية السارحة وهي أحسن من الفوارة فإنها تتضمن الفوران والجريان (الثالث) أنه قال: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ وفي الأخريين: ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ ولا ريب أن وصف الأوليين أكمل واختلف في هذين الزوجين بعد الاتفاق على أنهما صنفان فقالت طائفة الزوجان الرطب واليابس الذي لا يقصر في فضله وجودته عن الرطب، وهو يتمتع به كما يتمتع باليابس وفيه نظر لا يخفى وقالت طائفة الزوجان صنف معروف وصنف من شكله غريب وقالت طائفة نوعان ولم تزد والظاهر والله أعلم أنه الحلو والحامض والأبيض والأحمر وذلك لأن اختلاف أصناف الفاكهة أعجب وأشهى وألذ للعين والفم (الرابع) أنه قال ﴿متكئين على فرش بطائنها من إستبرق﴾ وهذا تنبيه على فضل الظهائر وخطرها وفي الأخريين قال ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ وفسر الرفرف بالمحابس والبسط وفسر بالفرش وفسر بالمحابس فوقها وعلى كل قول فلم يصفه بما وصف به فرش الجنتين الأوليين (الخامس) أنه قال وجنى الجنتين دان أي قريب وسهل يتناولونه كيف شاؤا ولم يذكر ذلك في الأخريين (السادس) أنه قال: ﴿فيهن قاصرات الطرف﴾ أي قد قصرن طرفهن على أزواجهن فلا يرون غيرهم لرضاهن بهم ومحبتهن لهم وذلك يتضمن قصر أطراف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن أن ينظروا إلى غيرهن وقال في الأخريين ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ ومن قصرت طرفها على زوجها باختيارها أكمل ممن قصرت بغيرها (السابع) أنه وصفهن بشبه الياقوت والمرجان في صفاء اللون وإشراقه وحسنه ولم يذكر ذلك في التي بعدها (الثامن) أنه قال سبحانه وتعالى في الجنتين الأوليين: ﴿هل جزاء الإحسان إلا

الإحسان﴾ وهذا يقتضي أن أصحابهما من أهل الإحسان المطلق الكامل فكان جزاؤهم بإحسان كامل (التاسع) أنه بدأ بوصف الجنتين الأوليين وجعلهما جزءاً لمن خاف مقامه وهذا يدل على أنهما أعلى جزاء الخائف لمقامه فرتب الجزاء المذكور على الخوف ترتيب المسبب على سببه ولما كان الخائفون على نوعين مقربين وأصحاب يمين ذكر جنتي المقربين ثم ذكر جنتي أصحاب اليمين (العاشر) أنه قال ﴿ومن دونهما جنتان﴾ والسياق يدل على أنه نقيض فوق كما قال الجوهري فإن قيل فكيف انقسمت هذه الجنان الأربع على من خاف مقام ربه قيل لما كان الخائفون نوعين كما ذكرنا كان للمقربين منهم الجنتان العاليتان ولاصحاب اليمين الجنتان اللتان دونهما . فإن قيل فهل الجنتان لمجموع الخائفين يشتركون فيهما أم لكل واحد جنتان وهما البستانان ؟ قيل هذا فيه قولان للمفسرين ورجح القول الثاني بوجهين (أحدهما) من جهة النقل و (الثاني) من جهة المعنى فأما الذي من جهة النقل فإن أصحاب هذا القول رووا عن رسول الله ﷺ أنه قال : «هما بستانان في رياض الجنة» وأما الذي من جهة المعنى فإن إحدى الجنتين جزاء أداء الأوامر. والثانية جزاء اجتناب المحارم «فإن قيل» فكيف قال في ذكر النساء «فهن» في الموضعين ولما ذكر غيرهن قال «فيهما» قيل لما ذكر الفرش قال بعدها فيهن خيرات حسان ثم أعاده في الجنتين الأخريين بهذا اللفظ ليتشاكل اللفظ والمعنى والله أعلم .

الباب الثالث والعشرون
في خلق الرب تبارك وتعالى بعض الجنان وغرسها بيده تفضيلاً لها على سائر الجنان

وقد اتخذ الرب تعالى من الجنان داراً اصطفاها لنفسه وخصها بالقرب من عرشه وغرسها بيده فهي سيدة الجنان والله سبحانه وتعالى يختار من كل نوع أعلاه وأفضله كما اختار من الملائكة جبريل ومن البشر محمداً ﷺ ومن السموات العليا ومن البلاد مكة ومن الأشهر المحرم ومن الليالي ليلة القدر، ومن الأيام يوم الجمعة، ومن الليل وسطه، ومن الأوقات أوقات الصلاة إلى غير ذلك فهو سبحانه وتعالى : ﴿ يخلق ما شاء ويختار﴾ وقال الطبراني في معجمه حدثنا مطلب بن شعيب الأزدي حدثنا

عبد الله بن صالح حدثني الليث. قال الطبراني في معجمه وحدثنا أبو الزنباع روح بن الفرج حدثنا يحيى بن بكير حدثنا الليث عن زيادة بن محمد الأنصاري عن محمد بن كعب القرظي عن فضالة بن عبيد عن أبي الدرداء قال قال رسول الله ﷺ: «ينزل الله تعالى في آخر ثلاث ساعات يبقين من الليل فينظر الله في الساعة الأولى منهن في الكتاب الذي لا ينظر فيه غيره فيمحو ما يشاء ويثبت، ثم ينظر في الساعة الثانية إلى جنة عدن وهي مسكنه الذي يسكن فيه، ولا يكون معه فيها أحد إلا الأنبياء والشهداء والصديقون وفيها ما لم تره عين أحد، ولا خطر على قلب بشر، ثم يهبط آخر ساعة من الليل فيقول ألا مستغفر يستغفرني فأغفر له؟ ألا سائل يسألني فأعطيه؟ ألا داع يدعوني فأستجيب له؟ حتى يطلع الفجر» قال تعالى: **﴿وقرآن الفجر إن قرآن الفجر كان مشهوداً﴾** فيشهده الله تعالى وملائكته. قال الحسن بن سفيان حدثنا أبو الطاهر أحمد بن عمرو بن السرح قال حدثني خالي عبد الرحمن بن عبد الحميد بن سالم حدثنا يحيى بن أيوب عن داود بن أبي هند عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «أن الله بنى الفردوس بيده وحظرها على كل مشرك وكل مدمن خمر ومتكبر» وقد ذكر الدارمي والنجار وغيرهما من حديث أبي معشر نجيح بن عبد الرحمن ـ متكلم فيه ـ عن عون بن عبد الله بن الحارث ابن نوفل عن أخيه عبد الله بن عبد الله عن أبيه عبد الله بن الحارث قال قال رسول الله ﷺ : «خلق الله ثلاثة أشياء بيده، خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس الفردوس بيده ثم قال وعزتي وجلالي لا يدخلها مد من خمر ولا الديوث، قالوا يا رسول الله قد عرفنا مدمن الخمر فما الديوث؟ قال الذي يقر السوء في أهله» قلت المحفوظ أنه موقوف قال الدارمي حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا عبد الواحد بن زياد حدثنا عبيد بن مهران حدثنا مجاهد قال قال عبد الله بن عمر: «خلق الله أربعة أشياء بيده العرش والقلم وعدن وآدم عليه السلام، ثم قال لسائر الخلق كن فكان» وحدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا أبو عوانة عن عطاء بن السائب عن ميسرة قال: «إن الله لم يمس شيئاً من خلقه غير ثلاث، خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده» حدثنا محمد بن المنهال حدثنا يزيد بن زريع حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن كعب قال: «لم يخلق الله بيده غير ثلاث خلق آدم بيده وكتب التوراة بيده وغرس جنة عدن بيده، ثم قال لها تكلمي، قالت قد أفلح المؤمنون» وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يعلى حدثنا أبو الربيع

حدثنا يعقوب القمي حدثنا .حفص بن حميد عن شمر بن عطية قال: «خلق الله جنة الفردوس بيده فهو يفتحها كل يوم خمس مرات فيقول إزدادي طيباً لأوليائي . ازدادي حسناً لأوليائي» وذكر الحاكم عنه عن مجاهد قال: «إن اللّه تعالى غرس جنات عدن بيده فلما تكاملت أغلقت فهي تفتح في كل سحر فينظر اللّه إليها فتقول قد أفلح المؤمنون» وذكر البيهقي من حديث البغوي حدثنا يونس بن عبيد اللّه البصري حدثنا عدي بن الفضل عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن اللّه أحاط حائط الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة. وغرس عرشها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون، فقال طوبي لك منزل الملوك» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن أبي المثنى البزار حدثنا محمد بن زياد الكلبي حدثنا بشير بن حسين عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال قال رسول اللّه ﷺ : «خلق اللّه جنة عدن بيده لبنة من درة بيضاء ولبنة من ياقوتة حمراء ولبنة من زبرجدة خضراء بلاطها المسك وحصباؤها اللؤلؤ وحشيشها الزعفران ثم قال لها انطقي قالت قد أفلح المؤمنون. فقال اللّه عز وجل وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل، ثم تلا رسول اللّه ﷺ ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون» وتأمل هذه العناية كيف جعل هذه الجنة التي غرسها بيده لمن خلقه بيده ولأفضل ذريته اعتناء وتشريفاً وإظهاراً لفضل ما خلقه بيده وشرفه وميزه بذلك عن غيره وباللّه التوفيق، فهذه الجنة في الجنان كآدم في نوع الحيوان.

وقد روى مسلم في صحيحه عن المغيرة بن شعبة عن سعيد عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى عليه السلام ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قل رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس، منازلهم وأخذوا أخذاتهم؟!! فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب، فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله، فقال في الخامسة رضيت رب قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر» ومصداقه من كتاب اللّه **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين﴾**.

الباب الرابع والعشرون
في ذكر بوابي الجنة وخزنتها واسم مقدمهم، ورئيسهم

قال تعالى : ﴿ وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها ، وقال لهم خزنتها سلام عليكم ﴾ والخزنة جمع خازن مثل حفظة وحافظ وهو المؤتمن على الشيء الذي قد استحفظه . وروى مسلم في صحيحه من حديث سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ : «آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح فيقول الخازن من أنت ؟ فأقول محمد ، فيقول بلى أمرت أن لا أفتح لأحد قبلك » وقد تقدم حديث أبي هريرة المتفق عليه « من أنفق زوجين في سبيل الله دعاه خزنة الجنة كل خزنة باب أي فلهلم . قال أبو بكر يا رسول الله ذاك الذي لا توى[1] عليه فقال النبي ﷺ إني لأرجو أن تكون منهم » وفي لفظ « هل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها ؟ قال : نعم وأرجو أن تكون منهم » لما سمت همة الصديق إلى تكميل مراتب الإيمان . وطمعت نفسه أن يدعى من تلك الأبواب كلها سأل رسول الله ﷺ هل يحصل ذلك لأحد من الناس ليسعى في العمل الذي ينال به ذلك فخبره بحصوله وبشره بأنه من أهله . وكأنه قال هل تكمل لأحد هذه المراتب فيدعى يوم القيامة من أبوابها كلها ؟ فلله ما أعلى هذه الهمة وأكبر هذه النفس . قد سمى الله سبحانه وتعالى كبير هذه الخزنة رضوان وهو اسم مشتق من الرضا وسمى خازن النار مالكاً وهو اسم مشتق من الملك وهو القوة والشدة حيث تصرفت حروفه.

الباب الخامس والعشرون
في ذكر أول من يقرع باب الجنة

وقد تقدم حديث أنس ورواه الطبراني بزيادة فيه قال «فيقوم الخازن فيقول لا أفتح لأحد قبلك ولا أقوم لأحد بعدك» وذلك أن قيامه إليه ﷺ خاصة إظهاراً لمزيته ورتبته ولا يقوم في خدمة أحد بعده بل خزنة الجنة يقومون في خدمته وهو كالملك عليهم وقد أقامه اللّه في خدمة عبده ورسوله حتى مشى إليه وفتح له الباب . وقد روى أبو هريرة رضي اللّه تعالى عنه عنه ﷺ أنه قال: «أنا أول من يفتح باب الجنة إلا أن

(١) بفتح التاء لا ضياع ولا خسارة.

امرأة تبادرني فأقول لها مالك ومن أنت؟ فتقول أنا امرأة قعدت على يتامى» وفي الترمذي من حديث ابن عباس قال: «جلس ناس من أصحاب النبي ﷺ ينتظرونه قال فخرج حتى إذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون فسمع حديثهم فقال بعضهم عجباً إن للّه من خلقه خليلاً اتخذ إبراهيم خليلاً. وقال آخر ما ذلك بأعجب من كليمه موسى كلمه تكليماً، وقال آخر: فعيسى كلمة اللّه وروحه وقال آخر: آدم اصطفاه اللّه فخرج عليهم فسلم وقال: «سمعت كلامكم وعجبكم أن إبراهيم خليل اللّه وهو كذلك، وموسى نجي اللّه وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه اللّه وهو كذلك، ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفع يوم القيامة ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرك حلقة الجنة فيفتح لي فأدخلها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وأنا أكرم الأولين والآخرين ولا فخر» وعن أنس بن مالك قال قال رسول اللّه ﷺ: «أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا وأنا خطيبهم إذا أنصتوا، وقائدهم إذا وفدوا، وشافعهم إذا حبسوا، وأنا مبشرهم إذا أيسوا، لواء الحمد بيدي، ومفاتيح الجنة يومئذٍ بيدي، وأنا أكرم ولد آدم يومئذٍ على ربي ولا فخر، يطوف على ألف خادم كأنهم اللؤلؤ المكنون» رواه الترمذي والبيهقي واللفظ له وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس قال قال رسول اللّه ﷺ: «أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة وأنا أول من يقرع باب الجنة.

الباب السادس والعشرون
في ذكر أول الأمم دخولاً الجنة

وفي الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة قال قال: «رسول اللّه ﷺ نحن السابقون الأولون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم» أي لم يسبقونا إلا بهذا القدر فمعنى بيد معنى سوى وغير وإلا ونحوها. وفي صحيح مسلم من حديث أبي صالح عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا اللّه لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه» وفي الصحيحين من حديث طاوس عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم» وروى الدارقطني من حديث زهير بن محمد عن عبد اللّه بن

محمد بن عقيل عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب عن رسول الله ﷺ قال: «إن الجنة حرمت على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرمت على الأمم حتى تدخلها أمتي» قال الدارقطني غريب عن الزهري ولا أعلم روى عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن الزهري غير هذا الحديث ولا رواه إلا عمرو بن أبي سلمة عن زهير. فهذه الأمة أسبق الأمم خروجاً من الأرض وأسبقهم إلى أعلى مكان في الموقف وأسبقهم إلى ظل العرش. وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجوار على الصراط ، وأسبقهم إلى دخول الجنة فالجنة محرمة على الأنبياء حتى يدخلها محمد ﷺ، ومحرمة على الأمم حتى تدخلها أمته، وأما أول الأمة دخولاً فقال أبو داود في سننه حدثنا هناد بن السرى عن عبد الرحمن بن محمد المحاربي عن عبد السلام بن حرب عن أبي خالد الدالاني عن أبي خالد مولى آل جعدة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «أتاني جبريل فأخذ بيدي فأراني باب الجنة الذي تدخل منه أمتي فقال أبو بكر يا رسول الله وددت أني كنت معك حتى أنظر إليه فقال رسول الله ﷺ أما إنك يا أبا بكر أول من يدخل الجنة من أمتي» وقوله «وددت أني كنت معك» حرصاً منه على زيادة اليقين وأن يصير الخبر عياناً كما قال إبراهيم الخليل «رب أرني كيف تحيي الموتى، قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي» وأما الحديث الذي رواه ابن ماجه في سننه حدثنا إسماعيل بن عمر الطلحي أنبأنا داود بن عطاء المديني عن صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن سعيد بن المسيب عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ «أول من يصافحه الحق عمر، وأول من يسلم عليه وأول من يأخذ بيده فيدخله الجنة» فهو حديث منكر جداً قال الإمام أحمد : داود بن عطاء ليس بشيء، وقال البخاري منكر الحديث.

الباب السابع والعشرون
في ذكر السابقين من هذه الأمة إلى الجنة وصفتهم

في الصحيحين من حديث همام بن منبه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر لا يبصقون فيها ولا يتغوطون فيها ولا يتمخطون فيها آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ ساقهما من

وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون اللّه بكرة وعشياً» وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي زرعة عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة لا يبولون ولا يتغوطون ولا يتفلون ولا يتمخطون، أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة، وأزواجهم الحور العين، أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» وروى شعبة بن قيس عن حبيب عن أبي ثابت عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول اللّه ﷺ: «أول من يدعى إلى الجنة يوم القيامة الحامدون الذين يحمدون الله في السراء والضراء» وقال الإمام أحمد حدثنا إسماعيل بن إبراهيم حدثنا هشام الدستوائي عن يحيي بن أبي كثير عن عامر العقيلي عن أبيه عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «عرض علي أول ثلاثة من أمتي يدخلون الجنة وأول ثلاثة يدخلون النار، فأما أول ثلاثة يدخلون الجنة فالشهيد وعبد مملوك لم يشغله رق الدنيا عن طاعة ربه وفقير متعفف ذو عيال، وأول ثلاثة يدخلون النار فأمير مسلط وذو ثروة من مال لا يؤدي حق اللّه من ماله، وفقير فخور» وروى الإمام أحمد في مسنده والطبراني في مِعجمه واللفظ له من حديث أبي عشالة المعافري أنه سمع عبد اللّه بن عمر يقول قال رسول الله ﷺ: «هل تدرون أول من يدخل الجنة؟ قالوا الله ورسوله أعلم، قال فقراء المهاجرين الذين تتقى بهم المكاره، ويموت أحدهم وحاجته في صدره لا يستطيع لها قضاء، تقول الملائكة ربنا نحن ملائكتك وخزنتك وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا، فيقول عبادي لا يشركون بي شيئاً تتقى بهم المكاره يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء فعند ذلك تدخل عليهم الملائكة من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» ولما ذكر الله تعالى أصناف بني آدم سعيدهم وشقيهم قسم سعيدهم إلى قسمين سابقين وأصحاب يمين فقال «والسابقون السابقون» واختلف في تقريرها على ثلاثة أقوال (أحدها) أنه باب التوكيد اللفظي ويكون الخبر قوله «أولئك المقربون» (والثاني) أن يكون السابقون الأول مبتدأ والثاني خبر له على حد قولك زيد زيد أي زيد الذي سمعت به هو زيد كما قال * أنا أبو النجم وشعري شعري * وكقول الآخر * إذ الناس ناس والزمان زمان * قال ابن عطية وهذا قول سيبويه و (الثالث) أن يكون الأول غير

الثاني ويكون المعنى السابقون في الدنيا إلى الخيرات هم السابقون يوم القيامة إلى الجنات، والسابقون إلى الإيمان هم السابقون إلى الجنان وهذا أظهر والله أعلم «فإن قيل» فما تقول في الحديث الذي رواه الإمام أحمد والترمذي وصححه من حديث بريدة بن الحصيب قال: «أصبح رسول الله ﷺ فدعا بلالاً فقال يا بلال بم سبقتني إلى الجنة فما دخلت الجنة قط إلا سمعت خشخشتك أمامي، ودخلت البارحة فسمعت خشخشتك أمامي، فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب، فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لرجل من أمة محمد، قلت أنا محمد لمن هذا القصر؟ قالوا لعمر بن الخطاب فقال بلال يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين، وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله علي ركعتين فقال رسول الله ﷺ فبذلك» قيل نتلقاه بالقبول والتصديق ولا يدل على أن أحداً يسبق رسول الله ﷺ إلى الجنة وأما تقدم بلال بين يدي رسول الله ﷺ في الجنة فلأن بلالاً كان يدعو إلى الله أولاً بالأذان فيتقدم أذانه بين يدي النبي ﷺ فتقدم دخوله بين يديه كالحاجب والخادم وقد روي في حديث «أن النبي ﷺ يبعث يوم القيامة وبلال بين يديه ينادي بالآذان» فتقدمه بين يديه ﷺ كرامة لرسوله وإظهاراً لشرفه وفضله لا سبقاً من بلال له بل هذا السبق من جنس سبقه إلى الوضوء ودخول السمجد ونحوه والله أعلم.

الباب الثامن والعشرون
في سبق الفقراء الأغنياء إلى الجنة

قال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم وهو خمسمائة عام» وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ورجال إسناده احتج بهم مسلم في صحيحه. وروى الترمذي من حديث ابن عباس الدوري عن المقبري عن سعيد بن أبي أيوب عن عمرو بن جابر الحضرمي عن حابر بن عبد الله عن النبي ﷺ أنه قال: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل الأغنياء بأربعين خريفاً» وفي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمرو قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: «فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة بأربعين خريفاً» وقال الإمام أحمد حدثنا حسين بن محمد حدثنا دويد عن سليم بن بشير عن عكرمة عن ابن عباس قال

قال النبي ﷺ: «التقى مؤمنان على باب الجنة مؤمن غني ومؤمن فقير كانا في الدنيا فأدخل الفقير الجنة وحبس الغني ما شاء اللّه أن يحبس، ثم أدخل الجنة فلقيه الفقير فقال أي أخي ماذا حبسك واللّه لقد احتبست حتى خفت عليك، فيقول أي أخي إني حبست بعدك محبساً فظيعاً كريهاً. ما وصلت إليك حتى سال مني العرق ما لو ورده الف بعير كلها أكلة حمض لصدرت عنه» وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد اللّه الحضرمي وعلي بن عبد اللّه الرازي قالا حدثنا علي بن مهران العطار حدثنا عبد الملك بن أبي كريمة عن سفيان الثوري عن محمد بن زيد عن أبي حازم عن أبي هريرة قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إن فقراء المؤمنين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بنصف يوم، وذلك خمسمائة عام» وذكر الحديث بطوله والذي في الصحيح أن سبقهم لهم بأربعين خريفاً. فأما أن يكون هو المحفوظ، وإما أن يكون كلاهما محفوظاً وتختلف مدة السبق بحسب أحوال الفقراء والأغنياء فمنهم من يسبق بأربعين، ومنهم من يسبق بخمسمائة كما يتأخر مكث العصاة من الموحدين في النار بحسب أحوالهم واللّه أعلم ولكن ههنا أمر يجب التنبيه عليه وهو أنه لا يلزم من سبقهم لهم في الدخول ارتفاع منازلهم عليهم، بل قد يكون المتأخر أعلى منزلة وإن سبقه غيره في الدخول، والدليل على هذا أن من الأمة من يدخل الجنة بغير حساب وهم السبعون ألفاً وقد يكون بعض من يحاسب أفضل من أكثرهم، والغني إذا حوسب على غناه فوجد قد شكر اللّه تعالى فيه وتقرب إليه بأنواع البر والخير والصدقة والمعروف كان أعلى درجة من الفقير الذي سبقه في الدخول ولم يكن له تلك الأعمال ولا سيما إذا شاركه الغني في أعماله وزاد عليه فيها واللّه لا يضيع أجر من أحسن عملاً. فالمزية مزيتان مزية سبق ومزية رفعة، وقد يجتمعان وينفردان فيحصل لواحد السبق والرفعة، ويعدمهما آخر، ويحصل لآخر السبق دون الرفعة، ولآخر الرفعة دون السبق، وهذا بحسب المقتضى للأمرين أو لأحدهما وعدمه، وباللّه التوفيق.

الباب التاسع والعشرون
في ذكر أصناف أهل الجنة الذين ضمنت لهم دون غيرهم

قال تعالى: ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم. وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن

الناس والله يحب المحسنين، والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله، ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون، أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ فأخبر أنه أعد الجنة للمتقين دون غيرهم، ثم ذكر أوصاف المتقين فذكر بذلهم للإحسان في حالة العسر واليسر والشدة والرخاء فإن من الناس من يبذل في حال اليسر والرخاء ولا يبذل في حال العسر والشدة ثم ذكر كف أذاهم عن الناس بحبس الغيظ بالكظم وحبس الانتقام بالعفو. ثم ذكر حالهم بينهم وبين ربهم في ذنوبهم وأنها إذا صدرت منهم قابلوها بذكر الله والتوبة والاستغفار وترك الأضرار فهذا حالهم مع الله وذاك حالهم مع خلقه. وقال تعالى: **﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم﴾** فأخبر تعالى أنه أعدها للمهاجرين والأنصار وأتباعهم بإحسان فلا مطمع لمن خرج عن طريقتهم فيها. وقال تعالى: **﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون. أولئك هم المؤمنون حقاً لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم﴾** فوصفهم بإقامة حقه باطناً وظاهراً وبأداء حق عباده. وفي صحيح مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (لما كان يوم حنين أقبل نفر من صحابة النبي ﷺ فقالوا فلان شهيد وفلان شهيد حتى مروا على رجل فقالوا فلان شهيد فقال رسول الله ﷺ كلا إني رأيته في النار في بردة غلها أو عباءة، ثم قال رسول الله ﷺ «يا ابن الخطاب اذهب فناد في الناس إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون» قال فخرجت فناديت إنه لا يدخل الجنة إلا المؤمنون) وللبخاري معناه. وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ أمر بلالاً ينادي في الناس: «أنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة» وفي بعض طرقه مؤمنة، وفي الحديث قصة. وفي صحيح مسلم من حديث عياض بن حمار المجاشعي أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: «ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني من يومي هذا. كل مال نحلته عبداً حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم فحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطاناً، وإن الله نظر إلى

أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب. وقال: إنما بعثتك لابتليك وأبتلي بك. وأنزلت عليك كتاباً لا يغسله الماء تقرأه نائماً ويقظان. وإن الله أمرني أن أحرق قريشاً فقلت رب إذا يثلغوا رأسي فيدعوه خبزة، قال استخرجهم كما أخرجوك وأغزهم نعنك، وانفق فسينفق عليك وابعث جيشاً نبعث خمسة مثله، وقاتل بمن أطاعك من عصاك، قال وأهل الجنة ثلاثة ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجل رحيم رقيق القلب لكل ذي قربى ومسلم، وعفيف متعفف ذو عيال، وأهل النار خمسة الضعيف الذي لا زبر له الذين هم فيكم تبعاً لا يبغون فيكم أهلاً ولا مالاً، والخائن الذي لا يخفى له طمع وإن دق إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسي إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك، وذكر البخل؛ أو الكذب والشنظير الفحاش وأن الله أوحى إلي أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغي أحد على أحد» وفي الصحيحين من حديث حارثة بن وهب قال سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عتل جواظ متكبر». وقال الإمام أحمد حدثنا علي بن إسحاق قال أنبأنا عبد الله أنبأنا موسى بن علي بن رباح قال سمعت أبي يحدث عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال «إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر جماع مناع، وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون» وذكر خلف بن خليفة عن أبي هاشم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم برجالكم من أهل الجنة. النبي في الجنة والصديق في الجنة، والشهيد في الجنة، والرجل يزور أخاه في ناحية المصر لا يزوره إلا لله في الجنة. ونساؤكم من أهل الجنة الودود الولود التي إذا غضب أو غضبت جاءت حتى تضع يدها في يد زوجها ثم تقوم لا أذوق غمضاً حتى ترضى» أخرج النسائي من هذا الحديث فضل النساء خاصة وباقي الحديث على شرطه، وروى الإمام أحمد في مسنده بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «إن أهل النار كل جعظري جواظ متكبر جماع مناع وأهل الجنة الضعفاء المغلوبون» وقال ابن ماجه في سننه حدثنا محمد بن يحيى وزيد بن أخرم قالا أنبأنا مسلم بن إبراهيم حدثنا أبو هلال الرايسي حدثنا عقبة بن أبي ثبيت الراسبي عن أبي الجوزاء عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «إن أهل الجنة من ملأ أذنيه من ثناء الناس خيراً وهو يسمع. وأهل النار من ملأ أذنيه من ثناء الناس شراً وهو يسمع» وفي

الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «مر بجنازة فأثنى عليها خير فقال نبي اللّه وجبت وجبت وجبت ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقال وجبت وجبت وجبت، فقال عمر فداك أبي وأمي، مر بجنازة فأثنى عليها خير فقال وجبت وجبت وجبت، ومر بجنازة فأثنى عليها شر فقلت وجبت وجبت وجبت،؟ فقال رسول اللّه ﷺ من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار، وأنتم شهداء الله في الأرض» وفي الحديث الآخر «يوشك أن تعلموا أهل الجنة من أهل النار قالوا كيف يا رسول الله؟ قال بالثناء الحسن وبالثناء السيء» وبالجملة فأهل الجنة أربعة أصناف ذكرهم الله سبحانه وتعالى في قوله ﴿ **ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً** ﴾ فنسأل الله أن يجعلنا منهم بمنه وكرمه.

الباب الثلاثون
في أن أكثر أهل الجنة هم أمة محمد ﷺ

في الصحيحين من حديث عبد اللّه بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «أما نرضون أن تكونوا ربع أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال أما ترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ فكبرنا، ثم قال إني لأرجو أن تكونوا شطر أهل الجنة، وسأخبركم عن ذلك، ما المسلمون في الكفار إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود أو كشعرة سوداء في ثور أبيض» هذا لفظ مسلم، وعند البخاري؛ «وكشعرة سوداء في ثور أبيض» بغير ألف، وعن بريدة بن الحصيب قال قال رسول اللّه ﷺ: «أهل الجنة عشرون ومائة صف هذه الأمة منها ثمانون صفاً» رواه الإمام أحمد والترمذي وإسناده على شرط الصحيح. ورواه الطبراني في معجمه من حديث عبد اللّه بن عباس وفي إسناده خالد بن يزيد البجلي وقد تكلم فيه ورواه أيضاً من حديث القاسم بن عبد الرحمن عن أبيه عن عبد اللّه بن مسعود قال قال رسول اللّه ﷺ: «كيف أنتم وربع الجنة لكم، ولسائر الناس ثلاثة أرباعها؟ قالوا اللّه ورسوله أعلم، قال كيف أنتم وثلثها، قالوا ذاك أكثر، قال كيف أنتم والشطر لكم، قالوا ذاك أكثر، فقال رسول اللّه ﷺ أهل الجنة عشرون ومائة صف لكم منها ثمانون صفاً» قال الطبراني لم يرو هذا الحديث عن القاسم بن عبد الرحمن، إلا الحرث بن خضيرة تفرد به عبد الواحد بن زياد. وقال عبد اللّه بن أحمد حدثنا

موسى بن غيلان بن هاشم بن مخلد حدثنا عبد اللَّه بن المبارك عن سفيان عن أبي عمرو. عن أبيه عن أبي هريرة قال: «لما نزلت (ثلة من الأولين وثلة من الآخرين) قال رسول اللَّه ﷺ: أنتم ربع أهل الجنة، أنتم ثلث أهل الجنة، أنتم نصف أهل الجنة، أنتم ثلثا أهل الجنة» قال الطبراني تفرد برفعه ابن المبارك عن الثوري. وقال خثيمة بن سليمان القرشي حدثنا أبو قلابة هو عبد الملك بن محمد بن بكار الصيرفي حدثنا حماد بن عيسى حدثنا سفيان الثوري عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف أنتم منها ثمانون صفاً» وهذه الأحاديث قد تعددت طرقها واختلفت مخارجها وصح سند بعضها ولا تنافي بينها وبين حديث الشطر لأنه ﷺ رجا أولاً أن يكونوا شطر أهل الجنة فأعطاه الله سبحانه رجاءه وزاد عليه سدساً آخر. وقد روى أحمد في مسنده من حديث أبي الزبير أنه سمع جابراً يقول سمعت رسول اللَّه ﷺ يقول: «أرجو أن يكون من يتبعني من أمتي يوم القيامة ربع أهل أهل الجنة، قال فكبرنا، ثم قال فأرجو أن تكونوا الشطر» وإسناده على شرط مسلم.

الباب الحادي والثلاثون
في أن النساء في الجنة أكثر من الرجال وكذلك هم في النار

ثبت في الصحيحين من حديث أيوب عن محمد بن سيرين قال: «أما تفاخروا وأما تذاكروا الرجال أكثر في الجنة أم النساء؟ فقال أبو هريرة ألم يقل أبو القاسم ﷺ أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء لكل امرىء منهم زوجتان اثنتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم، وما في الجنة عزب فإن كن من نساء الدنيا فالنساء في الدنيا أكثر، من الرجال وإن كن من الحور العين لم يلزم أن يكن في الدنيا أكثر. والظاهر أنهن من الحور العين لما رواه الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب» فإن قيل فكيف تجمعون بين هذا الحديث وبين حديث جابر المتفق عليه «شهدت مع رسول الله ﷺ العيد صلى قبل أن يخطب بغير أذان ولا إقامة، ثم خطب بعد ما صلى فوعظ الناس وذكرهم ثم أتى النساء فوعظهن ومعه بلال فذكرهن وأمرهن بالصدقة، قال فجعلت المرأة تلقي

خاتمها، وخرصها والشيء كذلك، فأمر النبي ﷺ بلالاً فجمع ما هناك، قال أن منكن في الجنة ليسير، فقالت امرأة يـا رسول اللّه لم؟ قـال أنكن تكثرن اللعن، وتكفـرن العشير» وفي الحديث الآخر «إن أقل ساكني الجنة النساء» قيل هـذا يدل على أنهن إنما كن في الجنة أكثر بالحور العين التي خلقن في الجنة وأقل ساكنيها نساء الـدنيا فنساء الدنيا أقل أهل الجنة وأكثـر أهل النـار، أما كـونهن أكثر أهـل النار فلمـا روى البخاري في صحيحه من حـديث عمران بن حصين، قـال بلغني أن رسول اللّه ﷺ قال: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، وأطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» وفي صحيح مسلم عن ابن عباس قال قال رسول اللّه ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء» وروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «اطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء، واطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء» وفي المسند أيضاً من حديث عبد اللّه بن عمر قال قال رسول اللّه ﷺ: «اطلعت في الجنة فرأيت أكثر أهلها الفقراء واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها الأغنياء والنساء» وفي الصحيح من حديث ابن عمر عن رسول اللّه ﷺ قال: «يا معشـر النساء تصـدقن وأكثرن الاستغفـار فإني رأيتكن أكثر أهل النار فقالت امرأة منهن خدلة وما لنا يا رسول اللّه أكثر أهل النار؟ قال تكثرن اللعن وتكفرن العشير، ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب منكن، قالت يا رسول اللّه وما نقصان العقل والدين؟ قال أما نقصان العقـل فشهادة امـرأتين تعدل بشهادة رجل: فهذا نقصان العقل، وتمكث الأيام لا تصلي وتفطر فهذا نقصان الدين» وأما كونهن أقل أهل الجنة ففي أفراد مسلم عن مطرف بن عبد اللّه «أنه كانت له امرأتان فجاء من عند إحداهما فقالت الأخرى جئت من عند فلانة، فقال جئت من عند عمران بن حصين فحدثنا أن رسول اللّه ﷺ قال: إن أقل ساكني الجنة النساء» «فإن قيل» فما تصنعون بالحديث الذي رواه أبو يعلى الموصلي حدثنا عمرو بن الضحاك بن مخلد حـدثنا أبـو عاصم الضحـاك بن مخلد حدثنـا أبو رافـع إسماعيـل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديثاً طويلاً وفيه «فيدخل الرجل منهم على ثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء اللّه تعـالى وثنتين من ولد آدم لهمـا فضل على من أنشأ اللّه بعبادتهما اللّه في الدنيا» وذكر الحديث قيل هذا قطعـة من حديث

الصور الطويل ولا يعرف إلا من حديث إسماعيل بن رافع وقد ضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدي أحاديثه كلها مما فيه نظر. وأما البخاري فقال فيه ما حكاه الترمذي عنه قال سمعت محمداً يقول فيه هو ثقة مقارب الحديث «قلت» ولكن إذا روى مثل هذا ما يخالف الأحاديث الصحيحة لم يلتفت إلى روايته وأيضاً فالرجل الذي روى عنه القرظي لا يدري من هو. وقد روى عنه أحمد في مسنده من حديث عمارة بن خزيمة بن ثابت قال «كنا مع عمرو بن العاص في حج أو عمرة حتى إذا كنا بمر الظهران فإذا امرأة في هودجها قال فمال فدخل الشعب فدخلنا معه فقال كنا مع رسول اللّه ﷺ في هذا المكان فإذا نحن بغربان كثيرة فيها غراب أعصم أحمر المنقار والرجلين، فقال رسول اللّه ﷺ «لا يدخل الجنة من النساء إلا مثل هذا الغراب في هذه الغربان» والأعصم من الغربان الذي في جناحه ريشة بيضاء قال الجوهري ويقال هذا كقولهم: إلا باق العقوق وبيض الأنوق. لكل شيء يعز وجوده. وفي النهاية الغراب الأعصم هو الأبيض الجناحين وقيل الأبيض الرجل أراد قلة من يدخل الجنة من النساء لأن هذا الوصف في الغربان قليل عزيز. وفي حديث آخر «المرأة الصالحة مثل الغراب الأعصم. قيل وما الغراب الأعصم يا رسول اللّه؟ قال الذي إحدى رجليه بيضاء» وفي حديث آخر «عائشة في النساء كالغراب الأعصم في الغربان».

الباب الثاني والثلاثون

فيمن يدخل الجنة من هذه الأمة بغير حساب وذكر أوصافهم

ثبت في الصحيحين من حديث الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال: «سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «يدخل الجنة من أمتي زمرة هم سبعون ألفاً تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر، فقام عكاشة بن محصن الأسدي يرفع نمرة عليه، فقال يا رسول اللّه ادع اللّه أن يجعلني منهم، فقال رسول اللّه ﷺ اللهم اجعله منهم، فقام رجل من الأنصار فقال يا رسول اللّه ادع اللّه أن يجعلني منهم فقال سبقك بها عكاشة» وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد

أن رسول اللّٰه ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب أو سبعمائة ألف آخذ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة وجوههم على صورة القمر ليلة البدر» فهذه هي الزمرة الأولى وهم يدخلونها بغير حساب والدليل عليه ما ثبت في الصحيحين والسياق لمسلم حدثنا سعيد بن منصور حدثنا هشام أنبأنا حصيف بن عبد الرحمن قال كنت عند سعيد بن جبير فقال: «أيكم الذي رأى الكوكب الذي انقض البارحة؟ قلت أنا، ثم قلت أما أني لم أكن في صلاة ولكني لدغت، قال فما صنعت؟ قلت استرقيت، قال فما حملك على ذلك؟ قلت حديث حدثناه الشعبي. قال وما حدثكم الشعبي؟ قلت حدثنا عن بريدة بن الحصيب الاسلمي أنه قال: لا رقية إلا من عين أو حمة فقال قد أحسن من انتهى إلى ما سمع، ولكن حدثنا ابن عباس عن النبي ﷺ قال عرضت علي الأمم فرأيت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان والنبي وليس معه أحد، ورفع إلى سواد عظيم فظننت أنهم أمتي فقيل لي هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق فنظرت فإذا سواد عظيم فقيل لي هذه أمتك ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس في أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب فقال بعضهم لعلهم الذين صحبوا رسول اللّٰه ﷺ. وقال بعضهم فلعلهم الذين ولدوا في الإسلام فلم يشركوا باللّٰه شيئاً وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول اللّٰه ﷺ فقال ما الذي تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال هم اللذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون، فقام عكاشة بن محصن فقال ادع اللّٰه أن يجعلني منهم فقال أنت منهم. ثم قام رجل آخر فقال ادع اللّٰه أن يجعلني منهم فقال: سبقك بها عكاشة» وليس عند البخاري لا يرقون قال شيخنا وهو الصواب وهذه اللفظة وقعت مقحمة في الحديث وهي غلط من بعض الرواة فإن النبي ﷺ جعل الوصف الذي يستحق به هؤلاء دخول الجنة بغير حساب هو تحقيق التوحيد وتجريده فلا يسألون غيرهم أن يرقيهم ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون والطيرة نوع من الشرك ويتوكلون على اللّٰه وحده لا على غيره وتركهم الاسترقاء والتطير هو من تمام التوكل على اللّٰه كما في الحديث «الطيرة شرك» قال ابن مسعود: وما منا إلا من تطير، ولكن اللّٰه يذهبه بالتوكل فالتوكل ينافي التطير وأما رقية العين فهي إحسان من الراقي قد رقى رسول اللّٰه ﷺ جبريل وأذن في الرقي وقال لا بأس بها ما لم يكن فيها شرك واستأذنوه فيها فقال من استطاع منكم أن

ينفع أخاه فلينفعه، وهذا يدل على أنها نفع وإحسان وذلك مستحب مطلوب لله ورسوله فالراقي محسن والمسترقي سائل راج نفع الغير والتوكل ينافي ذلك «فإن قيل» فعائشة قد رقت رسول الله ﷺ وجبريل قد رقاه «قيل» أجل ولكن هو لم يسترق وهو ﷺ لم يقل ولا يرقيهم راق وإنما قال لا يطلبون من أحد أن يرقيهم، وفي امتناعه ﷺ أن يدعو للرجل الثاني سد لباب الطلب فإنه لو دعا لكل من سأله ذلك فربما طلبه من ليس من أهله والله أعلم وفي صحيح مسلم من حيث محمد بن سيرين عن عمران بن حصين قال قال رسول الله ﷺ: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً بغير حساب ولا عذاب، قيل ومن هم؟ قال هم الذين لا يكتوون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون». وفي صحيحه أيضاً من حديث ابن الزبير أنه سمع جابر بن عبد الله قال: «سمعت النبي ﷺ يذكر حديثاً طويلاً وفيه فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر سبعون ألفاً لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك» وذكر تمام الحديث وقال أحمد بن منيع في مسنده حدثنا عبد الملك بن عبد العزيز حدثنا حماد عن عاصم عن زر عن ابن مسعود قال قال رسول الله ﷺ «عرضت علي الأمم بالموسم فتراأيت على أمتي ثم رأيتهم فأعجبني كثرتهم، وهيئتهم قد ملؤا السهل والجبل فقال أرضيت يا محمد؟ فقلت نعم فقال إن مع هؤلاء سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب. وهم الذين لا يسترقون. ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال يا رسول الله ادع الله أن يجعلني منهم فقال رسول الله ﷺ أنت منهم فقام رجل آخر فقال سبقك بها عكاشة» وإسناده على شرط مسلم.

الباب الثالث والثلاثون
في ذكر حثيات الرب تبارك وتعالى الذين يدخلهم الجنة

قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن محمد بن زياد قال سمعت أبا أمامة الباهلي يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «وعدني ربي أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب مع كل ألف سبعون ألفاً لا حساب عليهم ولا عذاب، وثلاث حثيات من حثيات ربي» قلت وإسماعيل بن عياش إنما يخاف من تدليسه وضعفه فأما تدليسه فقد قال الطبراني حدثنا أحمد بن المعلي الدمشقي والحسين بن

إسحاق التستري قالا حدثنا هشام بن عمار قال حدثنا إسماعيل بن عياش قال أخبرني محمد بن زياد الالهاني قال سمعت أبا أمامة فذكره، وأما ضعفه فإنما هو في غير حديث الشاميين وهذا من روايته عن الشاميين، وأيضاً فقد جاء من غير طريقه. قال أبو بكر يا ابن أبي عاصم حدثنا دحيم حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر عن أبي اليمان الهوزني عن أبي أمامة. عن رسول الله ﷺ قال: «إن الله وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب قال يزيد بن الأخنس والله ما أولئك في أمتك يا رسول الله إلا مثل الزباب الأصفر في الذباب، قال رسول الله ﷺ فإن الله وعدني سبعين ألفاً مع كل ألف سبعون ألفاً وزاد في ثلاث حثيات» قال أبو عبد الله المقدسي أبو اليمان اسمه عامر بن عبد الله بن لحى ودحيم لقب واسمه عبد الرحمن بن إبراهيم القاضي شيخ البخاري ومن فوقه إلى أبي أمامة من رجال الصحيح إلا الهوزني. وما علمت فيه جرحاً قال الطبراني حدثنا أحمد بن خليد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عامر بن يزيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي قال قال رسول الله ﷺ: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب، ثم يشفع كل ألف لسبعين ألفاً، ثم يحثي ربي تبارك وتعالى بكفيه ثلاث حثيات فكبر عمر وقال أن السبعين الأول يشفعهم الله في آبائهم وأبنائهم وعشائرهم وأرجو أن يجعلني الله في إحدى الحثيات الأواخر» قال الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الواحد لا أعلم لهذا الإسناد علة قال الطبراني وحدثنا أحمد بن خالد حدثنا أبو توبة حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام أنه سمع أبا سلام يقول حدثني عبد الله بن عامر بن قيس الكندي أن أبا سعيد الأنماري حدثه أن رسول الله ﷺ قال: «إن ربي عز وجل وعدني أن يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب ويشفع لكل ألف سبعين ألفاً ثم يحثي ربي ثلاث حثيات بكفيه، قال ابن قيس فقلت لأبي سعيد أنت سمعت هذا من رسول الله ﷺ؟ قال نعم بإذني ووعاه قلبي، قال أبو سعيد فقال رسول الله ﷺ وذلك إن شاء الله يستوعب مهاجري أمتي، ويوفي الله عز وجل بقيته من أعرابنا» قال الطبراني لم يرو هذا الحديث عن أبي سعيد الأنماري إلا بهذا الإسناد وتفرد به معاوية ابن سلام وقد رواه محمد بن سهل بن عسكر عن أبي توبة الربيع بن نافع بإسناده وفيه قال أبو سعيد «فحسب ذلك عند رسول الله ﷺ فبلغ أربعمائة ألف ألف وتسعمائة ألف

فقال رسول اللّٰه ﷺ أن ذلك يستوعب إن شاء اللّٰه مهاجري أمتي» قال الطبراني حدثنا محمد بن صالح بن الوليد الترسي ومحمد بن يحيى بن منده الأصبهاني قالا أخبرنا أبو حفص عمرو بن علي حدثنا معاذ بن هشام حدثني أبي عن قتادة عن أبي بكر بن أنس عن أبي بكر بن عمير عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن اللّٰه وعدني أن يدخل من أمتي ثلاثمائة ألف الجنة فقال عمير يا رسول اللّٰه زدنا فقال هكذا بيده، فقال عمير يا رسول اللّٰه زدنا فقال عمر حسبك يا عمير، فقال: ما لنا ولك يا ابن الخطاب وما عليك أن يدخلنا اللّٰه الجنة، فقال عمر أن اللّٰه عز وجل إن شاء أدخل الناس الجنة بحفنة أو بحثية واحدة، فقال نبي اللّٰه ﷺ صدق عمر» قال محمد بن عبد الواحد لا أعرف لعمير حديثاً غيره. وفي الحلية من حديث سليمان بن حرب حدثنا أبو هلال عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «وعدني ربي عز وجل أن يدخل من أمتي الجنة مائة ألف فقال أبو بكر يا رسول اللّٰه زدنا قال وهكذا وأشار سليمان بن حرب بيده كذلك قال يا رسول اللّٰه زدنا فقال عمر إن اللّٰه قادر أن يدخل الناس الجنة بحفنة واحدة، فقال رسول اللّٰه ﷺ صدق عمر» رواه عنه أبو إبراهيم بن الهيثم البلدي وفيه ضعف تفرد به. أبو هلال الراسبي بصري واسمه محمد بن سليمان وقال عبد الرزاق أنبأنا معمر عن قتادة عن النضر بن أنس عن أنس قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «إن اللّٰه وعدني أن يدخل الجنة من أمتي أربعمائة ألف، قال أبو بكر زدنا يا رسول اللّٰه قال وهكذا وجمع بين يديه قال زدنا يا رسول اللّٰه قال وهكذا، فقال عمر حسبك يا أبا بكر فقال أبو بكر دعني وما عليك أن يدخلنا الجنة كلنا! فقال عمر إن شاء اللّٰه أدخل خلقه الجنة بكف واحد، فقال النبي ﷺ صدق عمر» تفرد به عبد الرزاق وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا محمد بن أبي بكر حدثنا عبد القاهر بن السري السلمي حدثنا حميد عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفاً قالوا زدنا يا رسول اللّٰه فقال وهكذا وحثى بيده، قالوا يا نبي اللّٰه أبعد اللّٰه من دخل النار بعد هذا»، قال محمد بن عبد الواحد لا أعلمه روي عن أنس بهذا الطريق وسئل يحيى بن معين عن عبد القاهر فقال صالح، وأصحاب هذه الحثيات هم الذين وقعوا في قبضته الأولى سبحانه يوم القبضتين. «فإن قيل» فكيف كانوا أولاً قبضة واحدة ثم صاروا ثلاث حثيات مع العدد المذكور «قيل» الرب سبحانه وتعالى أخرج يوم القبضتين صورهم وأشباحهم وقد روي أنهم كانوا كالذر وأما يوم الحثيات فيكونون أتم ما كانوا خلقة

وأكمل أجساماً، فناسب أن تتعدد الحثيات بكلتا اليدين والله أعلم .

الباب الرابع والثلاثون
في ذكر تربة الجنة وطينتها وحصبائها وبنائها

قال الإمام أحمد حدثنا أبو النضر وأبو كامل قالا أنبأنا زهير حدثنا سعيد الطائي حدثنا أبو مدلة مولى أم المؤمنين سمع أبا هريرة يقول: «قلنا يا رسول الله إذا رأيناك رقت قلوبنا وكنا من أهل الآخرة، وإذا فارقناك أعجبتنا الدنيا وشممنا النساء والأولاد، قال لو تكونون على كل حال على الحال التي أنتم عليها عندي لصافحتكم الملائكة بأكفهم ولزارتكم في بيوتكم، ولو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون كي يغفر الله لهم، قال قلنا يا رسول الله حدثنا عن الجنة ما بناؤها؟ قال لبنة ذهب ولبنة فضة، وملاطها[1] المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران، من يدخلها ينعم لا يبأس، ويخلد لا يموت، لا تبلى ثيابه؛ ولا يفنى شبابه، ثلاثة لا ترد دعوتهم الإمام العادل والصائم حتى يفطر، ودعوة المظلوم تحمل على الغمام وتفتح لها أبواب السموات ويقول الرب وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين» وروى أبو بكر بن مردويه من حديث الحسن عن ابن عمر قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الجنة فقال من يدخل الجنة يحيا لا يموت وينعم لا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، قيل يا رسول الله كيف بناؤها؟ قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» هكذا جاء في هذه الأحاديث أن ترابها الزعفران وكذلك روي عن يزيد بن زريع حدثنا سعيد عن قتادة عن العلاء بن زياد عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «الجنة لبنة من ذهب ولبنة من فضة وترابها الزعفران وطينها المسك» وفي الصحيحين من حديث الزهري عن أنس بن مالك قال: «كان أبو ذر يحدث أن رسول الله ﷺ قال: «أدخلت الجنة فإذا فيها جنابذ[2] اللؤلؤ وإذا ترابها المسك» وهو قطعة من حديث المعراج وقد روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ «سأل ابن صياد عن تربة الجنة فقال در مكة بيضاء مسك خالص، فقال رسول الله ﷺ

(١) ملاطها طينها.

(٢) الجنابذ جمع جنبذة وهي القبة.

صدق» ثم رواه عن أبي بكر بن أبي شيبة عن أبي أسامة عن الحريري عن أبي نضرة أن ابن صياد سأل النبي ﷺ عن تربة الجنة فقال: «درمكة بيضاء مسك خالص» وقال سفيان بن عيينة عن مجالد عن الشعبي عن جابر بن عبد الله قال: «جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال يا محمد قد غلب أصحابك اليوم قال وبأي شيء غلبوا؟ قال سألهم اليهود كم عدد خزنة النار فقالوا لا ندري، حتى نسأل نبينا، فقال رسول الله ﷺ أيغلب قوم سئلوا عما لا يعلمون فقالوا حتى نسأل نبينا؟!! ولكن هم أعداء الله سألوا نبيهم أن يريهم الله جبرة، علي بأعداء الله فإني سائلهم عن تربة الجنة وأنها درمكة فلما أن جاؤه قالوا يا أبا القاسم كم عدة خزنة النار؟ فقال رسول الله ﷺ بيديه كلتيهما هكذا وهكذا وقبض واحدة أي تسعة عشر، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما تربة الجنة؟ فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا خبزة يا أبا القاسم، فقال النبي ﷺ الخبزة من الدرمكة» فهذه ثلاث صفات في تربتها لا تعارض بينها فذهبت طائفة من السلف إلى أن تربتها متضمنة للنوعين المسك والزعفران. قال أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا محمد بن أبي عبيد عن أبيه عن الأعمش عن مالك بن الحارث قال قال معتب بن سمي: الجنة ترابها المسك والزعفران، ويحتمل معنيين آخرين (أحدهما) أن يكون التراب من زعفران فإذا عجن بالماء صار مسكاً والطين يسمى تراباً ويدل على هذا قوله في اللفظ الآخر. ملاطها المسك والملاط الطين ويدل عليه أن في حديث العلاء بن زياد «ترابها الزعفران وطينها المسك» فلما كانت تربتها طيبة وماؤها طيباً فانضم أحدهما إلى الآخر حدث لهما طيب آخر فصار مسكاً (المعنى الثاني) أن يكون زعفراناً باعتبار اللون مسكاً باعتبار الرائحة، وهذا من أحسن شيء يكون، البهجة والإشراق لون الزعفران والرائحة رائحة المسك، وكذلك تشبيهها بالدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها وهذا معنى ما ذكره سفيان بن عيينة عن أبي نجيح عن مجاهد بهذا أرض الجنة من فضة وترابها المسك فاللون في البياض لون الفضة والرائحة رائحة المسك وقد ذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي بكر بن أبي شيبة عن عمر بن عطاء بن زرارة عن سالم بن المغيث عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «أرض الجنة بيضاء عرصتها صخور الكافور وقد أحاط به المسك مثل كثبان الرمل، فيها أنهار مطردة فيجتمع فيها أهل الجنة أدناهم وآخرهم فيتعارفون فيبعث الله ريح الرحمة فتهيج عليهم ريح المسك فيرجع الرجل إلى زوجته وقد ازداد

حسناً وطيباً فتقول لقد خرجت من عندي وأنا بك معجبة وأنا بك الآن أشد إعجاباً» وقال ابن أبي شيبة حدثنا معاوية بن هشام حدثنا علي بن صالح عن عمر بن ربيعة عن الحسن عن ابن عمر قال «قيل يا رسول الله كيف بناء الجنة؟ قال لبنة من فضة ولبنة من ذهب وملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت، وترابها الزعفران» وقال أبو الشيخ حدثنا الوليد بن أبان حدثنا أسيد ابن عاصم حدثنا الحوضي حدثنا عدي بن الفضل حدثنا سعيد الحريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله بنى جنات عدن بيده وبناؤها لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك الأذفر، وترابها الزعفران وحصباؤها اللؤلؤ، ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون، فقالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك» وقال أبو الشيخ حدثنا عمرو بن الحسين حدثنا أبو علاثة حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن أبي بن كعب قال قال رسول الله ﷺ: «قلت ليلة أسرى بي يا جبريل إنهم سيسألوني عن الجنة؛ قال فأخبرهم أنها من درة بيضاء وأن أرضها عقيان» والعقيان الذهب فإن كان ابن علاثة حفظه فهي أرض الجنتين الذهبيتين فيكون جبريل أخبره بأعلى الجنتين وأفضلهما والله أعلم.

الباب الخامس والثلاثون
في ذكر نورها وبياضها

قال أحمد بن منصور الرمادي أنبأنا كثير بن هشام حدثنا هشام بن زياد وأبو المقدام عن حبيب بن الشهيد عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «خلق الله الجنة بيضاء؛ وأحب الزي إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم، ثم أمر برعاء الشاء فجمعت فقال من كان منكم ذا غنم سود فليخلط بها بيضاء، فجاءته امرأة فقالت يا رسول الله إني اتخذت غنماً سوداً فلا أراها تنمو قال عفري» وقوله «عفري» أي بيضي وذكر أبو نعيم من حديث عباد بن عباد حدثنا هشام بن زياد عن يحيى بن عبد الرحمن عن عطاء عن ابن عباس يرفعه: «إن الله خلق الجنة بيضاء وأن أحب اللون إلى الله البياض فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم» وذكر من طريق عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب عن حمزة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ: «عليكم بالبياض فإن الله خلق

الجنة بيضاء فليلبسه أحياؤكم وكفنوا فيه موتاكم» وروينا من طريق البخاري حدثنا عبد اللّه بن محمد حدثنا سويد بن سعيد حدثنا عبد ربه الحنفي عن خاله الزميل بن السماك أنه سمع أباه يحدث أنه لقي عبد اللّه بن عباس بالمدينة بعد ما كف بصره فقال «يا ابن عباس ما أرض الجنة؟ قال مرمرة بيضاء من فضة كأنها مرآة، قلت فما نورها؟ قال ما رأيت الساعة التي تكون فيها قبل طلوع الشمس فذلك نورها إلا أنه ليس فيها شمس ولا زمهرير» وذكر الحديث وسيأتي إن شاء اللّه تعالى وفي حديث لقيط بن عامر الطويل الذي رواه عبد اللّه بن أحمد في مسند أبيه عن النبي ﷺ وذكر الحديث وقال «وتحتبس الشمس والقمر فلا يرون منهما واحداً، قال قلت يا رسول اللّه فبم نبصر؟ قال مثل بصرك في ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض وواجهته الجبال» وفي سنن ابن ماجه من حديث الوليد بن مسلم عن محمد بن مهاجر عن الضحاك المغافري عن سليمان بن موسى حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول اللّه ﷺ: «ألا هل مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد، ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة، وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة في محلة عالية بهية، قالوا نعم يا رسول اللّه نحن المشمرون لها، قال قولوا إن شاء اللّه قال القوم إن شاء اللّه».

الباب السادس والثلاثون
في ذكر غرفها وقصورها ومقاصيرها

قال اللّه تعالى: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم لهم غرف من فوقها غرف مبنية﴾فأخبر أنها غرف فوق غرف وأنها مبنية بناء حقيقة لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل وأنه ليس هناك بناء بل تتصور النفوس غرفاً مبنية كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنها ينظر إليها عياناً ومبنية صفة للغرف الأولى والثانية أي لهم منازل مرتفعة وفوقها منازل أرفع منها وقال تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾ والغرفة جنس كالجنة وتأمل كيف جعل جزاءهم على هذه الأقوال المتضمنة للخضوع والذل والاستكانة للّه الغرفة والتحية والسلام في مقابلة صبرهم على سوء خطاب الجاهلين لهم فبدلوا بذلك سلام اللّه وملائكته عليهم. وقال تعالى: ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا

زلفي إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾ وقال تعالى: ﴿يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار، ومساكن طيبة في جنات عدن﴾ وقال تعالى: عن امرأة فرعون أنها قالت «رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة» وروى الترمذي في جامعه من حديث عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً يرى ظهورها من بطونها وبطونها من ظهورها، فقام أعرابي فقال يا رسول الله لمن هي؟ قال لمن طيب الكلام، وأطعم الطعام، وأدام الصيام، وصلى بالليل والناس نيام» قال الترمذي هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن إسحاق. وقال الطبراني حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا هشام بن عمار حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا معاوية بن سلام عن زيد بن سلام قال حدثني أبو سلام حدثني أبو معانق الأشعري حدثني أبو مالك الأشعري أن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها أعدها الله لمن أطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام، وقال ابن وهب حدثنا حيي عن عبد الرحمن عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها؛ قال أبو مالك الأشعري لمن هي يا رسول الله؟ قال لمن أطاب الكلام وأطعم الطعام وبات قائماً والناس نيام» قال محمد بن عبد الواحد وهو عندي إسناد حسن وذكر أبي مالك فيه يدل على صحته لأن أبا مالك قد رواه وإسناده أيضاً حسن وقد تقدم حديث أبي سعيد المتفق على صحته: «إن أهل الجنة ليتراؤون أهل الغرف كما تراؤون الكوكب الغابر من الأفق» وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» وقد تقدم قوله ﷺ في الحديث الصحيح: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة» وقوله في حديث أبي موسى: «يقول الله عز وجل لمن حمد واسترجع عند موت ولده ابنوا لعبادي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد» وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن أبي أوفى وأبي هريرة وعائشة «أن جبريل قال للنبي ﷺ هذه خديجة اقرئها السلام من ربها وأمره أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» والقصب ههنا قصب اللؤلؤ المجوف، وقد روى ابن أبي الدنيا من حديث يزيد بن هرون عن حماد بن سلمة عن

عكرمة عن أبي هريرة ين النبي ﷺ قال: «أن في الجنة لقصراً من لؤلؤ ليس فيه صدع ولا وهن أعده اللّٰه عز وجل لخليله إبراهيم» وفي الصحيحين من حديث حميد عن أنس أن النبي ﷺ قال: «أدخلت الجنة فإذا أنا بقصر من ذهب فقلت لمن هذا القصر؟ قالوا لشاب من قريش فظننت أني أنا هو. فقلت ومن هو قالوا لعمر بن الخطاب» وهو فيهما من حديث جابر ولفظه «فأتيت على قصر مربع مشرف من ذهب» وقد تقدم وقال ابن أبي الدنيا حدثنا شجاع بن الأشرس قال سمعت عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون عن حميد عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «دخلت الجنة فإذا فيها قصر أبيض قال قلت لجبريل لمن هذا القصر؟ قال لرجل من قريش فرجوت أن أكون أنا فقلت لأي قريش؟ قال لعمر بن الخطاب» وهذا إن كان محفوظاً فبياضه نوره وإشراقه وضياؤه واللّٰه أعلم. وقال الحسن قصر من ذهب لا يدخله إلا نبي أو صديق أو شهيد أو حكم عدل يرفع بها صوته. وقال الأعمش عن مالك بن الحرث عن مغيث بن سمي قال: إن في الجنة قصوراً من ذهب وقصوراً من فضة وقصوراً من لؤلؤ وقصوراً من ياقوت وقصوراً من زبرجد. وقال الأعمش عن مجاهد عن عبيد بن عمير قال إن أدنى أهل الجنة منزلة من له دار من لؤلؤة واحدة منها غرفها وأبوابها. وروى البيهقي من حديث حفص بن عمر حدثنا عمرو بن قيس الملائي عن عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً فإذا كان ساكنها فيها لم يخف عليه ما خلفها، وإذا كان خلفها لم يخف عليه ما فيها، قيل لمن هي يا رسول اللّٰه؟ قال لمن أطاب الكلام وواصل الصيام وأطعم الطعام وأفشى السلام وصلى والناس نيام، قال وما طيب الكلام؟ قال سبحان اللّٰه والحمد للّٰه ولا إله إلا اللّٰه واللّٰه أكبر فإنها تأتي يوم القيامة ولها مقدمات ومعقبات قيل وما وصال الصيام؟ قال من صام شهر رمضان ثم أدرك شهر رمضان فصامه، قيل وما إطعام الطعام؟ قال من قات عياله وأطعمهم، قيل وما إفشاء السلام؟ قال مصافحة أخيك وتحيته، قيل وما الصلاة والناس نيام؟ قال صلاة العشاء الآخرة» قال حفص بن عمر هذا مجهول لم يروه عنه غير علي بن حرب فيما أعلم قلت هذا يلقب بالكفر بفتح الكاف وسكون الفاء وقد روى عنه محمد بن غالب تمتام وعلي بن حرب وهما ثقتان ولكن ضعفه ابن عدي وابن حبان وحديثه هذا له شواهد واللّٰه أعلم وفي فوائد ابن السماك حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن منصور حدثنا أبي حدثنا عبد الرحمن بن عبد المؤمن قال سمعت محمد بن واسع يذكر عن

الحسن عن جابر بن عبد اللّه قال قال النبي ﷺ: «ألا أحدثكم بغرف الجنة؟» قال قلنا بلى يا رسول اللّه بأبينا أنت وأمنا، قال إن في الجنة غرفاً من أصناف الجوهر كله يرى ظاهرها من باطنها من ظاهرها، فيها من النعيم واللذات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، قال قلنا يا رسول اللّه لمن هذه الغرف؟ قال لمن أفشى السلام وأطعم الطعام وأدام الصيام وصلى بالليل والناس نيام، قال: قلنا يا رسول اللّه ومن يطيق ذلك؟ قال أمتي تطيق ذلك وسأخبركم عن ذلك من لقي أخاه فسلم عليه فقد أفشى السلام، ومن أطعم أهله وعياله من الطعام حتى يشبعهم فقد أطعم الطعام، ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلاثة أيام، فقد أدام الصيام ومن صلى صلاة العشاء الأخيرة في جماعة فقد صلى الليل والناس نيام اليهود والنصارى والمجوس» وهذا الإسناد وإن كان لا يحتج به وحده فإذا انضم إليه، ما تقدم استفاد قوة مع أنه قد روي بإسنادين آخرين.

الباب السابع والثلاثون
في ذكر معرفتهم لمنازلهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة وإن لم يروها قبل ذلك

قال تعالى: ﴿والذين قتلوا في سبيل اللّه فلن يضل أعمالهم سيهديهم ويصلح بالهم ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾ قال مجاهد يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً وقال ابن عباس في رواية أبي صالح «هم أعرف بمنازلهم من أهل الجمعة إذا انصرفوا إلى منازلهم». وقال محمد بن كعب يعرفونها كما تعرفون بيوتكم في الدنيا إذا انصرفتم من يوم الجمعة. هذا قول جمهور المفسرين وتلخيص أقوالهم ما قاله أبو عبيدة عرفها لهم أي بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلال وقال مقاتل ابن حيان: بلغنا أن الملك الموكل بحفظ بني آدم يمشي في الجنة ويتبعه ابن آدم حتى يأتي أقصى منزل هو له فيعرفه كل شيء أعطاه اللّه في الجنة فإذا دخل إلى منزله وأزواجه انصرف الملك عنه. وقال سلمة بن كهيل طرقها لهم ومعنى هذا أنه طرقها لهم حتى يهتدوا إليها وقال الحسن. وصف اللّه الجنة في الدنيا لهم فإذا دخلوها عرفوها بصفتها وعلى هذا القول فالتعريف وقع في الدنيا ويكون المعنى يدخلهم الجنة التي عرفها لهم وعلى القول الأول يكون التعريف واقعاً في الآخرة هذا كله إذا قيل أنه من التعريف وفيها قول آخر أنه من العرف وهو الرائحة

الطيبة وهذا اختيار الزجاج أي طيبها ومنه طعام معرف أي مطيب وقيل هو من العرف وهو التتابع أي تابع لهم طيباتها وملاذها والقول هو الأول وأنه سبحانه أعلمها وبينها بما يعلم به كل أحد منزله وداره فلا يتعداه إلى غيره. وفي صحيح البخاري من حديث قتادة عن أبي المتوكل الناجي عن أبي سعيد الخدري أن نبي اللّه ﷺ قال: «إذا خلص المؤمنون من النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار يتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم بدخول الجنة، والذي نفسي بيده أن أحدهم بمنزلة في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا» وفي مسند آخر من حديث أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأحوالكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم إذا دخلوا الجنة».

الباب الثامن والثلاثون
في كيفية دخولهم الجنة وما يستقبلون عند دخولها

قد تقدم قوله تعالى ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً﴾ وقال تعالى: ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ قال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن عباد بن موسى العكلي حدثنا يحيى بن سليم الطائفي حدثنا إسماعيل بن عبد اللّه المكي حدثنا أبو عبد اللّه أنه سمع الضحاك بن مزاحم يحدث عن الحرث عن علي أنه سأل رسول اللّه ﷺ عن هذه الآية ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ قال قلت يا رسول اللّه ما الوفد إلا ركب قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم استقبلوا بنوق بيض لها أجنحة عليها رحال الذهب شرك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مثل مد البصر وينتهون إلى باب الجنة فإذا حلقة من ياقوتة حمراء على صفائح الذهب وإذا شجرة على باب الجنة ينبع من أصلها عينان فإذا شربوا من إحداهما جرت في وجوههم نضرة النعيم، وإذا توضؤوا من الأخرى لم تشعث أشعارهم أبداً، فيضربون الحلقة بالصفيحة فلو سمعت طنين الحلقة فيبلغ كل حوراء أن زوجها قد أقبل فتستخفها العجلة فتبعث قيمها فيفتح له الباب فلولا أن اللّه عز وجل عرفه نفسه لخر له ساجداً مما يرى من النور والبهاء. فيقول أنا قيمك الذي وكلت بأمرك، فيتبعه فيقفو أثره فيأتي زوجته فتستخفها العجلة فتخرج من الخيمة فتعانقه وتقول أنت

حبي وأنا حبك وأنا الراضية فلا أسخط أبداً، وأنا الناعمة فلا أبأس أبداً والخالدة فلا أظعن أبداً، فيدخل بيتاً من أساسه إلى سقفه مائة ذراع مبني على جندل اللؤلؤ والياقوت طرائق حمر وطرائق خضر وطرائق صفر، ما منها طريقة تشاكل صاحبتها، فأتي الأريكة فإذا عليها سرير على السرير سبعون فراشاً عليها سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من باطن الجلد يقضي جماعهن في مقدار ليلة، تجري من تحتها أنهار مطردة أنهار من ماء غير آسن صاف ليس فيه كدر. وأنهار من عسل مصفى لم يخرج من بطون النحل، وأنهار من خمر لذة للشاربين لم تعصره الرجال بأقدامها، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه لم يخرج من بطون الماشية، فإذا اشتهوا الطعام جاءتهم طيور بيض فترفع أجنحتها فيأكلون من جنوبها من أي الألوان شاؤا ثم تطير فتذهب، فيها ثمار متدلية إذا اشتهوها انشعب الغصن إليهم فيأكلون من أي الثمار شاؤا إن شاء قائماً وإن شاء متكئاً؛ وذلك قوله عز وجل (وجنى الجنتين دان) وبين أيديهم خدم كاللؤلؤ» هذا حديث غريب وفي إسناده ضعف وفي رفعه نظر والمعروف أنه موقوف على علي قال ابن أبي الدنيا حدثنا، محمد بن عمر بن سليمان حدثنا محمد بن فضيل عن عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد في هذه الآية ﴿يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً﴾ قال: «أما والله لا يحشر الوفد على أرجلهم ولكن يؤتون بنوق لم تر الخلائق مثلها، عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد فيركبون عليها حتى يضربوا باب الجنة» وقال علي بن الجعد في الجعديات أنبأنا زهير بن معاوية عن أبي إسحاق عن عاصم بن ضمرة عن علي قال: «يساق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً حتى إذا انتهوا إلى باب من أبوابها وجدوا عنده شجرة يخرج من تحت ساقها عينان تجريان فعمدوا إلى إحداهما كأنما أمروا بها فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذى وقذي وبأس ثم عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها فجرت عليهم نضرة النعيم فلن تغير أبشارهم أو تغبر بعدها أبداً ولن تشعث أشعارهم كأنما دهنوا بالدهان ثم انتهوا إلى خزنة الجنة فقالوا سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين، قال ثم تلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته، فيقولون أبشر بما أعد الله لك من الكرامة كذا قال ثم ينطلق غلام من أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين فيقول قد جاء فلان باسمه الذي يدعى به في الدنيا فتقول أنت رأيته فيقول أنا رأيته وهو ذا بأثري فيستخف

إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها فإذا انتهى إلى منـزله نـظر إلى أساس بنـائه فإذا جندل اللؤلؤ فوقه صرح أخضر وأصفر وأحمر ومن كل لون، ثم رفع رأسه فنـظر إلى سقفه فإذا مثل البرق فلولا أن الله قدره له لأ لم أن يذهب ببصره ثم طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفـة وزرابي مبثوثـة فنظروا إلى تلك النعمة ثم اتكؤا وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، ثم ينادي مناد تحيون فلا تمـوتون أبـداً، وتقيمون فـلا تظعنـون أبداً، وتصحـون فلا تمرضون أبداً» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال «ذكر لنا أن الرجل إذا دخل الجنة صور صورة أهل الجنـة وألبس لباسهم وحلى حليهم وأرى أزواجه وخدمه ويأخذه سوار فرح لو كان ينبغي أن يموت لمات من سوار فرحه، فيقال له أرأيت سوار فرحتك هذه فإنها قائمة لك أبداً» قال ابن المبارك وأخبرنا راشد بن سعد أنبأنا زهـرة بن معبد القـرشي عن أبي عبد الـرحمن الجيلي قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ» قال ابن المبارك وأنبأنا يحيى بن أيوب حدثني عبيد الله بن زخر عن محمد بن أبي أيوب المخزومي عن أبي عبـد الرحمن المعـافري قال: «إنـه ليصف للرجل من أهـل الجنة سمـاطان لا يـرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه» وقال أبو نعيم أنبأنا أبو سلمة عن الضحاك قال: إذا دخل المؤمن الجنة دخل أمامه ملك فأخذ به في سككها فيقـول له أنـظر ما ترى قال أرى أكثر قصور رأيتها من ذهب وفضة وأكثر أنيس فيقول له الملك فأن هذا أجمع لك حتى إذا رفع إليهم استقبلوه من كل باب ومن كل مكان يقولون نحن لك ثم يقول أمش فيقول ماذا ترى فيقول أرى أكثر عساكر رأيتها من خيام وأكثر أنيس قال فإن هذا أجمع لك فإذا رفع إليهم استقبلوه فقالوا نحن لك نحن لك» وفي الصحيحين من حديث سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفاً أو سبعمائة ألف متماسكون آخذ بعضهم ببعض لا يدخـل أولهم حتى يدخـل آخرهـم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر».

الباب التاسع والثلاثون
في ذكر صفة أهل الجنة في خلقهم وخلقهم وطولهم وعرضهم ومقدار أسنانهم

قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرازق قال حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة رضي اللّٰه عنه قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «خلق اللّٰه عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً فلما خلقه قال له اذهب فسلم على أولئك النفر وهم نفر من الملائكة جلوس فاستمع ما يحيونك فإنها تحيتك وتحية ذريتك، قال فذهب فقال السلام عليكم، فقالوا السلام عليك ورحمة اللّٰه فزادوه ورحمة اللّٰه قال فكل من يدخل الجنة على صورة آدم طوله ستون ذراعاً فلم يزل ينقص الخلق بعده حتى الآن» متفق على صحته، وقال الإمام أحمد حدثنا يزيد بن هارون وعفان بن مسلم قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد بن جدعان عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين وهم على خلق آدم ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع» قيل تفرد به حماد عن علي من زيد وفي جامع الترمذي من حديث شهر بن حوشب عن عبد الرحمن بن غنم عن معاذ بن جبل أن النبي ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين» قال هذا حديث حسن غريب. وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا محمود بن خالد وعباس بن الوليد قال حدثنا عمر عن الأوزاعي عن هرون بن رباب عن أنس بن مالك قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «يبعث أهل الجنة على صورة آدم في ميلاد ثلاث وثلاثين سنة جرداً مرداً مكحلين ثم يذهب بهم إلى شجرة في الجنة فيكسون منها لا تبلى ثيابهم ولا يفنى شبابهم» وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر حدثنا عبد اللّٰه بن المبارك عن رشد بن سعد عن عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «من مات من أهل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً، وكذلك أهل النار» فإن كان هذا محفوظاً لم يناقض ما قبله فإن العرب إذا قدرت بعدد له نيف فإن لهم طريقين تارة يذكرون النيف للتحرير وتارة يحذفونه وهذا معروف في كلامهم وخطاب غيرهم من الأمم. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هشام حدثنا صفوان بن صالح حدثنا رواد بن الجراح العسقلاني حدثنا الاوزاعي عن

هارون بن رباب عن أنس بن مالك قال قال رسول اللّه ﷺ يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان محمد جرد مرد مكحلين» وقال ابن وهب حدثنا معاوية بن صالح عن عبد الوهاب بن بخت عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن أهل الجنة يدخلون الجنة على قدر آدم ستون ذراعاً وعلى ذلك قطعت سررهم» وقد تقدم أن أول زمرة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر وأن الذين يلونهم على ضوء أشد كوكب في السماء إضاءة. وأما الأخلاق فقد قال تعالى: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾ فاخبر عن تلاقي قلوبهم وتلاقي وجوههم، وفي الصحيحين «أخلاقهم على خلق رجل واحد على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء» والرواية على خلق بفتح الخاء وسكون اللام والأخلاق كما تكون جمعاً للخلق بالضم فهي جمع للخلق بالفتح والمراد تساويهم في الطول والعرض والسن وإن تفاوتوا في الحسن والجمال ولهذا فسره بقوله على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذارعاً في السماء. وأما أخلاقهم وقلوبهم ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة: «أول زمرة تلج الجنة» الحديث وقد تقدم وفيه لا اختلاف بينهم ولا تباغض قلوبهم على قلب رجل واحد يسبحون الله بكرة وعشية وكذلك وصف اللّه سبحانه وتعالى نساءهم بأنهن أتراب أي في سن واحدة ليس فيهن العجائز والشواب وفي هذا الطول والعرض والسن من الحكمة ما لا يخفى فإنه أبلغ وأكمل في استيفاء اللذات لأنه أكمل سن القوة مع عظم آلات اللذة وباجتماع الأمرين يكون كمال اللذة وقوتها بحيث يصل في اليوم الواحد إلى مائة عذراء كما سيأتي إن شاء الله تعالى ولا يخفى التناسب الذي بين هذا الطول والعرض فإنه لو زاد أحدهما على الآخر فات الاعتدال وتناسب الخلقة يصير طولاً مع دقة أو غلظاً مع قصر وكلاهما غير مناسب واللّه أعلم.

الباب الأربعون
في ذكر أعلى أهل الجنة منزلة
وأدناهم أعلاهم منزلة سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه

قال تعالى: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم اللّه ورفع

بعضهم درجات وآتينا عيسى بن مريم البينات﴾ قال مجاهد وغيره منهم من كلم الله موسى ورفع بعضهم درجات هو محمد ﷺ وفي حديث الإسراء المتفق على صحته أنه ﷺ لما جاوز موسى قال رب لم أظن أن ترفع على أحداً ثم علا فوق ذلك بما لا يعلمه إلا اللّه حتى جاوز سدرة المنتهى. وفي صحيح مسلم من حديث عمرو بن العاص أنه سمع النبي ﷺ يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فإنه من صلى علي صلاة واحدة صلى اللّه عليه عشراً ثم سلوا لي الوسيلة فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد اللّه وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة» وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ: «إن موسى سأل ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال رجل يجيء بعدما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى آن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقول لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت رب، قال رب فأعلاهم منزلة؟ قال أولئك الذين أردت غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر» وقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد أنبأنا شبابة عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال رسول اللّه ﷺ : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى جناته وأزواجه ونعيمه وخدمه وسرره مسيرة ألف عام وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ قال وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر غير مرفوع قال ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر موقوفاً ورواه عبد اللّه الأشجعي عن سفيان عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه، ولم يرفعه «قلت» ورواه الطبراني في معجمه من حديث أبي معاوية عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر، مرفوعاً «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه ألفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه» الحديث. ورواه أبو نعيم عن إسرائيل عن ثوير قال سمعت ابن عمر يقول قال إسرائيل لا أعلم ثويراً إلا رفعه إلى النبي ﷺ وقال الإمام أحمد حدثنا حسن هو ابن موسى حدثنا سكين بن عبد العزيز حدثنا أبو الأشعث الضرير عن شهر بن حوشب عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة سبع درج وهو على السادسة وفرقه السابعة وإن له ثلثمائة خادم ويغدي

عليه ويراح كل يوم بثلثمائة صحفة ولا أعلمه قال إلا من ذهب في كل صحفة لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وعن الأشربة بثلثمائة إناء في كل إناء لون ليس في الآخر وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره وأنه ليقول يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص مما عندي شيء. وإن له من الحور العين لاثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا وإن الواحد منهن لتأخذ مقعدها قدر ميل من الأرض» قلت سكين بن عبد العزيز ضعفه النسائي وشهر بن حوشب ضعفه مشهور والحديث منكر يخالف الأحاديث الصحيحة فإن طول ستين ذراعاً لا يحتمل أن يكون مقعد صاحبه بقدر ميل من الأرض والذي في الصحيحين في أول زمرة تلج الجنة لكل امرىء منهم زوجتان من الحور العين فكيف يكون لادناهم اثنتان وسبعون من الحور العين وأقل ساكني الجنة نساء الدنيا فكيف يكون لأدنى أهل الجنة جماعة منهن وأيضاً فإن الجنتين الذهبيتين أعلى من الفضيتين فكيف يكون أدناهم في الذهبيتين قال الدولابي شهر بن حوشب لا يشبه حديثه حديث الناس وقال ابن عون بن حوشب شهراً تركوه وقال النسائي وابن عدي ليس بالقوي وقال أبو حاتم لا يحتج به وتركه شعبة ويحيي بن سعيد وهذان. من أعلم الناس بالحديث ورواته وعلله وإن كان غير هؤلاء قد وثقه وحسن حديثه فلا ريب أنه إذا انفرد بما يخالف ما رواه الثقات لم يقبل والله أعلم.

الباب الحادي والأربعون
في تحفة أهل الجنة إذا دخلوها

روى مسلم في صحيحه من حديث ثوبان قال: «كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال السلام عليك يا محمد فدفعته دفعة كاد يصرع منها. فقال لم تدفعني؟ فقلت ألا تقول يا رسول الله. فقال اليهودي إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله، فقال رسول الله ﷺ أن اسمي محمداً الذي سماني به أهلي. فقال اليهودي جئت أسألك، فقال له رسول الله ﷺ أينفعك بشيء إن حدثتك! فقال اسمع بأذني فنكث رسول الله ﷺ بعود معه فقال سل؟ فقال اليهودي أين تكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض؟ فقال رسول الله ﷺ في الظلمة دون الجسر، قال فمن أول الناس إجازة يوم القيامة، قال فقراء المهاجرين، قال اليهودي فما تحفتهم حين

يدخلون الجنة؟ قال زيادة كبد النون قال فما غذاؤهم على أثرها؟ قال ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها، قال فما شرابهم؟ قال من عين فيها تسمى سلسبيلاً، قال صدقت، قال وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان، قال أينفعك إن حدثتك؟ قال أسمعك بأذني، قال جئت أسألك عن الولد؟ قال ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا منى الرجل منى المرأة أذكرا بإذن اللّه تعالى، وإن علا منى المرأة منى الرجل آنثا بإذن اللّه تعالى، قال اليهودي لقد صدقت وإنك لنبي، ثم انصرف فقال رسول الله ﷺ لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علم بشيء منه حتى أتاني الله عز وجل به»

وفي صحيح البخاري عن أنس قال: «سمع عبد اللّه بن سلام مقدم رسول اللّه ﷺ المدينة وهو في أرض يخترف[1] فأتى النبي ﷺ فقال إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال جبريل؟ قال نعم، قال ذاك عدو اليهود من الملائكة فقرأ هذه الآية ﴿قل من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن اللّه﴾ أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل نزعت، قال أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أنك رسول اللّه، يا رسول اللّه إن اليهود قوم بهت وأنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود فقال أي رجل عبد اللّه فيكم؟ قالوا خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا، قال أفرأيتم إن أسلم عبد اللّه؟ فقالوا أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد اللّه فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله. فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه، فقال هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله» وفي الصحيحين من حديث عطاء بن يسار عن أبي سعيد الخدري قال قال النبي ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفؤها الجبار بيده كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر لأهل الجنة فأتى رجل من اليهود فقال بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم ألا أخبرك بنزل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال بلى، قال تكون الأرض خبزة واحدة كما قال النبي ﷺ: فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه ثم قال ألا أخبرك بأدامهم؟ قال بلى، قال ادامهم بالأدم والنون، قال وما

---

(١) يخترف يجتني الثمر من المخرف وهو حائط النخل.

هذا؟ قال ثور ونون يأكل من زيادة كبدهما سبعون ألفاً» وقال عبد اللّه بن المبارك حدثنا ابن لهيعة حدثني يزيد بن أبي حبيب أن أبا الخير أخبره ان أبا العوام أخبره أنه سمع كعباً يقول: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة ادخلوها أن لكل ضيف جزوراً وإني أجزركم اليوم فيأتي بثور وحوت فيجزر لأهل الجنة».

الباب الثاني والأربعون
في ذكر ريح الجنة ومن مسيرة كم ينشق

قال الطبراني حدثنا موسى بن حازم الأصبهاني حدثنا محمد بن بكير الحضرمي حدثنا مروان بن معاوية الفزاري عن الحسن بن عمرو عن مجاهد عن جنادة بن أبي أمية عن عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ قال: «من قتل قتيلاً من أهل الذمة لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة مائة عام» ورواه البخاري في الصحيح عن قيس بن حفص عن عبد الواحد بن زياد عن الحسن بن عمرو الفقيمي عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو ولم يذكر بينهما جنادة. وقال «ليوجد من مسيرة أربعين عاماً» وقال الترمذي حدثنا محمد بن بشار حدثنا معدي بن سليمان هو البصري عن ابن عجلان عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إلا من قتل نفساً معاهداً له ذمة الله وذمة رسوله فقد أخفر بذمة الله فلا يراح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة سبعين خريفاً» قال وفي الباب عن أبي بكرة وحديث أبي هريرة حديث حسن صحيح قال محمد بن عبد الواحد وإسناده عندي على شرط الصحيح «قلت» وقد رواه الطبراني من حديث عيسى بن يونس عن عوف الاعرابي عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة يرفعه: «من قتل نفساً معاهدة بغير حقها لم يرح رائحة الجنة وأن ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام» وقال الطبراني حدثنا إسحاق بن إبراهيم عن عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن أو غيره عن أبي بكرة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ريح الجنة يوجد من مسيرة مائة عام» وهذه الألفاظ لا تعارض بينها بوجه وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أنس قال: «لم يشهد عمي مع رسول الله ﷺ بدراً قال فشق عليه قال أول مشهد شهده رسول الله ﷺ غبت عنه فإن أراني الله مشهداً فيما بعد مع رسول الله ﷺ ليرين الله ما أصنع قال فهاب أن يقول

غيرها، قال فشهد مع رسول الله ﷺ يوم أحد قال فاستقبل سعد بن معاذ فقال له اين؟ فقال واهاً لريح الجنة أجده دون أحد قال فقاتلهم حتى قتل قال فوجد في جسده بضع وثمانون من بين ضربة وطعنة ورمية. فقالت أخته عمة الربيع بنت النضر فما عرفت أخي إلا ببنانه، ونزلت هذه الآية ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه﴾ قال فكانوا يرون أنها نزلت فيه وفي أصحابه» وريح الجنة نوعان ريح يوجد في الدنيا تشمه الأرواح أحياناً لا تدركه العباد وريح يدرك بحاسة الشم للأبدان كما تشم روائح الأزهار وغيرها وهذا يشترك أهل الجنة في إدراكه في الآخرة، من قرب وبعد وأما في الدنيا فقد يدركه من شاء الله من أنبيائه ورسله، وهذا الذي وجده أنس بن النضر يجوز أن يكون من هذا القسم وأن يكون من الأول والله أعلم. وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن معمر حدثنا محمد بن أحمد المؤذن حدثنا عبد الواحد بن غياث أنبأنا الربيع بن بدر حدثنا هرون بن رياب عن مجاهد عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «إن رائحة الجنة توجد من مسيرة خمسمائة عام» وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبد اللّه الحضرمي حدثنا محمد بن أحمد بن محمد بن طريف حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر محمد بن علي عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام والله لا يجدها عاق ولا قاطع رحم وقال أبو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن الحكم عن مجاهد عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال: «من ادعى إلى غير أبيه لم يرح رائحة الجنة وأن ريحها ليوجد من مسيرة خمسمائة عام وقد أشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار آثاراً من آثار الجنة وأنموذجاً منها من الرائحة الطيبة واللذات المشتهاة والمناظر البهية والفاكهة الحسنة والنعيم والسرور وقرة العين، وقد روى أبو نعيم من حديث الأعمش عن أبي سفيان عن جابر قال قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عز وجل الجنة طيبي لأهلك تزداد طيباً فذلك البرد الذي يجده الناس بالسحر من ذلك كما جعل سبحانه نار الدنيا وآلامها وغمومها وأحزانها تذكرة بنار الآخرة قال تعالى في هذه النار نحن جعلناها تذكرة» وأخبر النبي ﷺ أن شدة الحر والبرد من أنفاس جهنم فلا بد أن يشهد عباده أنفاس جنته وما يذكرهم بها والله المستعان.

الباب الثالث والأربعون
في الأذان الذي يؤذن به مؤذن الجنة فيها

روى مسلم في صحيحه من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة عن النبي ﷺ : «قال ينادي مناد أن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبداً وأن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبداً وأن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبداً وأن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبداً وذلك قول الله عز وجل **﴿ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون﴾** قال عثمان بن أبي شيبة حدثنا يحيى بن آدم حدثنا حمزة الزيات عن أبي إسحاق عن الأغر عن أبي هريرة وأبي سعيد عن النبي ﷺ «ونودوا أن تلكم الجنة أو ورثتموها بما كنتم تعملون» قال نودوا أن صحوا فلا تسقموا أبداً واخلدوا فلا تموتوا أبداً وأنعموا فلا تبأسوا أبداً» وفي صحيح مسلم من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب أن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة أن لكم عند الله موعداً فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة وينجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فينظرون إلى الله فوالله ما أعطاهم الله شيئاً هو أحب إليهم من النظر إليه» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا أبو بكر الألهاني أخبرني أبو تميم الهجيمي قال سمعت أبا موسى الأشعري يخطب على منبر البصرة يقول: «إن الله عز وجل يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم الله ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا ما وعدنا قالوا ذلك ثلاث مرات فينظرون فلا يفتقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي شيء، إن الله يقول **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** قال ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله» وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «إن الله عز وجل يقول لأهل الجنة يا أهل الجنة فيقولون لبيك ربنا وسعديك، فيقول هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك، فيقول أنا أعطيكم أفضل من ذلك، قالوا ربنا وأي شيء أفضل من ذلك، قال أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً» ومن تراجم البخاري عليه باب كلام الرب مع أهل الجنة وسيأتي في هذا أحاديث نذكرها في باب معقود لذلك إن شاء الله. وفي الصحيحين من حديث نافع عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ثم

يقوم مؤذن بينهم فيقول يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت، كل خالد فيما هو فيه» وهذا الاذان وإن كان بين الجنة والنار فهو يبلغ جميع أهل الجنة والنار ولهم فيها نداء آخر يوم زيارتهم ربهم تبارك وتعالى يرسل إليهم ملكاً فيؤذن فيهم بذلك فيتسارعون إلى الزيارة كما يؤذن مؤذن الجمعة إليها وذلك في مقدار يوم الجمعة كما سيأتي مبيناً في باب زيارتهم الرب عز وجل والله أعلم.

الباب الرابع والأربعون
في أشجار الجنة وبساتينها وظلالها

قال تعالى ﴿وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة﴾ وقال تعالى ﴿ذواتا أفنان﴾ وهو جمع فنن وهو الغصن وقال ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ والمخضود الذي قد خضد شوكه أي نزع وقطع فلا شوك فيه هذا قول ابن عباس ومجاهد ومقاتل وقتادة وأبي الأحوص وقسامة بن زهير وجماعة واحتج هؤلاء بحجتين (إحداهما) أن الخضد في اللغة القطع وكل رطب قضبته فقد خضدته، وخضدت الشجر إذا قطعت شوكه فهو خضيد ومخضود، ومنه الخضد على مثال الثمر وهو كل ما قطع من عود رطب خضد بمعنى مخضود كقبض وسلب، والخضاد شجر رخو لا شوك فيه (الحجة الثانية) قال ابن أبي داود حدثنا محمد بن مصفى حدثنا محمد بن المبارك حدثنا يحيى بن حمزة حدثنا ثور بن زيد حدثني حبيب بن عبيد عن عتبة بن عبد السلمي قال: «كنت جالساً مع رسول اللّه ﷺ فجاء أعرابي فقال يا رسول اللّه أسمعك تذكر في الجنة شجرة لا أعلم شجرة أكثر شوكاً منها يعني الطلح، قال رسول اللّه ﷺ إن اللّه جعل مكان كل شوكة منها ثمرة مثل خصوة التيس الملبود فيها سبعون لوناً من الطعام لا يشبه لون آخر» (الملبود) الذي قد اجتمع شعره بعضه على بعض وقال عبد اللّه بن المبارك أنبأنا صفوان بن عمرو عن سليم بن عامر قال: «كان أصحاب رسول اللّه ﷺ يقولون أن اللّه لينفعنا بالأعراب ومسائلهم، أقبل أعرابي يوماً فقال يا رسول اللّه ذكر اللّه في الجنة شجرة مؤذية وما كنت أرى في الجنة شجرة تؤذي صاحبها، قال رسول اللّه ﷺ وما هي؟ قال السدر فإن له شوكاً مؤذياً، قال أليس اللّه

يقول في سدر مخضود؟!! خضد اللّه شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة» وقالت طائفة المخضود هو الموقر حملاً وأنكر عليهم هذا القول وقالوا لا يعرف في اللغة الخضد بمعنى الحمل ولم يصب هؤلاء الذين أنكروا هذا القول بل هو قول صحيح وأربابه ذهبوا إلى أن اللّه سبحانه وتعالى لما خضد شوكه وأذهبه وجعل مكان كل شوكة ثمرة أو قرت بالحمل والحديثان المذكوران يجمعان القولين وكذلك قول من قال المخضود الذي لا يعقر اليد ولا يرد اليد عنه شوك ولا أذى فيه فسره بلازم المعنى وهكذا غالب المفسرين يذكرون لازم المعنى المقصود تارة وفرداً من أفراده تارة، ومثالاً من أمثلته فيحكيها الجماعون للغث والسمين أقوالاً مختلفة ولا اختلاف بينها.

(فصل)

وأما الطلح فأكثر المفسرين قالوا إنه شجرة الموز قال مجاهد أعجبهم طلح وج وحسنه فقيل لهم «وطلح منضود» وهذا قول علي بن أبي طالب وابن عباس وأبي هريرة وأبي سعيد الخدري. وقالت طائفة أخرى بل هو شجر عظام طوال وهو شجر البوادي الكثير الشوك عند العرب قال حاديهم:

بشرها دليلها وقالا غدا ترين الطلح والجبالا

ولهذا الشجر نور ورائحة وظل ظليل وقد نضد بالحمل والثمر مكان الشوك وقال ابن قتيبة هو الذي نضد بالحمل أو بالورق والحمل من أوله إلى آخره فليس له ساق بارز وقال مسروق ورق الجنة نضيد من أسفلها إلى أعلاها وأنهارها تجري من غير أخدود وقال الليث الطلح شجر أم غيلان ليس له شوك أحجن من أعظم العضاه شوكاً وأصلبه عوداً وأجوده صمغاً. قال أبو إسحاق يجوز أنّ يعني به شجر أم غيلان لأن له نوراً طيب الرائحة حداً فوعدوا بما يحبون مثله إلا أن فضله على ما في الدنيا كفضل سائر ما في الجنة على سائر ما في الدنيا فإنه ليس في الجنة مما في الدنيا إلا الاسامي. والظاهر أن من فسر الطلح المنضود بالموز إنما أراد التمثيل به لحسن نضده وإلا فالطلح في اللغة هو الشجر العظام من شجر البوادي واللّه أعلم وفي الصحيحين ن حديث أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن في لجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها فاقرؤا إن شئتم وظل ممدود»

وفي الصحيحين أيضاً من حديث أبي حازم عن سهل بن سعد عن رسول اللّه ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها» قال أبو حازم فحدثنا به النعمان بن أبي عياش الزرقي فقال حدثني أبو سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب الجواد المضمر السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها» وقال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا شعبة عن أبي الضحاك سمعت أبا هريرة يقول قال رسول اللّه ﷺ: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين أو مائة سنة، هي شجرة جنة الخلد» وقال وكيع حدثنا إسماعيل بن أبي خالد عن زياد مولى بني مخزوم عن الزهري عن أبي هريرة رضب اللّه عنه: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام اقرؤا إن شئتم وظل ممدود، فبلغ ذلك كعباً فقال صدق، والذي أنزل التوراة على لسان موسى والفرقان على لسان محمد ﷺ لو أن رجلاً ركب جذعة أو جذعاً ثم دار باصل تلك الشجرة مائة عام ما بلغها حتى يسقط هرماً إن الله غرسها بيده ونفخ فيها وإن أصلها من وراء سور الجنة، ما في الجنة نهر إلا وهو يخرج من أصل تلك الشجرة» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا إبراهيم عن سعيد الجوهري حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا ربيعة بن صالح عن سلمة بن|وهران عن عكرمة عن ابن عباس قال: «الظل الممدود شجرة في الجنة على ساق قدر.ما يسير الراكب المجد في ظلها مائة عام في كل نواحيها فيخرج إليها أهل الجنة أهل الغرف وغيرهم يتحدثون في ظلها قال فيشتهي بعضهم ويذكر لهو الدنيا فيرسل اللّه ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا» وفي جامع الترمذي من حديث أبي حامد عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «ما في الجنة شجرة إلا وساقها من ذهب» قال هذا حديث حسن. وعن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «يقول الله أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اقرؤا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ وفي الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها اقرؤا إن شئتم ﴿وظل ممدود﴾ وموضع سوط من الجنة خير من الدنيا وما فيها اقرؤا إن سئتم ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾ رواه بهذا اللفظ والسياق الترمذي والنسائي وابن ماجه وصدره في الصحيحين. وفي صحيح البخاري من حديث أنس بن مالك قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا

يقطعها وإن شئتم فاقرؤا وظل ممدود وماء مسكوب» وقال ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال: «قال رجل يا رسول اللّٰه ما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرة مائة سنة، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» وقد رواه عنه حرملة بزيادة وقال أخبرني ابن وهب أخبرني عمرو أن دراجاً حدثه أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد الخدري «أن رجلاً قال يا رسول اللّٰه طوبي لمن رآك وآمن بك، فقال طوبى لمن رآني وآمن بي ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني. فقال رجل يا رسول اللّٰه وما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» (قلت) وأول هذا الحديث في المسند ولفظه «طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى لمن آمن بي ولم يرني سبع مرات» وقال ابن المبارك حدثنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «نخل الجنة جذوعها من زمرد أخضر وكربها ذهب أحمر وسعفها كسوة لأهل الجنة منها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال والدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزبد ليس فيها عجم» وقال الإمام أحمد بن حدثنا على بحر حدثنا هشام بن يوسف حدثنا معمر عن يحيى بن أبي كثير عن عامر بن زيد البكالي أنه سمع عتبة بن عبد السلمي يقول: «جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فسأله عن الحوض وذكر الجنة ثم قال الأعرابي فيها فاكهة؟ قال نعم، وفيها شجرة تدعى طوبى، فذكر شيئاً لا أدري ما هو؟ فقال أي شجر أرضنا تشبهه؟ قال ليست تشبه شيئاً من شجر أرضك، فقال النبي ﷺ أتيت الشام؟ قال لا قال تشبه شجرة بالشام تدعى الجوزة تنبت على ساق واحد وينفرش أعلاها. قال ما عظم أصلها؟ قال لو ارتحلت جذعة من إبل أهلك ما أحاطت بأصلها حتى تنكسر تر قوتها هرماً، قال فيها عنب؟ قال نعم قال فما عظم العنقود؟ قال مسيرة شهر للغراب لا يقع ولا يفتر قال فما عظم الحبة؟ قال هل ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً، قال نعم: قال فسلخ اهابه فاعطاه أمك وقال لها اتخذي لنا منه دلواً؟ قال نعم، قال الأعرابي فإن تلك الحبة لتشبعني أنا وأهل بيتي، قال نعم وعامة عشيرتك» قال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا عبد الرحمن بن صالح حدثنا يونس بن بكير عن محمد وابن إسحاق عن يحيى بن عباد عن عبد اللّٰه بن الزبير عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر قالت: «سمعت رسول اللّٰه ﷺ، وذكر سدرة المنتهى فقال يسير في ظل الفنن منها الراكب مائة سنة. أو قال يستظل في الفنن منها

مائة راكب فيها فراش الذهب كأن ثمرها القلال» ورواه الترمذي وقال شك يحيى وهو حديث حسن غريب. وقال عبد اللّه بن المبارك أنبأنا ابن عيينة عن ابن أبي نجيح عن مجاهد قال، «أرض الجنة من ورق وترابها مسك وأصول أشجارها ذهب وورق وأفنانها لؤلؤ وزبرج. وياقوت والورق والثمر تحت ذلك، فمن أكل قائماً لم يؤذه ومن أكل جالساً لم يؤذه ومن أكل مضطجعاً لم يؤذه وذللت قطوفها تذليلاً» وقال أبو معاوية حدثنا الأعمش عن أبي ظبيان عن جرير بن عبد اللّه قال: «نزلنا الصفاح فإذا رجل نائم تحت شجرة قد كادت الشمس أن تبلغه قال فقلت للغلام انطلق بهذا النطع فأظله قال فانطلق فأظله فلما استيقظ إذا هو سلمان فأتيته أسلم عليه فقال يا جرير تواضع للّه فإن من تواضع للّه رفعه اللّه يوم القيامة يا جرير هل تدري ما الظلمات يوم القيامة؟ قلت لا أدري، قال ظلم الناس بينهم ثم أخذ عويداً لا أكاد أراه بين أصبعيه فقال يا جرير إذا طلبت مثل هذا في الجنة لم تجده قلت يا عبد اللّه فأين النخل والشجر قال أصولها اللؤلؤ والذهب وأعلاها الثمر».

الباب الخامس والأربعون
في ثمارها وتعداد أنواعها وصفاتها وريحانها

قال تعالى: ﴿**وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة**﴾ وقولهم هذا الذي رزقنا من قبل أي شبيهه ونظيره لا عينه، وهل المراد هذا الذي رزقنا في الدنيا نظيره من الفواكه والثمار أو هذا نظير الذي رزقناه قبل في الجنة؟ قيل فيه قولان ففي تفسير السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي ﷺ قالوا هذا الذي رزقنا من قبل أنهم أتوا بالثمرة في الجنة فلما نظروا إليها قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا قال مجاهد ما أشبهه به، وقال ابن زيد هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا، وأتوابه متشابهاً يعرفونه، وقال آخرون هذا الذي رزقنا من قبل من ثمار الجنة، من قبل هذا لشدة مشابهة بعضه بعضاً في اللون والطعم. واحتج أصحاب هذا القول بحجج (إحداها) أن المشابهة التي بين الثمار الجنة بعضها لبعض أعظم

من المشابهة التي بينها وبين ثمار الدنيا ولشدة المشابهة قالوا هذا هو (الحجة الثانية) ما حكاه ابن جرير عنهم قال ومن علة قائلي هذا القول أن ثمار الجنة كلما نزع منها شيء عاد مكانه آخر مثله كما كان حدثنا ابن بشار حدثنا بن مهدي حدثنا سفيان سمعت ابن مرة يحدث عن أبي عبيدة وذكر ثمر الجنة وقال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى (الحجة الثالثة) قوله وأتوا به متشابهاً وهذا كالتعليل والسبب الموجب لقولهم هذا الذي رزقنا من قبل (الحجة الرابعة) إن من المعلوم أنه ليس كل ما في الجنة من الثمار قد رزقوه في الدنيا وكثير من أهلها لا يعرفون ثمار الدنيا ولا رأوها ورجحت طائفة منهم ابن جرير وغيره القول الآخر واحتجت بوجوه قال ابن جرير والذي يحقق صحة قول القائلين أن معنى ذلك هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا إن الله جل ثناؤه قال ﴿كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً﴾ يقولون هذا الذي رزقنا من قبل ولم يخصص أن ذلك من قيلهم في بعض دون بعض فإذا كان قد أخبر جل ذكره عنهم أن ذلك من قيلهم كلما رزقوا ثمرة فلا شك أن ذلك من قبلهم في أول رزق رزقوه من ثمارها أتوا به بعد دخولهم الجنة واستقرارهم فيها الذي لم يتقدمه عندهم من ثمارها فإذا كان لا شك أن ذلك من قيلهم في أوله كما هو من قيلهم في وسطه وما يتلوه فمعلوم أنه محال أن يقولوا لأول رزق رزقوه من ثمار الجنة هذا الذي رزقنا من قبل هذا من ثمار الجنة وكيف يجوز أن يقولوا لأول رزق من ثمارها ولما يتقدمه عندهم غيرها هذا هو الذي رزقنا من قبل إلا أن يلسبهم ذو غية وضلال إلى قيل الكذب الذي قد طهرهم الله منه أو يدفع دافع أن يكون ذلك من قيلهم الأول رزق يرزقونه من ثمارها فيدفع صحة ما أوجب الله صحته من غير نصب دلالة على أن ذلك في حال من أحوالهم دون حال فقد تبين أن معنى الآية كلما رزقوا من ثمرة من ثمار الجنة في الجنة قالوا هذا الذي رزقنا من قبل في الدنيا. قلت أصحاب القول الأول يخصون هذا العام بما عدا الرزق الأول لدلالة العقل والسياق عليه وليس هذا ببدع من طريقة القرآن وأنت مضطر إلى تخصيصه ولا بد بأنواع من التخصيصات (أحدها) أن كثيراً من ثمار الجنة وهي التي لا نظير لها في الدنيا لا يقال فيها ذلك (الثاني) أن كثيراً من أهلها لم يرزقوا جميع ثمرات الدنيا التي لها نظير في الجنة (الثالث) إنه من المعلوم أنهم لا يستمرون على هذا القول أبد الآباد كلما أكلوا ثمرة واحدة قالوا هذا الذي رزقنا في الدنيا ويستمرون على هذا الكلام دائماً إلى غير نهاية والقرآن العظيم لم

يقصد إلى هذا المعنى ولا هو مما يعتني بهم من نعيمهم ولذتهم وإنما هو كلام مبين خارج على المعتاد المفهوم من الطيب ومعناه أنه يشبه بعضه بعضاً ليس أوله خيراً من آخره ولا هو مما يعرض له ما يعرض لثمار الدنيا عند تقادم الشجر وكبرها من نقصان حملها وصغر ثمرها وغير ذلك بل أوله مثل آخره، وآخره مثل أوله وهو خيار كله يشبه بعضه بعضاً فهذا وجه قولهم ولا يلزم مخالفة ما نصه اللّه سبحانه وتعالى ولا نسبة أهل الجنة إلى الكذب بوجه، والذي يلزمهم من التخصيص يلزمك نظيره وأكثر منه واللّه أعلم، وأما قوله عز وجل: ﴿**وأتوا به متشابهاً**﴾ قال الحسن خيار كله لا رذل ألم تروا إلى ثمر الدنيا كيف تسترذلون بعضه وأن ذلك ليس فيه رذل وقال قتادة: خيار لا رذل فيه فأن ثمار الدنيا ينقى منها ويرذل منها وكذلك قال ابن جريج وجماعة، وعلى هذا فالمراد بالتشابه التوافق والتماثل. وقالت طائفة أخرى منهم ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب رسول اللّه ﷺ متشابهاً في اللون والمرأى وليس يشبه الطعم قال مجاهد متشابهاً لونه مختلفاً طعمه وكذا قال الربيع بن أنس وقال يحيى بن أبي كثير «عشب الجنة الزعفران وكثبانها المسك ويطوف عليهم الولدان بالفاكهة فيأكلونها ثم يأتونهم بمثلها فيقولون هذا الذي جئتمونا به آنفاً، فيقول لهم الخدم كلوا فإن اللون واحد والطعم مختلف، فهو قوله عز وجل كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً» وقالت طائفة وناس معنى الآية أن يشبه ثمر الدنيا غير أن ثمر الجنة أفضل وأطيب قال ابن وهب قال عبد الرحمن ابن زيد يعرفون أسماءه كما كانوا في الدنيا التفاح بالتفاح والرمان بالرمان قالوا في الجنة هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً يعرفونه وليس هو مثله في الطعم واختار ابن جرير هذا القول قال ودليلنا على فساد قول من قال أن معنى الآية هذا الذي رزقنا من قبل أي في الجنة وتلك الدلالة على فساد ذلك القول هي الدلالة على فساد قول من خالف قولنا في تأويل قوله وأتوا به متشابهاً أن اللّه سبحانه وتعالى أخبر عن المعنى الذي من أجله قال القوم هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً «قلت» وهذا لا يدل على فساد قولهم لما تقدم وقال: ﴿**جنات عدن مفتحة لهم الأبواب متكئين فيها يدعون فيها بفاكهة كثيرة وشراب**﴾ وقال تعالى ﴿**يدعون فيها بكل فاكهة آمنين**﴾ وهذا يدل على أمنهم من انقطاعها ومضرتها وقال تعالى ﴿**وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون لكم فيها فاكهة كثيرة**﴾ وقال تعالى ﴿**وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة**﴾ أي لا تكون في

وقت دون وقت ولا تمنع ممن أرادها: «وقال فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية» والقطوف جمع قطف وهو ما يقطف، والقطف بالفتح الفعل أي ثمارها دانية قريبة ممن يتناولها فيأخذها كيف يشاء البراء بن عازب يتناول الثمرة وهو نائم وقال تعالى ﴿ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلاً﴾ قال ابن عباس إذا هم أن يتناول من ثمارها تدلت له حتى يتناول ما يريد وقال غيره قريب إليهم مذللة كيف شاؤا. فهم يتناولونها قياماً وقعوداً ومضطجعين فيكون كقوله قطوفها دانية ومعنى تذليل القطف تسهيل تناوله، وأهل المدينة يقولون ذلل النخل أي سو عروقها وأخرجها من السعف حتى يسهل تناولها، وفي نصب دانية وجهان (أحدهما) أنه على الحال عطفاً على قوله متكئين و (الثاني) إنه صفة الجنة وقال تعالى: ﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾ وفي الجنتين الأخريين ﴿فيهما فاكهة ونخل ورمان﴾ وخص النخل والرمان من بين الفاكهة بالذكر لفضلهما وشرفهما كما نص على حدائق النخل والأعناب في سورة النباء إذ هما من أفضل أنواع الفاكهة وأطيبها وأحلاها وقد قال تعالى: ﴿ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم﴾ وقال الطبراني حدثنا معاذ بن المثني حدثنا علي بن المديني حدثنا ريحان بن سعيد عن عبادة بن منصور عن أيوب عن أبي قلابة عن إسماعيل عن ثوبان قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن الرجل إذا نزع ثمرة من الجنة عادت مكانها أخرى» وقال عبد اللّه بن الإمام أحمد حدثني عقبة بن مكرم العمي حدثنا ربعي بن إبراهيم بن علية حدثنا عوف عن قسامة بن زهير عن أبي موسى قال قال رسول اللّه ﷺ: «اهبط اللّه آدم من الجنة عليه السلام وعلمه صنعة كل شيء وزوده من ثمار الجنة فثماركم هذه من ثمار الجنة غير أنها تغير وتلك لا تغير» وقد تقدم أن سدرة المنتهى نبقها مثل القلال. وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر عن النبي ﷺ قال: «عرضت على الجنة حتى لو تناولت منها قطفاً أخذته» وفي لفظ «فتناولت منها قطفاً فقصرت عنه يدي» وقال أبو خيثمة حدثنا عبد اللّه بن جعفر حدثنا عبيد اللّه حدثنا ابن عقيل عن جابر قال: «بينما نحن في صلاة الظهر إذ تقدم رسول اللّه ﷺ فتقدمنا ثم تناول شيئاً ليأخذه ثم تأخر فلما قضى الصلاة قال له أبي بن كعب يا رسول اللّه صنعت اليوم في صلاتك شيئاً ما كنت تصنعه؟ قال إنه عرضت علي الجنة وما فيها من الزهرة والنضرة فتناولت منها قطفاً من عنب لآتيكم به فحيل بيني وبينه ولو أتيتكم به لأكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه» وقال ابن

المبارك أنبأنا سفيان عن حماد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «ثمر الجنة أمثال القلال والدلاء. أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل؛ وألين من الزبد ليس فيه عجم» وقال سعيد بن منصور حدثنا شريك عن أبي إسحاق عن البراء بن عازب قال: «إن أهل الجنة يأكلون من ثمار الجنة قياماً وقعوداً ومضطجعين على أي حال شاؤا» وقال البزار في مسنده حدثنا أحمد بن الفرج الحمصي حدثنا عثمان بن سعيد بن كثير بن دينار الحمصي حدثنا محمد بن المهاجر عن الضحاك المعافري عن سليمان بن موسى قال حدثني كريب أنه سمع أسامة بن زيد يقول قال رسول اللّه ﷺ: «ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا حظر لها، هي ورب الكعبة نور يتلألأ، وريحانة تهتز، وقصر مشيد، ونهر مطرد، وثمرة نضيجة وزوجه حسناء جميلة، وحلل كثيرة في مقام أبداً في دار سليمة، وفاكهة وخضرة وخبرة ونعمة في محلة عالية بهية، قالوا نعم يا رسول اللّه نحن المشمرون لها، قال قولوا إن شاء اللّه قال القوم إن شاء اللّه» قال البزار وهذا الحديث لا نعلم من رواه عن النبي ﷺ إلا أسامة ولا نعلم له طريقاً عن أسامة إلا هذا الطريق، ولا نعلم رواه عن الضحاك المعافري إلا هذا الرجل محمد بن مهاجر وفي حديث لقيط بن صبرة الذي رواه عبد اللّه بن أحمد في مسند أبيه وغيره «قلت يا رسول اللّه على ما يطلع أهل الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفى، وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه، وماء غير اسن وبفاكهة لعمر إلهك مما يعلمون وخير من مثله معه، وأما الريحان فهو كل نبت طيب الرائحة» قال الحسن وأبو العالية هو ريحاننا هذا يؤتى بغصن من ريحان الجنة فنشمه .

الباب السادس والأربعون
في زرع الجنة

قال تعالى: ﴿وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين﴾ وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يحدث يوماً وعنده رجل من أهل البادية: «أن رجلاً من أهل الجنة استأذن ربه عز وجل في الزرع فقال له أو لست فيما اشتهيت؟ فقال بلى ولكني أحب أن أزرع فأسرع. وبذر فبادر الطرف نباته واستواؤه واستحصاده وتكويره أمثال الجبال فيقول اللّه عز وجل ﴿دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء، فقال الأعرابي يا رسول

اللّٰه لا نجد هذا إلا قرشياً أو أنصارياً فإنهم أصحاب زرع فاما نحن فلسنا بأصحاب زرع فضحك رسول اللّٰه ﷺ» رواه البخاري في كتاب التوحيد في باب كلام الرب تعالى مع أهل الجنة وخرجه في غيره أيضاً وهذا يدل على أن في الجنة زرعاً وذلك البذر منه وهذا أحسن أن تكون الأرض معمورة بالشجر والزرع فإن قيل فكيف استأذن هذا الرجل ربه في الزرع فأخبره أنه في غنية عنه قيل لعله استأذنه في زرع يباشره ويزرعه بيده وقد كان في غنية عنه وقد كفى مؤونته ولا أعلم ذكر الزرع في الجنة إلا في هذا الحديث واللّٰه أعلم. وروى إبراهيم بن الحكم عن أخيه عن عكرمة قال «بينما رجل في الجنة فقال في نفسه لو أن اللّٰه يأذن لي لزرعت. فلا يعلم إلا والملائكة على أبوابه فيقولون سلام عليكم يقول لك ربك تمنيت في نفسك شيئاً فقد علمته، وقد بعث اللّٰه معنا البذر فيقول أبذروا فيخرج أمثال الجبال فيقول له الرب من فوق عرشه كل يا ابن آدم فإن ابن آدم لا يشبع» واللّٰه أعلم.

الباب السابع والأربعون
في ذكر أنهار الجنة وعيونها وأصنافها ومجراها الذي تجري عليه

وقد تكرر في القرآن في عدة مواضع قوله تعالى ﴿جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ وفي موضع ﴿تجري تحتها الأنهار﴾ وفي موضع ﴿تجري من تحتهم الأنهار﴾ وهذا يدل على أمور (أحدها) وجود الأنهار فيها حقيقة (الثاني) أنها جارية لا واقفة (الثالث) أنها تحت غرفهم وقصورهم وبساتينهم كما هو المعهود في أنهار الدنيا وقد ظن بعض المفسرين أن معنى ذلك جريانها بأمرهم وتصريفهم لها كيف شاؤا وكأن الذي حملهم على ذلك أنه لما سمعوا أن أنهارها تجري في غير اخدود فهي جارية على وجه الأرض حملوا قوله تجري من تحتها الأنهار على أنها تجري بأمرهم إذ لا يكون فوق المكان تحته وهؤلاء أوتوا من ضعف الفهم فإن أنهار الجنة وإن جرت في غير أخدود فهي تحت القصور والمنازل والغرف وتحت الأشجار وهو سبحانه لم يقل من تحت أرضها وقد أخبر سبحانه عن جريان الأنهار تخت الناس في الدنيا فقال ﴿ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدراراً وجعلنا الأنهار تجري من تحتهم﴾ فهذا على ما هو

المعهـود المتعارف وكـذلك مـا حكاه من قـول فرعـون «وهـذه الأنهار تجـري من تحتي» وقال تعالى ﴿فيهما عينان نضـاختان﴾ قـال ابن أبي شيبة حـدثنا يحيى بن يمـان عن أشعب عن جعفر عن سعيد قال «نضاختان بالماء والفواكه» وحدثنا ابن يمان عن أبي إسحاق عن أبان عن أنس قال: نضاختـان بالمسـك والعنبر ينضخـان على دور أهل الجنة كما ينضخ المطر على دور أهل الدنيا، وحدثنا عبد الله بن إدريس عن أبيه عن أبي إسحاق عن البراء قال اللتان تجريان أفضل من النضاختين وقـال تعالى: ﴿**مثـل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمـه، وأنهار من خمر لذة للشاربين، وأنهار من عسل مصفى ولهم فيهـا من كل الثمـرات ومغفرة من ربهم**﴾ فذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثه، وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصبر قارصاً، وآفة الخمر كـراهة مـذاقها المنافي للذة شربهـا، وآفة العسل عدم تصفيته، وهذا من آيات الرب تعالى أن تجري أنهار من أجناس لم تجر العادة في الدنيا بإجرائها ويجريها في غير أخدود وينفي عنها الآفـات التي تمنع كمال اللذة بها كما ينفي عن خمر الجنة جميع آفات خمر الدنيا من الصداع والغول واللغو والانزاف وعدم اللذة فهذه خمس آفات من آفات خمر الدنيا تغتال العقل ويكثر اللغو على شربها بل لا يطيب لشرابها ذلك إلا باللغو وتنزف في نفسها وتنزف المال وتصـدع الرأس وهي كـريهة المـذاق وهي رجس من عمل الشيـطان تـوقـع العـداوة والبغضاء بين الناس وتصد عن ذكر الله وعن الصلاة وتدعو إلى الزنا وربما دعت إلى الوقوع على البنت والأخت وذوات المحارم وتذهب الغيرة وتورث الخـزي والندامـة والفضيحة وتلحق شاربها بأنقص نوع الإنسان وهم المجانين وتسلبه أحسن الأسمـاء والسمات وتكسوه أقبح الأسماء والصفات وتسهل قتل النفس وإفشاء السـر الذي في إفشائه مضرته أو هلاكه ومؤاخاة الشياطين في تبذير المال الذي جعله الله قياماً له ولم يلزمه مؤنته وتهتك الأستار وتظهر الأسرار وتدل على العورات وتهون ارتكاب القبائح والمآثم وتخرج من القلب تعظيم المحارم ومدمنها كعابد وثن، وكم أهاجت من حرب وافقرت من غنى، وأذلت من عزيز، ووضعت من شريـف، وسلبت من نعمة وجلبت من نقمة، وفسخت مودة، ونسجت عداوة، وكم فرقت بين رجل وزوجته فذهبت بقلبه وراحت بلبه، وكم أورثت من حسرة وأجرت من عبرة وكم أغلقت في وجه شاربها باباً

من الخير وفتحت له باباً من الشر، وكم أوقعت في بلية وعجلت من منية وكم أورثت من خزية، وجرت على شاربها من محنة، وجرت عليه من سفلة فهي جماع الإثم ومفتاح الشر وسلابة النعم وجالبة النقم، ولو لم يكن من رذائلها إلا أنها لا تجتمع هي وخمر الجنة في جوف عبد كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة» لكفى، وآفات الخمر أضعاف أضعاف ما ذكرنا وكلها منتفية عن خمر الجنة فإن قيل فقد وصف سبحانه الأنهار بأنها جارية ومعلوم أن الماء الجاري لا يأسن فما فائدة قوله غير اسن قيل الماء الجاري وإن كان يأسن فإنه إذا أخذ منه شيء وطال مكثه أسن وماء الجنة لا يعرض له ذلك ولو طال مكثه ما طال. وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس فهذا لشربهم وطهورهم، وهذا لقوتهم وغذائهم وهذا للذتهم وسرورهم، وهذا لشفائهم ومنفعتهم والله أعلم.

(فصل)

وأنهار الجنة تتفجر من أعلاها ثم تنحدر نازلة إلى أقصى درجاتها كما روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله عز وجل للمجاهدين في سبيله بين كل درجتين كما بين السماء والأرض فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس فإنه وسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن؟ ومنه تفجر أنهار الجنة» وروى الترمذي نحوه من حديث معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت ولفظ حديث عبادة «الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين مسيرة مائة عام والفردوس أعلاها درجة، ومنها الأنهار الأربعة والعرش فوقها فإن سألتم الله فاسألوه الفردوس الأعلى» وفي المعجم للطبراني من حديث الحسن عن سمرة قال قال رسول الله ﷺ: «الفردوس ربوة الجنة وأعلاها وأوسطها ومنها تفجر أنهار الجنة» وفي صحيح البخاري، من حديث شعبة عن قتادة قال أخبرني أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «رفعت إلى سدرة المنتهى في السماء السابعة نبقها مثل قلال هجر، وورقها مثل آذان الفيلة، يخرج من ساقها نهران ظاهران، ونهران باطنان، فقلت يا جبريل ما هذا؟ قال أما النهران الباطنان ففي الجنة وأما الظاهران فالنيل والفرات» وفي صحيحه أيضاً من حديث همام عن قتادة عن أنس أن رسول الله ﷺ قال: «بينا أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر حافتاه قباب اللؤلؤ المجوف فقلت ما هذا يا جبريل؟ قال هذا

الكوثر الذي أعطاك ربك، قال فضرب الملك بيده فإذا طينه مسك أذفر». وفي صحيح مسلم من حديث المختار بن فلفل عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «الكوثر نهر في الجنة وعدنيه ربي عز وجل» وقال محمد بن عبد الله الأنصاري حدثنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ: «دخلت الجنة فإذا بنهر يجري حافتاه خيام اللؤلؤ، فضربت يدي إلى ما يجري فيه من الماء فإذا أنا بمسك أذفر، فقلت لمن هذا يا جبريل؟ قال هذا الكوثر الذي أعطاك الله عز وجل» قال الترمذي حدثنا هناد حدثنا محمد بن فضيل عن عطاء بن السائب عن محارب بن دثار عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ: «الكوثر نهر في الجنة حافتاه من ذهب ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج» قال هذا حديث حسن صحيح وقال أبو نعيم الفضل حدثنا أبو جعفر هو الرازي حدثنا ابن أبي نجيح عن مجاهد (إنا أعطيناك الكوثر قال الخير الكثير) وقال أنس بن مالك: نهر في الجنة وقالت عائشة هو نهر في الجنة ليس يدخل أحد إصبعيه في أذنيه إلا سمع خرير ذلك النهر، وهذا معناه والله أعلم أن خرير ذلك النهر يشبه الخرير الذي يسمعه حين يدخل أصبعيه في أذنيه. وفي جامع الترمذي من حديث الحريري عن حكيم بن معاوية عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بحر الماء وبحر العسل وبحر اللبن وبحر الخمر، ثم تشقق الأنهار بعد» قال هذا حديث حسن صحيح وقال الحاكم حدثنا الأصم حدثنا الربيع بن سليمان حدثنا أسد بن موسى حدثنا ابن ثوبان عن عطاء بن قرة عن عبد الله بن سمرة عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «من سره أن يسقيه الله عز وجل من الخمر في الآخرة فليتركه في الدنيا، ومن سره أن يكسيه الله الحرير في الآخرة فليتركه في الدنيا، وأنهار الجنة تفجر من تحت تلال أو تحت جبال المسك ولو كان أدنى أهل الجنة حلية عدلت بحلية أهل الدنيا جميعاً لكان ما يحليه الله به في الآخرة أفضل من حلية أهل الدنيا جميعاً» وذكر الأعمش عن عمرو بن مرة عن مسروق عن عبد الله قال: «إن أنهار الجنة تفجر من جبل مسك » وهذا موقوف صحيح وذكر ابن مردويه في مسنده حدثنا أحمد بن محمد بن عاصم حدثنا عبد الله بن محمد بن النعمان حدثنا مسلم بن إبراهيم حدثنا الحرث بن عبيد حدثنا أبو عمران الجوني عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ: «هذه الأنهار تشخب من جنة عدن في جوبة ثم تصدع بعد

أنهاراً ». وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن عبيدة حدثنا يزيد بن هارون حدثنا الحريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال : «أظنكم تظنون أن أنهار الجنة أخدود في الأرض ؟ لا والله إنها لسائحة على وجه الأرض إحدى حافتيها اللؤلؤ والأخرى الياقوت، وطينها المسك الأذفر، قال قلت ما الأذفر، قال الذي لا خلط له» ورواه ابن مردويه في تفسيره عن محمد بن أحمد حدثنا محمد بن أحمد بن يحيى حدثنا مهدي بن حكيم حدثنا يزيد بن هارون أخبرنا الحريري عن معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله ﷺ فذكره هكذا رواه مرفوعاً وقال أبو خيثمة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أنه قرأ هذه الآية ﴿إنا أعطيناك الكوثر﴾ فقال رسول الله ﷺ: «أعطيت الكوثر فإذا هو يجري ولم يشق شقاً، وإذا حافتاه قباب اللؤلؤ فضربت بيدي إلى تربته فإذا مسك أذفر وإذا حصباؤه اللؤلؤ» وذكر سفيان الثوري عن عمرو بن مرة عن أبي عبيدة عن مسروق في قوله تعالى: ﴿وماء مسكوب﴾ قال أنهار تجري في غير أخدود قال ﴿ونخل طلعها هضيم﴾ قال من أصلها إلى فروعها أو كلمة نحوها. وفي صحيح مسلم من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ «سيحان وجيحان والفرات والنيل كل من أنهار الجنة» وقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا سعيد بن سابق حدثنا مسلمة بن علي عن مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «أنزل الله من الجنة خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند، وجيحون وهو نهر بلخ، ودجلة والفرات وهما نهرا العراق، والنيل وهو نهر مصر، أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناح جبريل ﷺ فاستودعها الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس في أصناف معايشهم، فذلك قوله ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وأنا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فرفع ذلك كله إلى السماء، فذلك قوله تعالى: ﴿وانا على ذهاب به لقادرون﴾ فإذا رفعت هذه الأشياء من الأرض فقد حرم أهلها خيري الدنيا والآخرة» ورواه أحمد بن عدي في ترجمة مسلمة هذا مع أحاديث غيره وقال عامة أحاديثه غير محفوظة وبالجملة فهو من الضعفاء قال البخاري منكر الحديث وقال النسائي متروك وقال أبو حاتم لا تشتغل به. وقال عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أبي أيوب عن

عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهراً يقال له البيدج عليه قباب من ياقوت تحته جوار يقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدج فيتصفحون تلك الجواري فإذا أعجب رجلاً منهم جارية مس معصمها فتتبعه».

(فصل)

وأما العيون فقد قال تعالى: ﴿إن المتقين في جنات وعيون﴾ وقال تعالى: ﴿**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيراً**﴾ قال بعض السلف معهم قضبان الذهب حيثما مالوا مالت معهم، وقد اختلف في قوله يشرب بها فقال الكوفيون الباء بمعنى من أي يشرب منها وقال آخرون بل الفعل مضمن ومعنى يشرب بها أي يروى بها فلما ضمنه معناه عداه تعديته وهذا أصح وألطف وأبلغ، وقالت طائفة الباء للظرفية والعين اسم للمكان كما تقول كنا بمكان كذا وكذا ونظير هذا التضمين قوله تعالى: ﴿ومن يرد فيه بالحاد بظلم﴾ ضمن معنى يهم فعدى تعديته وقال تعالى: ﴿**ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً، عيناً فيها تسمى سلسبيلاً**﴾ فأخبر سبحانه عن العين التي يشرب بها المقربون صرفاً أن شراب الأبرار يمزج منها لأن أولئك أخلصوا الأعمال كلها لله فأخلص شرابهم، وهؤلاء مزجوا فمزج شرابهم، ونظير هذا قوله تعالى: ﴿**إن الأبرار لفي نعيم على الأرائك ينظرون تعرف في وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون، ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب بها المقربون**﴾ فأخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين بالكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة، وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الرائحة، ما يحدث لهم باجتماع الشرابين ومجيىء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى، أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدل كيفية كل منهما بكيفية الآخر وما ألطف موقع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها فإن شرابهم مزج أولاً بالكافور وفيه من البرد ما يجيء والزنجبيل بعده فيعد له، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب (أحدهما) مزج بكافور و(الثاني) مزج بزنجبيل وأيضاً فإنه سبحانه أخبر عن مزج شرابهم بالكافور وبرده في مقابلة ما وصفهم به من حرارة الخوف والإيثار والصبر والوفاء بجميع الواجبات التي نبه على وفائهم بأضعفها وهو ما

أوجبوه على أنفسهم بالنذر على الوفاء بأعلاها وهـو ما أوجبـه اللّه عليهم ولهذا قـال ﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾ فإن في الصبر من الخشـونة وحبس النفس عن شهواتها ما اقتضى أن يكون في جزائهم من سعة الجنة ونعومة الحرير ما يقابل ذلك الحبس والخشونة، وجمع لهم بين النضرة والسرور وهذا جمال ظواهرهم وهذا حال بـواطنهم كما جملوا في الـدنيا ظـواهرهم بشـرائع الإسـلام وبواطنهم بحقـائق الإيمان، ونظيره قوله في آخر السورة ﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة﴾ فهذه زينة الظاهر ثم قال ﴿وسقاهم ربهم شراباً طهوراً﴾ فهـذه زينة البـاطن المطهر لهم من كل أذى ونقص ونظيره قوله تعالى لأبيهم آدم عليه السلام: ﴿إن لك أن لا تجوع فيها ولا تعرى وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحي﴾ فضمن له أن لا يصيبه ذل الباطن بالجوع ولا ذل الظاهر بالعري وأن لا يناله حر الباطن بالظمأ ولا حـر الظاهـر بالضحى ونظير هذا ما عدده على عباده من نعمه أنه أنزل عليهم لباساً يواري سوآتهم ويزين ظواهرهم ولباساً آخر يزين بواطنهم وقلوبهم وهـو لباس التقـوى وأخبر أنـه خير اللباسين وقريب من هذا إخباره أنه زين السماء الدنيا بزينة الكواكب وحفظاً من كـل شيطان مارد فزين ظاهرها بالنجوم وباطنها بالحراسة، وقريب منه أمره من أراد الحج بالزاد الظاهر ثم أخبر أن خير الزاد الزاد الباطن وهو التقوى، وقريب منـه قول امـرأة العزيز عن يوسف «فذلكن الذي لمتنني فيه» فـأرتهن حسنه وجمـاله ثم قـالت «ولقد راودتـه عن نفسه فـاستعصم» فأخبـرتهن بجمال بـاطنه وزينتـه بالعفـة وهذا كثيـر في القرآن لمتأمله.

الباب الثامن والأربعون
في ذكر طعام أهل الجنة وشرابهم ومصرفه

قال تعالى: ﴿إن المتقين في ظلال وعيون، وفواكه مما يشتهون، كلواواشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ وقال تعالى: ﴿فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هـاؤم اقرؤا كتابيه، إني ظننت أني ملاق حسابيه، فهو في عيشة راضية، في جنـة عاليـة قطوفهـ دانية، كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية﴾ وقال تعالى: ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون، لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون﴾ وقال تعـالى: ﴿مثل الجنة التي وعـد المتقون تجـري من تحتها الأنهـار أكلها دائم وظلهـا﴾ وقال

تعالى: ﴿وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون، يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم﴾ وقال تعالى: ﴿يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك، وفي ذلك فليتنافس المتنافسون﴾ وفي صحيح مسلم من حديث أبي الزبير عن جابر قال قال رسول اللّه ﷺ: «يأكل أهل الجنة ويشربون ولا يمتخطون ولا يتغوطون ولا يبولون، طعامهم ذلك جشاء كريح المسك، يلهمون التسبيح والتكبير كما تلهمون النفس» ورواه أيضاً من رواية طلحة بن نافع عن جابر وفيه «قالوا فما بال الطعام؟ قال جشاء ورشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد» وفي المسند وسنن النسائي بإسناد صحيح على شرط الصحيح من حديث الأعمش عن ثمامة بن عقبة عن زيد بن أرقم قال: «جاء رجل من أهل الكتاب إلى النبي ﷺ فقال يا أبا القاسم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال نعم والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطي قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع والشهوة، قال فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة وليس في الجنة أذى قال تكون حاجة أحدهم رشحاً يفيض من جلودهم؟ كرشح المسك فيضمر بطنه» ورواه الحاكم في صحيحه ولفظه «أتى النبي ﷺ رجل من اليهود فقال: يا أبا القاسم ألست تزعم أن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون؟ - ويقول لأصحابه إن أقر لي بهذا خصمته - فقال رسول الله ﷺ بلى، والذي نفس محمد بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والشهوة والجماع فقال له اليهودي فإن الذي يأكل ويشرب تكون له الحاجة، فقال رسول الله ﷺ حاجتهم عرق يفيض من جلودهم مثل المسك، فإذا البطن قد ضمر» وقال الحسن بن عرفة حدثنا خلف بن خليفة عن حميد الأعرج عن عبد الله بن الحارث عن عبد الله بن مسعود قال قال لي رسول الله ﷺ: «إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً» وقد تقدم حديث أنس في قصة عبد الله بن سلام في أول طعام يأكله أهل الجنة وشرابهم على أثره وحديث أبي سعيد الخدري «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة يتكفأها الجبار بيده نزلا لأهل الجنة» وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا إبراهيم بن منقذ حدثنا إدريس بن يحيى حدثني الفضل بن المختار عن عبيد الله بن موهب عن عصمة بن مالك الخطمي عن حذيفة قال قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة طيراً أمثال البخاتي فقال أبو بكر أنها لناعمة يا رسول اللّه، أنعم منها من يأكلها وأنت ممن يأكلها يا أبا بكر» قال الحاكم وأنبأنا الأصم حدثنا يحيى بن أبي طالب أنبأنا عبد الوهاب بن عطاء

أنبأنا سعيد عن قتادة في قوله تعالى: ﴿ولحم طير مما يشتهون﴾ قال ذكر لنا أن أبا بكر» قال «يا رسول اللّه أني لأرى طير الجنة ناعمة كما أن أهلها ناعمون، قال من يأكلها أنعم منها وأنها أمثال البخاتي وأني لأحتسب على اللّه أن تأكل منها يا أبا بكر وبهذا الإسناد عن قتادة عن أيوب رجل من أهل البصرة عن عبد اللّه بن عمرو في قوله تعالى: ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب﴾ قال يطاف عليهم بسبعين صحفة من ذهب كل صحفة منها فيها لون ليس في الأخرى» وقال الدراوردي حدثني ابن أخي ابن شهاب عن أبيه عن عبد اللّه بن مسلم أنه سمع أنس بن مالك يقول في الكوثر قال رسول اللّه ﷺ «هو نهر أعطانيه ربي أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل فيه طيور أعناقها كأعناق الجزر، فقال عمر بن الخطاب إنها يا رسول اللّه لناعمة، فقال رسول اللّه ﷺ آكلها أنعم منها» تابعه إبراهيم بن سعيد عن ابن أخي ابن شهاب وقال فقال أبو بكر بدل عمر. وقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا عبد الله بن صالح عن معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿وكأس من معين﴾ يقول الخمر لا فيها غول يقول ليس فيها صداع وفي قوله تعالى ﴿ولا هم عنها ينزفون﴾ يقول لا تذهب عقولهم وقوله تعالى ﴿وكأساً دهاقاً﴾ يقول ممتلئة وقوله ﴿رحيق مختوم﴾ يقول الخمر ختم بالمسك وقال علقمة عن ابن مسعود: (ختامه مسك) قال خلطه وليس بخاتم ثم يختم قلت يريد والله أعلم أن آخره مسك يخالطه فهو من الخاتمة ليس من الخاتم وقال زيد بن معاوية سألت علقمة عن قوله تعالى ﴿ختامه مسك﴾ فقرأتها (خاتمه مسك) فقال لي ليست خاتمه ولكن اقرأه (ختامه مسك) قال علقمة ختامه خلطه ألم تر أن المرأة من لسانكم تقول للطيب أن خلطه من مسك لكذا وكذا، وذكر سعيد بن منصور حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن عبد اللّه بن مرة عن مسروق الرحيق الخمر المختوم يجدون عاقبتها طعم المسك وبهذا الإسناد عن مسروق عن عبد اللّه في قوله تعالى ﴿ومزاجه من تسنيم﴾ قال تمزج لأصحاب اليمين ويشربها المقربون صرفاً وكذلك قال ابن عباس يشرب منها المقربون صرفاً وتمزج لمن دونهم وقال مجاهد ختامه مسك يقول طينة وهذا التفسير يحتاج إلى تفسير ولفظ الآية أوضح منه وكأنه واللّه أعلم يريد ما يبقى في أسفل الإناء من الدردي وذكر الحاكم من حديث آدم حدثنا شيبان عن جابر عن ابن سابط عن أبي الدرداء في قوله ﴿ختامه مسك﴾ قال هو شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شرابهم لو أن

رجلاً من أهل الدنيا أدخل يده فيه ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد ريح طيبها. قال آدم وحدثنا أبو شيبة عن عطاء قال «التسنيم» اسم العين التي يمزج بها الخمر. وقال الإمام أحمد حدثنا هشيم أنبأنا حصين عن عكرمة عن ابن عباس في قوله (وكأساً دهاقاً) قال هي المتتابعة الممتلئة قال وربما سمعت العباس يقول أسقنا وأدهق لنا وقد تقدم الكلام على قوله تعالى: ﴿**إن الأبرار يشربون من كأس كان مزاجها كافوراً عيناً يشرب بها عباد اللّه يفجرونها تفجيراً**﴾ وعلى قوله ﴿**ويسقون فيها كأساً كان مزاجها زنجبيلاً عيناً فيها تسمى سلسبيلاً**﴾ فقالت فرقة سلسبيلاً جملة مركبة من فعل وفاعل وسبيلاً منصوب على المفعول أي سل سبيلاً إليها وليس هذا بشيء وإنما السلسبيل كلمة مفردة وهي اسم قتادة سلسة فهم يصرفونها حيث شاؤا وهذا من الاشتقاق الأكبر، وقال مجاهد سلسة السيل حديدة الجرية، وقال أبو العالية والمقابلان تسيل عليهم في الطرق وفي منازلهم وهذا من سلاستها وحدة جريتها، وقال آخرون معناها طيبة الطعم والمذاق وقال أبو إسحاق سلسبيل صفة لما كان في غاية السلاسة فسميت العين بذلك وقال ابن الأنباري الصواب في سلسبيل أنه صفة للماء وليس باسم للعين واحتج على ذلك بحجتين (أحداهما) أن سلسبيلاً مصروف ولو كان اسماً للعين لم يصرف للتأنيث والعلمية (الثانية) أن ابن عباس قال معناه أنها تنسل في حلوقهم انسلالاً، «قلت» ولا حجة له في واحدة منهما، أما الصرف فلاقتضاء رؤوس الآي له كنظائره، وأما قول ابن عباس فإنما يدل على أن العين سميت بذلك باعتبار صفة السلالة والسهولة. فقد تضمنت هذه النصوص أن لهم فيها الخبز واللحم والفاكهة والحلوى وأنواع الأشربة من الماء واللبن والخمر وليس في الدنيا مما في الآخرة إلا الأسماء، وأما المسميات فبينها من التفاوت ما لا يعلمه البشر، فإن قيل فأين يشوى اللحم وليس في الجنة نار؟ فقد أجاب عن هذا بعضهم بأنه يشوى بـ «كن» وأجاب آخرون بأنه يشوى خارج الجنة ثم يؤتى به إليهم والصواب أنه يشوى في الجنة بأسباب قدرها العزيز الحكيم لإنضاجه وإصلاحه كما قدر هناك أسباباً لإنضاج الثمر والطعام على أنه لا يمتنع أن يكون فيها نار تصلح لا تفسد شيئاً وقد صح عنه ﷺ أنه قال: «مجامرهم الألوة» و (المجامر) جمع مجمر وهو البخور الذي يتبخر بإحراقه و (الألوة) العود المطري فأخبر أنهم يتجمرون به أي يتبخرون بإحراقه لتسطع لهم رائحته وقد أخبر سبحانه أن في الجنة ظلالاً والظلال لا بد أن تفيء مما يقابلها فقال: ﴿**هم وأزواجهم في ظلال على**

الأرائك متكئون﴾ وقال: **﴿إن المتقين في ظلال وعيون﴾** وقال: **﴿وندخلهم ظلاً ظليلاً﴾** فالأطعمة والحلوى والتجمر تستدعي أسباباً تتم بها والله سبحانه خالق السبب والمسبب وهو رب كل شيء ومليكه لا إله إلا هو، وكذلك جعل لهم سبحانه أسباباً تصرف الطعام من الجشاء والعرق الذي يفيض من جلودهم، فهذا سبب إخراجه وذاك سبب إنضاجه، وكذلك جعل في أجوافهم من الحرارة ما يطبخ ذلك الطعام ويلطفه ويهيئه لخروجه رشحاً وجشاء، وكذلك ما هناك من الفواكه والثمار يخلق لها من الحرارة ما ينضجها ويجعل سبحانه أوراق الشجر ظلالها فرب الدنيا والآخرة واحد، وهو الخالق للأسباب والحكم ما يخلقه في الدنيا والآخرة، والأسباب مظهر أفعاله وحكمته ولكنها تختلف ولهذا يقع التعجب من العبد لورود أفعاله سبحانه على أسباب غير الأسباب المعهودة المألوفة وربما حمله ذلك على الإنكار والكفر وذلك محض الجهل والظلم وإلا فليست قدرته سبحانه وتعالى مقصرة عن أسباب أخر ومسببات ينشئها منها كما لا تقتصر قدرته في هذا العالم المشهود عن أسبابه ومسبباته وليس هذا بأهون عليه من ذلك ولعل النشأة الأولى التي أنشأها الرب سبحانه وتعالى فيها بالعيان والمشاهدة أعجب من النشأة الثانية التي وعدنا بها إذا تأملها اللبيب ولعل إخراج هذه الفواكه والثمار من بين هذه التربة الغليظة والماء والخشب والهواء المناسب لها أعجب عند العقل من إخراجها من بين تربة الجنة ومائها وهوائها، ولعل إخراج هذه الأشربة التي هي غذاء ودواء وشراب ولذة من بين فرث ودم ومن قيء ذباب أعجب من إجرائها أنهاراً في الجنة بأسباب أخر، ولعل إخراج جوهري الذهب والفضة من عروق الحجارة من الجبال وغيرها أعجب من إنشائها هناك من أسباب أخر، ولعل إخراج الحرير من لعاب دود القز وبنائها على أنفسها القباب البيض والحمر والصفر أحكم بناء أعجب من إخراجه من أكمام تنشق عنه شجر هناك قد أودع فيها وأنشيء منها، ولعل جريان بحار الماء بين السماء والأرض على ظهور السحاب أعجب من جريانها في الجنة في غير أخدود، وبالجملة فتأمل آيات الله التي دعا عباده إلى التفكر فيها وجعلها آيات دالة على كمال قدرته وعلمه ومشيئته وحكمته وملكه وعلى توحده بالربوبية. والإلهية، ثم وازن بينها وبين ما أخبر به من أمر الآخرة والجنة والنار تجد هذه أدل شيء على تلك، شاهدة لها وتجدهما من مشكاة واحدة ورب واحد وخالق واحد ومالك واحد فبعداً لقوم لا يؤمنون.

الباب التاسع والأربعون
في ذكر آنيتهم التي يأكلون فيها ويشربون وأجناسها وصفاتها

قال تعالى: ﴿**يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب**﴾ فالصحاف جمع صحفة قال الكلبي بقصاع من ذهب وقال الليث الصحفة قصعة مسلنطحة عريضة، الجمع صحاف، قال الأعشى:

والمكاكيك والصحاف من الفضـ ... ـة والضامرات تحت الرجال

وأما الأكواب فجمع كوب، قال الفراء الكوب المستدير الرأس الذي لا أذن له وأنشد لعدي:

متكئاً تصفق أبوابه ... يسعى عليه العبد بالكوب

وقال أبو عبيد الأكواب الأباريق التي لا خراطيم لها قال أبو إسحاق واحدها كوب وهو إناء مستدير لا عروة له، وقال ابن عباس هي الأباريق التي ليست لها آذان، وقال مقاتل هي أوان مستديرة الرأس ليس لها عري، وقال البخاري في صحيحه الأكواب الأباريق التي لها خراطيم وقال تعالى ﴿**يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين**﴾ الأباريق هي الأكواب التي لها خراطيم فإن لم يكن لها خراطيم ولا عري فهي أكواب. وإبريق إفعيل من البريق وهو الصفاء فهو الذي يبرق لونه من صفائه ثم سمي كل ما كان على شكله إبريقاً وإن لم يكن صافياً، وأباريق الجنة من الفضة في صفاء القوارير يرى من ظاهرها ما في باطنها والعرب تسمي السيف إبريقاً لبريق لونه، ومنه قول ابن أحمر:

تعلقت إبريقاً وعلقت جفنه ... ليهلك حياً ذا زهاء وحامل

وفي نوادر اللحياني امرأة إبريق إذا كانت براقة، وقال تعالى ﴿**يطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب كانت قوارير قوارير من فضة قدروها تقديراً**﴾ فالقوارير هي الزجاج فأخبر سبحانه وتعالى عن مادة تلك الآنية أنها من الفضة وأنها بصفاء الزجاج وشفافته وهذا من أحسن الأشياء وأعجبها، وقطع سبحانه توهم كون تلك القوارير من زجاج فقال (قوارير من فضة) قال مجاهد وقتادة ومقاتل والكلبي والشعبي: قوارير الجنة من الفضة فاجتمع لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال ابن قتيبة كل ما في الجنة من

الأنهار وسررها وفرشها وأكوابها مخالف لما في الدنيا من صنعة العباد كما قال ابن عباس ليس في الدنيا شيء مما في الجنة إلا الأسماء والأكواب في الدنيا قد تكون من فضة وتكون من قوارير فأعلمنا اللّه أن هناك أكواباً لها بياض الفضة وصفاء القوارير قال وهذا على التشبيه أراد قوارير كأنها من فضة وهذا كقوله تعالى **﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾** أي لهن ألوان المرجان في صفاء الياقوت. وهذا مردود عليه فإن الآية صريحة أنها من فضة، و«من» ههنا لبيان الجنس كما تقول خاتم من فضة ولا يراد بذلك أنه يشبه الفضة بل جنسه ومادته الفضة ولعله أشكل عليه كونها من فضة وهي قوارير وهو الزجاج وليس في ذلك إشكال لما ذكرناه. وقوله (قدروها تقديراً) التقدير جعل الشيء بقدر مخصوص فقدرت الصناع هذه الآنية على قدر ريهم لا يزيد عليه ولا ينقص منه وهذا أبلغ في لذة الشارب فلو نقص عن ريه لنقص التذاذه ولو زاد حتى يشمئز منه حصل له ملالة وسآمة من الباقي هذا قول جماعة من المفسرين، قال الفراء قدروا الكأس على قدر ري أحدهم لا فضل فيه ولا عجز عن ريه وهو ألذ الشراب. وقال الزجاج جعلوا الإناء على قدر ما يحتاجون إليه ويريدونه. وقال أبو عبيد يكون التقدير الذين يسقون يقدرونها ثم يسقون يعني أن الضمير في قدروا للملائكة والخدم قدروا الكأس على قدر الري فلا يزيد عليه فيثقل الكف ولا ينقص منه فتطلب النفس الزيادة كما تقدم، وقالت طائفة الضمير يعود على الشاربين أي قدروا في أنفسهم شيئاً فجاءهم الأمر بحسب ما قدروه وأرادوه، وقول الجمهور أحس وأبلغ وهو مستلزم لهذا القول واللّه أعلم * وأما الكأس فقال أبو عبيدة هو الأناء بما فيه وقال أبو إسحاق الكأس الإناء إذا كان فيه خمر ويقع الكأس لكل إناء مع شرابه والمفسرون فسروا الكأس بالخمر وهو قول عطاء والكلبي ومقاتل؟ حتى قال الضحاك كل كأس في القرآن فإنما عني به الخمر وهذا نظر منهم إلى المعنى والمقصود فإن المقصود ما في الكأس لا الإناء نفسه. وأيضاً فإن من الأسماء ما يكون اسماً للحال والمحل مجتمعين ومنفردين كالنهر والكأس فإن النهر اسم للماء ولمحله معاً ولكل منهما على إنفراده وكذلك الكأس والقرية ولهذا يجيء لفظ القرية مراداً به الساكن فقط والمسكن فقط والأمران معاً وقد أخرجا في الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري أن رسول اللّه ﷺ قال: «جنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»

وفيهما أيضاً من حديث أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ: «إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والذين يلونهم على أشد كوكب دري في السماء إضاءة، لا يبلون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون، أمشاطهم الذهب ورشحهم المسك ومجامرهم الألوة وأزواجهم الحور العين أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم عليه السلام ستون ذراعاً في السماء» وفي الصحيحين من حديث حذيفة بن اليمان أن النبي ﷺ قال: «لا تشربوا في آنية الذهب والفضة ولا تأكلوا في صحافهما فإنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» وقال أبو يعلى الموصلي في مسنده حدثنا ثوبان حدثنا سليمان بن المغيرة حدثنا ثابت قال قال أنس: «كان رسول الله ﷺ يعجبه الرؤيا فربما رأى الرجل الرؤيا فيسأل عنه إذا لم يكن يعرفه فإذا أثنى عليه معروف كان أعجب لرؤياه إليه فأتته امرأة فقالت يا رسول الله رأيت كأني أتيت فأخرجت من المدينة فأدخلت الجنة فسمعت وجبة انفتحت لها الجنة فنظرت فإذا فلان بن فلان وفلان بن فلان فسمت اثني عشر رجلاً كان رسول الله ﷺ قد بعث سرية قبل ذلك فجيء بهم عليهم ثياب طلس تشخب أوداجهم فقيل اذهبوا بهم إلى نهر البيدخ أو البيدح فغمسوا فيه فخرجوا ووجوههم كالقمر ليلة البدر فأتوا بصحفة من ذهب فيها بسر فأكلوا من ذلك البسر ما شاؤا فما يقلبونها من وجه إلا أكلوا من الفاكهة ما أرادوا وأكلت معهم، فجاء البشير من تلك السرية فقال أصيب فلان وفلان حتى عد اثني عشر رجلاً فدعا رسول الله ﷺ المرأة فقال قصي رؤياك فقصتها وجعلت تقول جيء بفلان وفلان كما قال» رواه الإمام أحمد في مسنده بنحوه وإسناده على شرط مسلم.

الباب الخمسون

في ذكر لباسهم وحليهم ومناديلهم وفرشهم وبسطهم ووسائدهم ونمارقهم وزرابيهم

قال تعالى: ﴿إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً، أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الأنهار يحلون فيها من

أساور من ذهب، ويلبسون ثياباً خضراً من سندس واستبرق متكئين فيها على الأرائك﴾ قال جماعة من المفسرين السندس مارق من الديباج والاستبرق ما غلظ منه وقالت طائفة ليس المراد به الغليظ ولكن المراد به الصفيق وقال الزجاج هما نوعان من الحرير وأحسن الألوان الأخضر وألين اللباس الحرير فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتذاذ العين به وبين نعومته والتذاذ الجسم به وقال تعالى: **﴿ولباسهم فيها حرير﴾** وههنا مسألة وهذا موضع ذكرها وهي أن الله سبحانه وتعالى أخبر أن لباس أهل الجنة حرير وصح عن النبي ﷺ أنه قال: «من لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة» متفق على صحته من حديث عمر بن الخطاب وأنس بن مالك وقد اختلف في المراد بهذا الحديث فقالت طائفة من السلف والخلف أنه لا يلبس الحرير في الجنة ويلبس غيره من الملابس قالوا وما قوله تعالى: **﴿ولباسهم فيها حرير﴾** فمن العام المخصوص وقال الجمهور وهذا من الوعيد الذي له حكم أمثاله من نصوص الوعيد التي تدل على أن الفعل مقتض لهذا الحكم وقد يتخلف عنه لمانع وقد دل النص والإجماع على أن التوبة مانعة من لحوق الوعيد ويمنع من لحوقه أيضاً الحسنات الماحية والمصائب المكفرة ودعاء المسلمين وشفاعة من يأذن الله له في الشفاعة وشفاعة أرحم الراحمين إلى نفسه، فهذا الحديث نظير الحديث الآخر من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة. وقال تعالى: **﴿وجزاهم بما صبروا جنة وحريراً﴾** وقال: **﴿عاليهم ثياب سندس خضر واستبرق﴾** وتأمل ما دلت عليه لفظة «عاليهم» من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يجمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال. وقد اختلف القراء السبعة في نصب «عاليهم» ورفعه على قراءتين واختلف النحاة في وجه نصبه هل هو على الظرف أو على الحال على قولين واختلف المفسرون هل ذلك للولدان الذين يطوفون عليهم فيطوفون وعليهم ثياب السندس والاستبرق أو للسادات الذين يطوفون عليهم الولدان فيطوفون على ساداتهم وعلى السادات هذه الثياب وليس الحال ههنا بالبين ولا تحته ذلك المعنى البديع الرائع فالصواب أنه منصوب على الظرف فإن عالياً لما كان بمعنى فوق أجري مجراه. قال أبو علي وهذا الوجه أبين وهو أن عالياً صفة فجعل ظرفاً كما كان قوله **﴿والركب أسفل منكم﴾** كذلك وكما قالوا هو ناحية من الدار، وأما من رفع عاليهم فعلى الابتداء وثياب سندس خبره ولا يمنع من هذا أفراد عال وجمع الثياب

لأن فاعلاً قد يراد به الكثرة كما قال:

ألا أن جيـرانـي الـعـشـيـة رائـح دعـتـهـم دواع مـن هـوى ومـنـاوح

وقال تعالى: ﴿مستكبرين به سامراً تهجرون﴾ ومن رفع خضرا أجراه صفة للثياب وهو الأقيس من وجوه. (أحدها) المطابقة بينهما في الجمع. (الثاني) موافقته لقوله تعالى ﴿ويلبسون ثياباً خضراً﴾ (الثالث) تخلصه من وصف المفرد بالجمع ومن جر أجراه صفة للسندس على إرادة الجنس كما يقال أهلك الناس الدينار الصفر والدرهم البيض، وتترجح القراءة بوجه رابع أيضاً وهو أن العرب تجيء بالجمع الذي هو في لفظ الواحد فيجرونه مجرى الواحد كقوله تعالى: ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً﴾ وكقوله: ﴿كأنهم أعجاز نخل منقعر﴾ فإذا كانوا قد أفردوا صفات هذا النوع من الجمع فإفراد صفة الواحد وإن كان في معنى الجمع أولى. وفي استبرق قراءتان الرفع عطفاً على ثياب والجر عطفاً على سندس وتأمل كيف جمع لهم بين نوعي الزينة الظاهرة من اللباس والحلى كما جمع لهم بين الظاهرة والباطنة كما تقدم قريباً فجمل البواطن بالشراب الطهور، والسواعد بالأساور، والأبدان بثياب الحرير.
وقال تعالى: ﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير﴾ واختلفوا في جر لؤلؤ ونصبه فمن نصبه ففيه وجهان أحدهما أنه عطف على موضع قوله من أساور والثاني أنه منصوب بفعل محذوف دل عليه الأول أي ويحلون لؤلؤاً ومن جره فهو عطف على الذهب ثم يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون لهم أساور من ذهب وأساور من لؤلؤ، ويحتمل أن تكون الأساور مركبة من الأمرين معاً الذهب المرصع باللؤلؤ والله أعلم بما أراد. قال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن رزق حدثنا زيد بن الحباب قال حدثني عتبة بن سعد قاضي الري عن جعفر بن أبي المغيرة عن شمر بن عطية عن كعب قال: «إن لله عز وجل ملكاً منذ يوم خلق يصوغ حلى أهل الجنة إلى أن تقوم الساعة لو أن قلباً من حلى أهل الجنة أخرج لذهب بضوء شعاع الشمس فلا تسألوا بعد هذا عن حلى أهل الجنة» حدثنا الحسن بن يحيى بن كثير العنبري. حدثنا أبي عن أشعث عن الحسن قال: «الحلى في الجنة على الرجال أحسن منه على النساء» حدثنا أحمد بن منيع حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا يزيد بن أبي

حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا سواره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم» وقال ابن وهب حدثني ابن لهيعة عن عقيل بن خالد عن الحسن عن أبي هريرة قال أن أبا أمامة حدث أن رسول اللّٰه ﷺ حدثهم وذكر حلى أهل الجنة فقال: «مسورون بالذهب والفضة مكللون بالدر، عليهم أكاليل من در وياقوت متواصلة، وعليهم تاج كتاج الملوك، شباب مرد مكحلون» وقد أخرجا في الصحيحين والسياق لمسلم عن أبي حازم قال: «كنت خلف أبي هريرة وهو يتوضأ للصلاة فكان يمد يده حتى يبلغ أبطه فقلت يا أبا هريرة ما هذا الوضوء؟ فقال يا بني فروخ أنتم ههنا؟ لو علمت أنكم ههنا ما توضأت هذا الوضوء، سمعت خليلي ﷺ يقول: تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء» وقد احتج بهذا من يرى استحباب غسل العضد وإطالته والصحيح أنه لا يستحب وهو قول أهل المدينة وعن أحمد روايتان والحديث لا يدل على الإطالة فإن الحلية إنما تكون زينة في الساعد والمعصم لا في العضد والكتف.

وأما قوله ﴿فمن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل﴾ فهذه الزيادة مدرجة في الحديث من كلام أبي هريرة لا من كلام النبي ﷺ بين ذلك غير واحد من الحفاظ.

وفي مسند الإمام أحمد في هذا الحديث قال نعيم فلا أدري قوله من استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل، من كلام النبي ﷺ أو شيء قاله أبو هريرة من عنده، وكان شيخنا يقول هذه اللفظة لا يمكن أن تكون من كلام رسول الله ﷺ فإن الغرة لا تكون في اليد لا تكون إلا في الوجه وإطالته غير ممكنة إذ تدخل في الرأس فلا تسمى تلك غرة.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس ولا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه، في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر». وقوله لا تبلى ثيابه الظاهر أن المراد به الثياب المعينة لا يلحقها البلي، ويحتمل أن يراد به الجنس بل لا يزال عليه الثياب الجدد كما أنها لا ينقطع أكلها في جنسه بل كل مأكول يخلفه آخر واللّٰه أعلم. قال الإمام أحمد حدثنا عبد الرحمن بن مهدي حدثنا محمد بن أبي الوضاح حدثنا العلاء بن عبد اللّٰه بن رافع حدثنا حنان بن خارجة عن عبد اللّٰه بن عمر قال: «جاء أعرابي حرمي فقال يا رسول اللّٰه أخبرنا عن الهجرة؟ إليك أينما كنت، أم لقوم خاصة، أم إلى أرض معلومة إذا مت انقطعت؟ فسأل ثلاث مرات ثم جلس، فسكت رسول اللّٰه ﷺ يسيراً ثم قال أين السائل؟ فقال ها هو ذا يا

رسول الله، قال الهجرة أن تهجر الفواحش ما ظهر منها وما بطن وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة ثم أنت مهاجر وإن مت بالحضر، فقام آخر فقال يا رسول الله أخبرني عن ثياب أهل الجنة أتخلق خلقاً أم تنسج نسجاً، قال فضحك بعض القوم فقال رسول الله ﷺ : «تضحكون من جاهل يسأل عالماً!!!، فاسكت النبي ﷺ ساعة ثم قال أين السائل عن ثياب أهل الجنة؟ فقال ها هو ذا يا رسول الله، قال لا بل يشقق عنها ثمر الجنة» ثلاث مرات. وقال الطبراني في معجمه حدثنا أحمد بن يحيى الحلواني والحسن بن علي الفسوي قالا حدثنا سعيد بن سليمان حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبي إسحاق عن عمرو بن ميمون عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «أول زمرة يدخلون الجنة كأن وجوههم ضوء القمر ليلة البدر والزمرة الثانية على لون أحسن كوكب دري في السماء لكل واحد منهم زوجتان من الحور العين على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ سوقها من وراء لحومها وحللها، كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء، وهذا الإسناد على شرط الصحيح. وقال الإمام أحمد حدثنا يونس بن محمد حدثنا الخزرجي بن عثمان السعدي حدثنا أبو أيوب مولى لعثمان بن عفان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ : «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، ولنصيف امرأة من الجنة خير من الدنيا ومثلها معها، قال قلت يا رسول الله وما النصيف؟ قال الخمار» وقال ابن وهب أخبرنا عمرو أن دراجاً أبا السمح حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ : «إن الرجل ليتكيء في الجنة سبعين سنة قبل أن يتحول ثم يأتيه امرأة فتضرب على منكبيه فينظر وجهه في خدها أصفى من المرآة وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، فتسلم عليه فيرد السلام ويسألها من أنت؟ فتقول أنا المزيد، وأنه ليكون عليها سبعون ثوباً أدناها مثل النعمان، من طوبي فينفذها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك، وأن عليها التيجان، وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب» وروى الترمذي ذكر التيجان وأن أدنى لؤلؤة عن سويد بن نصر عن رشدين بن سعد عن عمرويه. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا محمد بن ادريس الحنظلي حدثنا أبو عتبة حدثنا إسماعيل بن عياش عن سعيد بن يوسف عن يحيى ابن أبي كثير عن أبي سلام الأسود قال سمعت: أبا أمامة يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «ما منكم من أحد يدخل الجنة إلا انطلق به إلى طوبي فتفتح له أكمامها فيأخذ من أي

ذلك شاء أبيض وإن شاء أحمر وإن شاء أخضر وإن شاء أصفر، وإن شاء أسود، ومثل شقائق النعمان وأرق وأحسن» قال ابن أبي الدنيا وحدثنا سويد عن سعيد حدثنا عبد ربه بن بارق الحنفي عن خالد الزميل أنه سمع أباه قال: «قلت لابن عباس ما حلل الجنة؟ قال فيها شجرة فيها ثمر كأنه الرمان فإذا أراد ولي الله كسوة انحدرت إليه من غصنها فانفلقت عن سبعين حلة ألواناً بعد ألوان، ثم تنطبق ترجع كما كانت» قال وحدثنا عبد الله بن أبي خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثني دراج أبو السمح أن أبا الهيثم حدثه عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ أن رجلاً قال له يا رسول الله «طوبى لمن رآك وآمن بك فقال طوبى لمن رآني وآمن بي وطوبى ثم طوبى ثم طوبى لمن آمن بي ولم يرني، فقال له رجل وما طوبى؟ قال شجرة في الجنة مسيرة مائة عام ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها» قال وحدثني يعقوب بن عبيد حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا حماد بن سلمة عن أبي المهزم قال قال أبو هريرة «دار المؤمن في الجنة لؤلؤة فيها شجرة تنبت الحلل فيأخذ الرجل بأصبعيه وأشار بالسبابة والإبهام - سبعين حلة ممنطقة باللؤلؤ والمرجان» قال وحدثنا حمزة بن العباس حدثنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا صفوان بن حمزة عن شريح بن عبيد قال قال كعب: «لو أن ثوباً من ثياب أهل الجنة لبس اليوم في الدنيا لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم» وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال عن بشر بن كعب أو غيره قال ذكر لنا أن الزوجة من أزواج الجنة لها سبعون حلة هي أرق من شقيقكم هذا يرى مخ ساقها من وراء اللحم» وفي الصحيحين عن أنس بن مالك قال: «أهدى أكيد ردومة إلى النبي ﷺ جبة من سندس فتعجب الناس من حسنها فقال لمناديل سعد في الجنة أحسن من هذا» وفي الحصيحين أيضاً من حديث البراء قال: «أهدي لرسول الله ﷺ ثوب حرير فجعلوا يعجبون من لينه فقال رسول الله ﷺ تعجبون من هذا؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا» ولا يخفى ما في ذكر سعد بن معاذ بخصوصه ههنا فإنه كان في الأنصار بمنزلة الصديق في المهاجرين واهتز لموته العرش وكان لا يأخذه في الله لومة لائم، وختم الله له بالشهادة وآثر رضا الله ورسوله على رضا قومه وعشيرته وحلفائه، ووافق حكمه الذي حكم به حكم الله فوق سبع سمواته ، ونعاه جبريل إلى النبي ﷺ يوم موته ، فحق له أن تكون مناديله التي يمسح بها يديه في الجنة أحسن من حلل الملوك .

(فصــــل)

ومن ملابسهم التيجان على رؤوسهم

ذكر البيهقيُ من حديث يعقوب بن حميـد بن|كاسب أنبأنا هشام بن سليمان عن عكرمة عن إسماعيل بن رافع عن سعيد المقبـري وزيد بن أسلم عن أبي هـريرة عن النبي ﷺ قال: «من قرأ القرآن فقام به آناء الليل والنهار ويحل حلاله ويحرم حرامه، خلطه اللّٰه بلحمه ودمه، وجعله رفيق السفرة الكرام البررة، إذا كان يوم القيامـة كان القرآن له حجيجاً، فقال يا رب كل عامل يعمل في الدنيا يأخـذ بعمله من الدنيـا إلا فلاناً كان يقوم في آناء الليل وأطراف النهار فيحل حلالي ويحرم حرامي يقول يا رب، فأعطه، فيتوجه اللّٰه تاج الملوك ويكسوه من حلة الكرامة ثم يقول هل رضيت؟ فيقول يا رب أرغب له في أفضل من هذا فيعطيه اللّٰه الملك بيمينه والخلد بشماله ثم يقول له هل رضيت؟ فيقول نعم يا رب» وذكر الإمام أحمد في المسند من حديث أبي بـريدة عن أبيه يرفعه «تعلموا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة، ثم سكت ساعة ثم قال: تعلموا سورة البقرة وآل عمـران فإنهمـا الزهـراوان؛ وإنهما يظلان صاحبهما يوم القيامة كـأنهما غمـامتان أو غيـايتان أو فـرقان من طيـر صواف، والقرآن يلقى صاحبه يوم القيامة حين ينشق عنه قبره كالرجل الشاحب فيقول له هـل تعرفني؟ فيقول له ما أعرفك، فيقول له القرآن أنا الذي أظمأتك في الهواجر وأسهرت ليلك، وأن كل تاجر من وراء تجارته وأنك اليـوم من وراء كل تجـارة فيعطى الملك بيمينه والخلد بشماله ويوضع على رأسه تاج الوقار ويكسي والداه حلتين لا تقوم لهما الدنيا فيقولان بم كسينا هذا؟ فيقال بأخذ ولدكما القرآن، ثم يقال له اقرأ واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعود ما دام يقرأ هدداً كـان أو ترتيـلاً» (البطلة) السحـرة (والغياية) ما أظل الإنسان فوقه. وقال عبد اللّٰه بن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعسد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «تلا قوله عز وجل ﴿جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب﴾ فقال إن عليهم التيجان أن أدنى لؤلؤة منها لتضيء ما بين المشرق والمغرب».

(فصل)

وأما الفرش فقد قال تعالى: ﴿متكئين على فرش بـطائنها من استبـرق﴾ وقال

تعالى: ﴿وفرش مرفوعة﴾ فوصف، الفرش بكونها مبطنة بالاستبرق وهذا يدل على أمرين (أحدهما) أن ظهائرها أعلى وأحسن من بطائنها لأن بطائنها للأرض وظهائرها للجمال والزينة والمباشرة قال سفيان الثوري عن أبي إسحاق عن أبي هبيرة بن مريم عن عبد الله في قوله بطائنها من استبرق قال هذه البطائن قد خبرتم بها فكيف بالظهائر؟ (الثاني) يدل على أنها فرش عالية لها سمك وحشويين البطانة والظهارة وقد روي في سمكها وارتفاعها آثار إن كانت محفوظة فالمرد ارتفاع محلها كلها رواه الترمذي من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم (في قوله ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال ارتفاعها كما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمسمائة عام) قال الترمذي حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قيل ومعناه إن الارتفاع المذكور للدرجات والفرش عليها قلت رشدين بن سعد عنده مناكير قال الدارقطني ليس بالقوي وقال أحمد لا يبالي عمن روى وليس به بأس في الرقاق وقال أرجو أنه صالح الحديث وقال يحيى بن معين ليس بشيء وقال أبو زرعة ضعيف وقال الجوزجاني: عنده مناكير ولا ريب أنه كان سيء الحفظ فلا يعتمد على ما ينفرد به وقد قال ابن وهب حدثنا عمرو بن الحارث عن دراج أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ (في قوله ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال ما بين الفراشين كما بين السماء والأرض) وهذا أشبه أن يكون هو المحفوظ فالله أعلم وقال لطبراني حدثنا المقدام بن داود حدثنا أسد بن موسى حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن مطرف عن عبد الله بن الشخير عن كعب (في قوله عز وجل ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال مسيرة أربعين سنة) قال الطبراني حدثنا إبراهيم بن نائلة حدثنا إسماعيل بن عمرو البجلي حدثنا إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة قال: «سئل رسول الله ﷺ عن الفرش المرفوعة قال لو طرح فراش من أعلاها لهوى إلى قرارها مائة خريف» وفي رفع هذا الحديث نظر فقد قال ابن أبي الدنيا حدثنا إسحاق بن إسماعيل حدثنا معاذ بن هشام قال وجدت في كتاب أبي عن القاسم عن أبي أمامة (في قوله عز وجل ﴿وفرش مرفوعة﴾ قال لو أن أعلاها سقط ما بلغ أسفلها أربعين خريفاً).

(فصل)

وأمـا البسط والزرابي فقـد قال تعـالى: ﴿متكئين على رفرف خضـر وعبقري حسان﴾ وقال تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة﴾ وذكـر هشام عن أبي بشـر عن سعيد بن جبيـر قال (الـرفرف) ريـاض الجنة و(العبقري) عتاق الزرابي وذكر إسماعيل بن علية عن أبي رجاء عن الحسن في قوله تعالى ﴿متكئين على رفرف خضر وعبقري حسان﴾ قال هي البسط قال وأهـل المدينـة يقولون هي البسط وأما النمارق فقال الواحدي هي الوسائد في قول الجميع واحدها نمرقة بضم النون وحكى الفراء نمرقة بكسرها وأنشد أبو عبيدة:

إذا مـا بسـاط اللهـو مـد وقـربـت   لـلذاتـه أنـمـاطـه ونـمـارقـه

قال الكلبي وسائد مصفوفة بعضها إلى بعض وقال مقاتل هو الوسائد مصفوفـة على الطنافس وزرابي بمعنى البسط والطنافس واحـدها زربيـة في قول جميـع أهل اللغة والتعبير ومبثوثة مبسوطة منشورة.

(فصل)

وأما الرفـرف فقال الليث ضـرب من الثياب خضـر تبسط الواحـد رفرفـة وقال أبو عبيدة الرفارف البسط وأنشد لابن مقبل:

وأنـا لـنـزالـون تـغـشـى نـعـالـنـا   سـواقط مـن أصنـاف ريط ورفـرف

وقال أبو إسحاق قالوا الرفرف ههنا رياض الجنة وقالوا الرفرف الوسائـد وقالـوا الرفرف المحابس وقالوا فضول المحابس للفرش وقال المبرد هو فضول الثيـاب التي تتخذ الملوك في الفرش وغيره قال الواحدي وكان الأقرب هذا لأن الغرب تسمى كسر الخباء والخرقة التي تخاط في أسفل الخباء رفرفاً ومنـه الحديث في وفـاة النبي ﷺ «فرفع الرفرف فرأينا وجهه كأنه ورقة» قال ابن الأعرابي الرفرف ههنـا طرف البسـاط فشبه ما فضل من المحابس عما تحته بطرف الفسطاط فسمي رفرفاً «قلت» أصل هذه الكلمة من الطرف أو الجانب فمنه الرفرف في الحائط ومنه الرفرف وهو كسر الخباء وجوانب الدرع وما تدلى منها، الواحدة رفرفة، ومنه رفرف الطير إذا حرك جناحه حول

الشيء يريد أن يقع عليه، والرفرف ثياب خضر يتخذ منها المحابس الواحدة رفرفة، وكل ما فضل من شيء فثنى وعطف فهو رفرف (وفي حديث ابن مسعود، في قوله عز وجل: ﴿لقد رأى من آيات ربه الكبرى﴾ قال رأى رفرفاً أخضر سد الأفق) وهو في الصحيحين.

(فصل)

وأما العبقري فقال أبو عبيدة كل شيء من البسط عبقري قال ويرون أنها أرض توشي فيها، وقال الليث عبقر موضع بالبادية كثير الجن يقال كأنهم جن عبقر قال أبو عبيدة في حديث النبي ﷺ حين ذكر عمر فلم أر عبقرياً يفري فريه، وإنما أصل هذا فيما يقال إنه نسب إلى عبقر وهي أرض يسكنها الجن فصار مثلاً منسوب إلى شيء رفيع وأنشد لزهير:

نخال عليها جبة عبقرية جديرون يوماً أن ينالوا فيستعلو

وقال أبو الحسن الواحدي وهذا القول هو الصحيح في العبقري وذلك أن العرب إذا بالغت في وصف شيء نسبته إلى الجن أو شبهته بهم ومنه قول لبيد * جن الندا رواسياً أقدامها * وقال آخر يصف امرأة.

جنية ولها جن يعلمها رمى القلوب بقوس ما لها وتر

وذلك أنهم يعتقدون في الجن كل صفة عجيبة وأنهم يأتون بكل أمر عجيب ولما كان عبقر معروفاً بسكناهم نسبوا كل شيء يبالغ فيه إليها يريدون بذلك أنه من عملهم وصنعهم هذا هو الأصل، ثم صار العبقري اسماً ونعتاً لكل ما بولغ في صفته ويشهد لما ذكرنا بيت زهير فإنه نسب الجن إلى عبقر ثم رأينا أشياء كثيرة نسبت إلى عبقر غير البسط والثياب كقوله في صفة عمر عبقرياً وروى سلمة عن الفراء قال العبقري السيد من الرجال وهو الفاخر من الحيوان والجوهر فلو كانت عبقر مخصوصة بالوشي لما نسب إليها غير الموشى وإنما ينسب إليها البسط الموشية العجيبة الصنعة كما ذكرنا كما نسب إليها كل ما بولغ في وصفه قال ابن عباس وعبقري يريد البسط والطنافس وقال الكلبي هي الطنافس المجملة وقال قتادة هي عتاق الزرابي وقال

مجاهد الديباج الغليظ وعبقري جمع واحده عبقرية ولهذا وصف بالجمع فتأمل كيف وصف الله سبحانه وتعالى الفرش بأنها مرفوعة والزرابي بأنها مبثوثة والنمارق بأنها مصفوفة فرفع الفرش دال على سمكها ولينها، وبث الزرابي دال على كثرتها وأنها في كل موضع لا يختص بها صدر المجلس دون مؤخره وجوانبه، وصف المساند يدل على أنها مهيأة للاستناد إليها دائماً ليست مخبأة تصف في وقت دون وقت والله أعلم.

الباب الحادي والخمسون
في ذكر خيامهم وسررهم وأرائكهم وبشخاناتهم

قال تعالى: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري عن النبي ﷺ قال أن «للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً، فيها أهلون يطوف عليهم المؤمن فلا يرى بعضهم بعضاً» وفي لفظ لهما «في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة عرضها ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن» وفي لفظ آخر لهما أيضاً «الخيمة درة طولها في السماء ستون ميلاً في كل زاوية منها أهل للمؤمن لا يراهم الآخرون» وللبخاري وحده في لفظ «طولها ثلاثون ميلاً» وهذه الخيم غير الغرف والقصور بل هي خيام في البساتين وعلى شواطيء الأنهار وقال ابن أبي الدنيا حدثنا الحسين بن عبد الرحمن عن أحمد بن أبي الحواري قال سمعت أبا سليمان قال: «ينشأ خلق الحور العين أنشأ، فإذا تكامل خلقهن ضربت عليهم الملائكة الخيام» وقال بعضهم لما كن أبكاراً وعادة البكر أن تكون مقصورة في خدرها حتى يأخذها بعلها، أنشأ الله تعالى الحور وقصرهن في خدور الخيام حتى يجمع بينهن وبين أوليائه في الجنة وقال ابن أبي الدنيا حدثنا إسحاق حدثنا وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم بن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة، ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك، لا مزجات ولا زفرات ولا بخرات ولا طماحات، حور عين كأنهن بيض مكنون» حدثنا علي بن الجعد حدثنا شعبة عن عبد الملك بن ميسرة قال سمعت أبا الأحوص يحدث عن عبد الله بن مسعود (في قوله تعالى ﴿حور مقصورات في

الخيام﴾ قال در مجوف) وقال عبد الله بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي عن قتادة عن خليد القصري عن أبي الدرداء قال: «الخيمة لؤلؤة واحدة لها سبعون باباً كلها من درة» قال ابن المبارك وأخبرنا همام عن قتادة عن عركة عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال: «الخيمة درة مجوفة فرسخ في فرسخ لها أربعة آلاف مصراع من ذهب» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الوهاب حدثنا شريك عن منصور عن مجاهد «حور مقصورات في الخيام قال في خيام اللؤلؤ والخيمة لؤلؤة واحدة» حدثني محمد بن جعفر حدثنا منصور حدثنا يوسف بن الصباح عن أبي صالح عن ابن عباس حور مقصورات في الخيام قال الخيمة درة من لؤلؤة مجوفة طولها فرسخ وعرضها فرسخ. ولها ألف باب من ذهب حولها سرادق دوره خمسون فرسخاً يدخل عليه من كل باب منها ملك بهدية من عند الله عز وجل، وذلك قوله ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كل باب﴾ والله أعلم وأما السرر فقال تعالى: ﴿متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين﴾ وقال تعالى: ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين على سرر موضونة متكئين عليها متقابلين﴾ وقال تعالى: ﴿فيها سرر مرفوعة﴾ فأخبر تعالى عن سررهم بأنها مصفوفة بعضها إلى بعض بعض ليس بعضها خلف بعض ولا بعيداً من بعض وأخبر أنها موضونة والوضن في اللغة النضيد والنسج المضاعف يقال وضن فلان الحجر والآجر بعضه فوق بعض فهو موضون وقال الليث الوضن نسج السرير وأشباهه ويقال درع موضونة مقاربة النسخ وقال رجل من العرب لامرأته ضني متاع البيت أي قاربي بعضه من بعض قال أبو عبيدة والفراء والمبرد وابن قتيبة موضونة منسوجة مضاعفة متداخلة بعضها على بعض كما توضن حلق الدرع ومنه سمي الوضين وهو نطاق من سيور تنسج فيدخل بعضها في بعض وأنشدوا للأعشى:

ومن نسج داود موضونة تساق مع الحي عيراً فعيراً

قالوا موضونة منسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد قال هشيم أنبأنا حصين عن مجاهد عن ابن عباس قال مرمولة بالذهب وقال مجاهد موصولة بالذهب وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس موضونة مصفوفة فاخبر سبحانه أنها مرفوعة قال عطاء عن ابن عباس قال سرر من ذهب مكللة بالزبرجد والدر والياقوت والسرير مثل ما بين مكة وأيلة وقال الكلبي طول السرير في السماء مائة ذراع

فإذا أراد الرجل أن يجلس عليه تواضع له حتى يجلس عليه فإذا جلس عليه ارتفع إلى مكانه.

(فصل)

(وأما الأرائك) فهي جمع أريكة قال مجاهد عن ابن عباس «متكئين فيها على الأرائك» قال لا تكون أريكة حتى يكون السرير في الحجلة فإذا كان سريراً بغير حجلة لا يكون أريكة وإن كانت حجلة بغير سرير لم تكن أريكة ولا تكون أريكة إلا والسرير في الحجلة فإذا اجتمعا كانت أريكة وقال مجاهد هي الأسرة في الحجال قال الليث الأريكة سرير حجلة والسرير أريكة وجمعها أرائك وقال أبو إسحاق الأرائك الفرش في الحجال قلت ها هنا ثلاثة أشياء (أحدها) السرير و (الثانية) الحجلة وهي البشخانة التي تعلق فوقه و (الثالث) الفراش الذي على متخذ مزين في قبة أو بيت فإذا لم يكن فيه سرير فهو حجلة والجمع الأرائك وفي الحديث أن خاتم النبي ﷺ كان مثل زر الحجلة وهو الزر الذي يجمع بين طرفيها من جملة أزرارها والله أعلم.

الباب الثاني والخمسون
في ذكر خدمهم وغلمانهم

قال تعالى: ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس من معين﴾ وقال تعالى: ﴿ويطوف عليهم ولدان مخلّدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً﴾ قال أبو عبيدة والفراء مخلدون لا يهرمون ولا يتغيرون قال والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط إنه لمخلد وإذا لم تذهب أسنانه من الكبر قيل هو مخلد، وقال آخرون مخلدون مقرطون مسورون أي في آذانهم القرطة وفي أيديهم الأساور وهذا اختيار ابن الأعرابي قال مخلدون مقرطون بالخلدة وجمعها خلد وهي القرطة، وروى عمرو عن أبيه خلد جاريته إذا حلاها بالخلد وهي القرطة، وخلد إذا أسن ولم يشب وكذلك قال سعيد بن جبير مقرطون واحتج هؤلاء بحجتين (إحداهما) أن الخلود عام لكل من دخل الجنة فلا بد أن تكون الولدان موصوفين بتخليد مختص بهم وذلك هو القرطة (الحجة الثانية) قول الشاعر:

ومـخـلـدات بـالـلـجـيـن كـأنـمـا أعـجـازهـن رواكـد الـكـثـبـان

وقال الأولون الخلد هو البقاء قال ابن عباس غلمان لا يموتـون وقول تـرجمان القرآن في هذا كاف وهو قول مجاهد والكلبي ومقاتل قالوا لا يكبرون ولا يهرمون ولا يتغيرون وجمعت طائفة بين القولين، وقالوا هم ولدان لا يعرض لهم الكبر والهرم وفي آذانهم القـراطة فمن قـال مقرطـون أراد هذا المعنى أن كـونهم ولدان أمـر لازم لهم وشبههم سبحانه باللؤلؤ المنثور لما فيه من البيـاض وحسن الخلفه وفي كـونه منثـوراً فائدتان (إحداهما) الدلالة على أنهم غير معطلين بل مبثوثون في خدمتهم وحوائجهم و (الثاني) أن اللؤلؤ إذا كان منثوراً ولا سيما على بساط من ذهب أو حرير كان أحسن لمنظره وأبهى من كونه مجموعاً في مكان واحد وقد اختلف في هؤلاء الولدان هل هم من ولدان الدنيا أم أنشأهم اللّٰه في الجنة إنشاء على قولين؟ فقال علي بن أبي طالب والحسن البصـري هم أولاد المسلمين الذي يمـوتـون ولا حسنـة لهم ولا سيئـة لهم يكونون خدم أهل الجنة وولدانهم إذ الجنة لاولاد فيها قال الحاكم أنا عبد الرحمن بن الحسن ثنـا إبراهيم بن الحسـين ثنا آدم ثنـا المبـارك بن فضـالـة عن الحسن (في قـولـه ﴿ولدان مخلدون﴾ قال لم يكن لهم حسنات ولا سيئات فيعاقبون عليها فوضعوا بهذا الموضع» ومن أصحاب هذا القول من قال هم أطفال المشركين فجعلهم اللّٰه خـدماً لأهل الجنة واحتج هؤلاء بما رواه يعقوب بن عبد الرحمن الفاري عن أبي حازم قال المديني عن يزيد الرقاشي عن أنس عن النبي ﷺ قال: «سألت ربي اللاهين من ذرية البشر أن لا يعذبهم فاعطانيهم فهم خدم أهل الجنـة» يعني الأطفال قـال الدارقـطني ورواه عبد العزيز الماجشون عن ابن المنكدر عن يزيد الـرقاشي عن النبي ﷺ انتهى ورواه فضيـل بن سليمان عن عبـد الرحمن بن إسحـاق عن الزهـري عن أنس وهـذه الـطرق ضعيفة فيـزيد واه وفضيـل بن سليمان متكلم فيـه وعبد الـرحمن بن إسحـاق ضعيـف قال ابن قتيبة واللاهون من لهيت عن الشيء إذا غفلت عنه وليس هو من لهوت وأصحاب القول الأول لا يقولون أن هؤلاء أولاد لأهـل الجنة فيهـا وإنما يقـولون هم غلمـان أنشأهم اللّٰه في الجنـة كما أنشـأ الحور العين قـالوا وأمـا ولدان أهـل الدنيـا فيكونون يوم القيامة أبناء ثلاث وثلاثين لمـا رواه ابن وهب أنبأنـا عمرو بن الحـارث أن دارجاً أبا السمح حدثه عن أبي سعيد قال قال رسول اللّٰه ﷺ «من مات من أهـل الجنة من صغير أو كبير يردون بني ثلاثين سنة في الجنة لا يزيدون عليها أبداً وكذلك

أهل النار» رواه الترمذي والأشبه أن هؤلاء الولدان مخلوقين من الجنة كـالحور العين خدماً لهم وغلماناً كما قال تعالى : ﴿ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ وهؤلاء غير أولادهم فإن من تمام كرامة الله تعالى لهم أن يجعـل أولادهم مخدومين معهم ولا يجعلهم غلمـاناً لهم وقـد تقدم في حـديث أنس عن النبي ﷺ : «أنـا أول الناس خروجـاً إذا بعثوا وفيـه يطوف على ألف خـادم كأنهم لؤلؤ مكنـون» والمكنون المستور المصون الذي لم تبتذلـه الأيادي وإذا تـأملت لفظة الـولدان ولفـظة ويطوف عليهم واعتبرتها بقوله ويطوف عليهم غلمان لهم وضممت ذلك إلى حديث أبي سعيد المذكور آنفاً علمت أن الولدان غلمان أنشأهم الله تعالى في الجنة خدماً لأهلها والله أعلم

الباب الثالث والخمسون

في ذكر نساء أهل الجنة وأصنافهن وحسنهن وأوصافهن وجمالهن الظاهر والباطن الذي وصفهن الله تعالى به في كتابه

قال تعالى : ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجـري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبـل وأتوا بـه متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ فتأمل جلالة المبشر ومنزلته وصدقه وعظمة من أرسله إليك بهذه البشارة وقدر ما بشرك بـه وضمنه لـك على أسهل شيء عليك وأيسره وجمع سبحانه في هذه البشـارة بين نعيم البدن بـالجنات ومـا فيها من الأنهار والثمار ونعيم النفس بالأزواج المطهرة ونعيم القلب وقرة العين بمعرفة دوام هذا العيش أبد الآباد وعدم انقطاعه، والأزواج جمع زوج والمرأة زوج للرجل وهو زوجها هذا هو الأفصح وهو لغة قريش وبها نزل القرآن كقوله ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ ومن العرب من يقول زوجة وهو نادر لا يكادون يقولونه وأما المطهرة فإن جرت صفة على الواحد فيجري صفة على جمع التكسير إجراء له مجرى جماعـة كقولـه تعالى ﴿مساكن طيبة﴾ ﴿وقرى ظاهرة﴾ ونظائره، والمطهرة من طهرت من الحيض والبول والنفاس والغائط والمخاط والبصاق وكل قذر وكل أذى يكون من نساء الدنيا فطهر مع ذلك باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة وطهر لسانها من الفحش والبـذاء

وطهر طرفها من أن تطمح به إلى غير زوجها وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ قال عبد الله بن المبارك ثنا شعبة عن قتادة عن أبي نظرة عن أبي سعيد عن النبي ﷺ «لهم فيها أزواج مطهرة، قال من الحيض والغائط والنخامة والبصاق» وقال عبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس مطهرة لا يحضن ولا يحدثن ولا يتنخمن، وقال ابن عباس أيضاً مطهرة من القذر والأذى، وقال مجاهد لا يبلن ولا يتغوطن ولا يمذين ولا يمنين ولا يحضن ولا يبصقن ولا يتنخمن ولا يلدن، وقال قتادة مطهرة من الإثم والأذى طهرهن الله سبحانه من كل بول وغائط وقذر ومأثم، وقال عبد الرحمن بن زيد المطهرة التي لا تحيض وأزواج الدنيا لسن لمطهرات ألا تراهن يدمين ويتركن الصلاة والصيام؟ قال وكذلك خلقت حواء حتى عصت فلما عصت قال الله إني خلقتك مطهرة وسأدميك كما دميت هذه الشجرة، وقال تعالى: **﴿إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس واستبرق متقابلين، كذلك وزوجناهم بحور عين، يدعون فيها بكل فاكهة آمنين، لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم ربهم عذاب الجحيم﴾** فجمع لهم بين حسن المنزل وحصول الأمن فيه من كل مكروه واشتماله على الثمار والأنهار وحسن اللباس وكمال العشرة لمقابلة بعضهم بعضاً وتمام اللذة بالحور العين ودعائهم بجميع أنواع الفاكهة مع أمنهم من انقطاعها ومضرتها وغائلتها وختام ذلك أعلمهم بأنهم لا يذوقون فيها هناك موتاً والحور جمع حوراء وهي المرأة الشابة الحسناء الجميلة البيضاء شديدة سواد العين وقال زيد بن أسلم الحوراء التي يحار فيها الطرف، وعين حسان الأعين، وقال مجاهد الحوراء التي يحار فيها الطرف من رقة الجلد وصفاء اللون وقال الحسن الحوراء شديدة بياض العين شديدة سواد العين، واختلف في اشتقاق هذه اللفظة فقال ابن عباس الحور في كلام العرب البيض وكذلك قال قتادة الحور البيض وقال مقاتل الحور البيض الوجوه وقال مجاهد الحور العين التي يحار فيهن الطرف بادياً مخ سوقهن من وراء ثيابهن ويرى الناظر وجهه في كبد إحداهن كالمرأة من رقة الجلد وصفاء اللون وهذا من الاتفاق وليست اللفظة مشتقة من الحيرة وأصل الحور البياض والتحوير التبييض والصحيح أن الحور مأخوذ من الحور في العين وهو شدة بياضها مع قوة سوادها فهو يتضمن الأمرين وفي الصحاح الحور شدة بياض العين في شدة سوادها امرأة حوراء بينة الحور وقال أبو عمرو والحور أن تسود العين كلها مثل أعين

الظباء والبقر وليس في بني آدم حور وإنما قيل للنساء حور العين لأنهن شبهن بالظباء والبقر وقال الأصمعي ما أدري ما الحور في العين قلت خالف أبو عمر وأهل اللغة في اشتقاق اللفظة ورد الحور إلى السواد والناس غيره إنما ردوه إلى البياض أو إلى بياض في سواد، والحور في العين معنى يلتئم من حسن البياض والسواد وتناسبهما واكتساب كل واحد منهما الحسن من الآخر عين حوراء إذا اشتد بياض أبيضها وسواد أسودها ولا تسمى المرأة حوراء حتى يكون مع حور عينها بياض لون الجسد والعين جمع عيناء وهي العظيمة العين من النساء ورجل أعين إذا كان ضخم العين وامرأة عيناء والجمع عين والصحيح أن العين اللاتي جمعت أعينهن صفات الحسن والملاحة، قال مقاتل العين حسان الأعين ومن محاسن المرأة اتساع عينها في طول، وضيق العين في المرأة من العيوب وإنما يستحب الضيق منها في أربعة مواضع فمها وخرق أذنها وأنفها وما هنالك، ويستحب السعة منها في أربعة مواضع وجهها وصدرها وكاهلها وهو ما بين كتفيها، وجبهتها، ويستحسن البياض منها في أربعة مواضع لونها وفرقها وثغرها وبياض عينها ويستحب السواد منها في أربعة مواضع عينها وحاجبها وهدبها وشعرها، ويستحب الطول منها في أربعة قوامها وعنقها وشعرها وبنانها ويستحب القصر منها في أربعة وهي معنوية لسانها ويدها ورجلها وعينها، فتكون قاصرة الطرف قصيرة الرجل واللسان عن الخروج وكثرة الكلام قصيرة اليد عن تناول ما يكره الزوج وعن بذله، وتستحب الرقة منها في أربعة خصرها وفرقها وحاجبها وأنفها.

(فصل)

وقوله تعالى: ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ قال أبو عبيدة جعلناهم أزواجاً كما يزوج النعل بالنعل جعلناهم اثنين اثنين وقال يونس قرناهم بهن وليس من عقد التزويج قال والعرب لا تقول تزوجت بها وإنما تقول تزوجتها قال ابن نصر هذا والتنزيل يدل على ما قاله يونس وذلك قوله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها﴾ ولو كان على تزوجت بها لقال زوجناك بها وقال ابن سلام تميم تقول تزوجت امرأة وتزوجت بها وحكاه الكسائي أيضاً وقال الأزهري تقول العرب زوجته امرأة وتزوجت امرأة وليس من كلامهم تزوجت بامرأة وقوله تعالى: ﴿وزوجناهم بحور عين﴾ أي قرناهم

وقال الفراء هي لغة في ازدشنوؤة قال الـواحدي وقـول أبي عبيدة في هـذا أحسن لأنه جعله من التزويج الذي هو بمعنى جعل الشيء زوجاً لا بمعنى عقد النكاح ومن هذا يجوز أن يقال كان فرداً فزوجته بآخر كما يقال شفعته بآخر وإنما تمتنع الباء عنـد من يمنعها إذا كان بمعنى عقد التزويج «قلت» ولا يمتنع أن يراد الأمران معاً فلفظ التزويج يدل على النكاح كمـا قال مجـاهد أنكحنـاهم الحور ولفظ البـاء تدل على الاقتـران والضم وهذا أبلغ من حذفها والله أعلم * وقال تعالى: ﴿فيهن قاصـرات الطرف لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان فبأي آلاء ربكما تكذبان كـأنهن الياقـوت والمرجـان﴾ وصفهن سبحانه بقصر الطرف في ثلاثة مواضع (أحدها) هذا والثاني قوله تعـالى في الصافات ﴿وعندهم قاصرات الطرف عين﴾ و (الثالث) قوله تعالى في ص ﴿وعندهم قـاصرات الـطرف أتراب﴾ والمفسـرون كلهم على أن المعنى قصـرن طـرفهن على أزواجهن فـلا يطمحن إلى غيـرهم وقيل قصـرن طرف أزواجهن عليهن فـلا يـدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن وهذا صحيح من جهـة المعنى وأما من جهة اللفظ فقاصرات صفة مضافة إلى الفاعل لحسان الوجوه وأصله قاصر طرفهن أي لبس بطامح متعد قال آدم حـدثنا ورقـاء عن أبي نجيح عن مجـاهد في قـوله ﴿قـاصرات الطرف﴾ قال يقول قاصرات الطرف على أزواجهن فلا يبغين غير أزواجهن قـال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال: قصـرن طرفهن على أزواجهن فـلا يردن غيرهم والله ما هن متبرجات ولا متطلعات، وقال منصور عن مجاهد قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، وفي تفسير سعيـد عن قتادة قـال وقصرن أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم وأما الأتراب فجمع تـرب وهو لـدة الإنسان قال أبـو عبيدة وأبـو إسحاق أقـران أسنانهن واحـدة، قال ابن عبـاس وسائـر المفسرين مستويات على سن واحد وميلاد واحد بنات ثلاث وثلاثين سنة وقال مجاهد أتراب أمثال قال أبو إسحاق هن في غاية الشباب والحسن وسمى سن الإنسان وقرنه تربه لأنه مس تراب الأرض معه في وقت واحد والمعنى من الأخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن ولا ولائد لا يطقن الوطء بخلاف الذكور فإن فيهم الولدان وهم الخدم وقد اختلف في مفسر الضمير في قوله فيهن فقـالت طائفـة مفسرة الجنتان وما حوتاه من القصور والغـرف والخيام وقـالت طائفـة مفسرة الفـرش المذكور في قوله ﴿متكئين على فرش بطائنها من استبرق﴾ وفي بمعنى على، وقوله

تعالى: ﴿لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان﴾ قال أبو عبيدة لم يمسهن يقال ما طمث هذا البعير حبل قط أي ما مسه وقال يونس تقول العرب هذا جمل ما طمثه حبل قط أي ما مسه وقال الفراء الطمث الافتضاض وهو النكاح بالتدمية، والطمق هو الدم وفيه لغتان طمث يطمث ويطمث قال الليث طمثت الجارية إذا افترعتها والطامث في لغتهم هي الحائض قال أبو الهيثم يقال للمرأة طمثت تطمث إذا أدميت بالافتضاض وطمثت على فعلت تطمث إذا حاضت أول ما تحيض فهي طامث، وقال في قول الفرزدق:

خرجن إلي لم يطمثن قبلي   وهن أصح من بيض النعام

أي لم يمسسن قال المفسرون لم يطأهن ولم يغشهن ولم يغشهن ولم يجامعهن هذه الفاظهم وهم مختلفون في هؤلاء فبعضهم يقول هن اللواتي انشئن في الجنة من حورها وبعضهم يقول يعني نساء الدنيا أنشئن خلقاً آخر أبكاراً كما وصفن قال الشعبي نساء من نساء الدنيا لم يمسسن منذ أنشئن خلقاً وقال مقاتل لأنهن خلقن في الجنة، وقال عطاء عن ابن عباس هن الآدميات اللاتي متن أبكاراً وقال الكلبي لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه أنس ولا جان قلت ظاهر القرآن أن هؤلاء النسوة لسن من نساء الدنيا وإنما هن من الحور العين، وأما نساء الدنيا فقد طمثهن الأنس ونساء الجن قد طمثهن الجن والآية تدل على ذلك قال أبو إسحاق وفي هذه الآية دليل على أن الجن يغشى كما أن الأنس يغشى ويدل على أنهن الحور اللاتي خلقن في الجنة أنه سبحانه جعلهن مما أعده الله في الجنة لأهلها من الفواكه والثمار والأنهار والملابس وغيرها ويدل عليه أيضاً الآية التي بعدها وهي قوله تعالى ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ ثم قال ﴿لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان﴾ قال الإمام أحمد والحور العين لا يمتن عند النفخة للصور لأنهن خلقن للبقاء وفي الآية دليل لما ذهب إليه الجمهور أن مؤمن الجن في الجنة كما أن كافرهم في النار وبوب عليه البخاري في صحيحه فقال باب ثواب الجن وعقابهم، ونص عليه غير واحد من السلف قال ضمرة بن حبيب وقد سئل هل للجن ثواب فقال نعم وقرأ هذه الآية ثم قال الأنسيات للأنس والجنيات للجن، وقال نجاهد في هذه الآية إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه والضمير في قوله (قبلهم) للمعنيين بقوله متكئين وهم أزواج هؤلاء النسوة وقوله ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ قال الحسن وعامة المفسرين

أراد صفاء الياقوت في بياض المرجان شبههن في صفاء اللون وبياضه بالياقوت والمرجان ويدل عليه ما قاله عبد اللّه أن المرأة من نساء أهل الجنة لتلبس عليها سبعين حلة من حرير فيرى بياض ساقيها من ورائهن ذلك بأن اللّه يقول ﴿كأنهن الياقوت والمرجان ألا وأن الياقوت حجر لو جعلت فيه سلكاً ثم استصفيته نظرت إلى السلك من وراء الحجر.

(فصل)

وقال تعالى في وصفهن ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ المقصورات المحبوسات قال أبو عبيدة خدرن في الخيام وكذلك قال مقاتل وفيه معنى آخر وهو أن يكون المراد أنهن محبوسات على أزواجهن لا يرون غيرهم وهم في الخيام، وهذا معنى قول من قال قصرن على أزواجهن فلا يردن غيرهم ولا يطمحن إلى من سواهم وذكره الفراء «قلت» وهذا معنى ﴿قاصرات الطرف﴾ لكن أولئك قاصرات بأنفسهن وهؤلاء مقصورات وقوله في الخيام على هذا القول صفة لحور أي هن في الخيام وليس معمولاً لمقصورات وكأن أرباب هذا القول فسروا بأن يكن محبوسات في الخيام لا تفارقنها إلى الغرف والبساتين، وأصحاب القول الأول يجيبون عن هذا بأن اللّه سبحانه وصفهن بصفات النساء المخدرات المصونات وذلك أجمل في الوصف ولا يلزم من ذلك أنهن لا يفارقن الخيام إلى الغرف والبساتين كما أن نساء الملوك ودونهم من النساء المخدرات المصونات لا يمنعن أن يخرجن في سفر وغيره إلى منتزه وبستان ونحوه، فوصفهن اللازم لهن القصر في البيت ويعرض لهن مع الخدم الخروج إلى البساتين ونحوها، وأما مجاهد فقال مقصورات قلوبهن على أزواجهن في خيام اللؤلؤ وقد تقدم وصف النسوة الأول بكونهن قاصرات الطرف وهؤلاء بكونهن مقصورات والوصفان لكلا النوعين فأنهما صفتا كمال فتلك الصفة قصر الطرف عن طموحه إلى غير الأزواج وهذه الصفة قصر الرجل على التبرج والبروز والظهور للرجال.

(فصل)

وقال تعالى ﴿فيهن خيرات حسان﴾ فالخيرات جمع خيرة وهي مخففة من خيره

كسيدة ولينة وحسان جمع حسنة فهن خيرات الصفات والأخلاق والشيم، حسان الوجوه قال وكيع حدثنا سفيان عن جابر عن القاسم عن أبي بزة عن أبي عبيدة عن مسروق عن عبد الله قال: «لكل مسلم خيرة ولكل خيرة خيمة ولكل خيمة أربعة أبواب يدخل عليها في كل يوم من كل باب تحفة وهدية وكرامة لم تكن قبل ذلك لا ترحات ولا ذفرات ولا بخرات ولا طماحات».

(فصل)

وقال تعالى ﴿إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أتراباً لاصحاب اليمين﴾ أعاد الضمير إلى النساء ولم يجر لهن ذكر لأن الفرش دلت عليهن إذ هي محلهن وقيل الفرش في قوله ﴿وفرش مرفوعة﴾ كناية عن النساء كما يكنى عنهن بالقوارير والأرز وغيرها ولكن قوله مرفوعة يأبى هذا إلا أن يقال المراد رفعة القدر وقد تقدم تفسير النبي ﷺ للفرش وارتفاعها، فالصواب أنها الفرش نفسها ودلت على النساء لأنها محلهن غالباً قال قتادة وسعيد بن جبير خلقناهن خلقاً جديداً وقال ابن عباس يريد نساء الآدميات وقال الكلبي ومقاتل يعني نساء أهل الدنيا العجز الشمط يقول تعالى خلقناهن بعد الكبر والهرم بعد الخلق الأول في الدنيا، ويؤيد هذا التفسير حديث أنس المرفوع «هن عجائزكم العمش الرمض» رواه الثوري عن موسى بن عبيدة عن يزيد الرقاشي عنه ويؤيده ما رواه يحيى الحماني حدثنا ابن إدريس عن ليث عن مجاهد عن عائشة أن رسول الله ﷺ «دخل عليها وعندها عجوز فقال من هذه؟ فقالت إحدى خالاتي قال أما إنه لا يدخل الجنة العجوز، فدخل على العجوز من ذلك ما شاء الله فقال النبي ﷺ «أنا أنشأناهن إنشاء» خلقاً آخر يحشرون يوم القيامة حفاة عراة غرلا وأول من يكسى إبراهيم خليل الله، ثم قرأ النبي ﷺ ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ قال آدم بن أبي أياس حدثنا شيبان عن الزهري عن جابر الجعفي عن يزيد بن مرة عن سلمة بن يزيد قال سمعت رسول الله ﷺ يقول في قوله ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ قال يعني الثيب والإبكار اللاتي كن في الدنيا قال آدم وحدثنا المبارك بن فضالة عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ «لا يدخل الجنة العجز فبكت عجوز فقال رسول الله ﷺ أخبروها أنها يومئذ ليست بعجوز إنها يومئذ شابة إن الله عز وجل يقول ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ وقال ابن أبي شيبة حدثنا أحمد بن طارق حدثنا مسعدة بن اليسع

حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن سعيد بـن المسيب عن عائشة «أن النبي ﷺ أتته عجوز من الأنصـار فقالت يـا رسول اللّٰه أدع اللّٰه أن يـدخلني الجنة، فقـال نبي اللّٰه ﷺ إن الجنة لا يدخلها عجوز، فذهب نبي اللّٰه ﷺ فصلى ثم رجع إلى عـائشة فقالت عائشة لقد لقيت من كلمتك مشقة وشـدة. فقال ﷺ إن ذلـك كذلـك إن اللّٰه تعالى إذا أدخلهن الجنة حولهن أبكار!» وذكر مقاتل قولاً آخر وهو اختيار الزجاج أنهن الحور العين التي ذكرهن، قيل أنشأهن اللّٰه عز وجل لأوليـائه لم يقـع عليهن ولادة» والظاهر أن المراد أنشأهن اللّٰه تعالى في الجنة إنشاء ويدل عليه وجوه (أحدها) أنه قد قال في حق السابقين ﴿يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب (إلى قوله) كـأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ فذكر سررهم وانيتهم وشرابهم وفاكهتهم وطعامهم وأزواجهم من الحور العين ثم ذكر أصحاب الميمنة وطعامهم وشرابهم وفرشهم ونساءهم والظاهر أنهن مثل نساء من قبلهم خلقن في الجنة (الثاني) أنه سبحانه قال ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ وهذا ظاهر أنه إنشاء أول لا ثان لأنه سبحانه حيث يريد الإنشاء الثاني يقيده بذلك كقوله ﴿وأن عليه النشـأة الأخرى﴾ وقـوله (ولقـد﴾ علمتم النشأة الأولى (الثـالث) أن الخطاب بقـولـه ﴿وكنتم أزواجاً ثلاثة﴾ إلى آخره للذكور والإناث والنشأة الثانية أيضاً عـامة للنـوعين وقوله ﴿إنا أنشأناهن إنشاء﴾ ظاهره اختصاصهن بهذا الإنشاء وتأمل تأكيده بالمصـدر والحديث لا يدل على اختصاص العجائـز المذكـورات بهذا الـوصف بل يـدل على مشاركتهن للحور العين في هذه الصفات المذكورة فلا يتوهم انفراد الحور العين عنهن بما ذكر من الصفـات بل هي أحق بـه منهن فالإنشـاء واقع على الصنفين واللّٰه أعلم وقوله (عرباً) جمع عروب وهن المتحببات إلى أزواجهن قال ابن الأعرابي العروب من النساء المطيعة لزوجها المتحببة إليه وقال أبـو عبيدة العـروب الحسنة التبعـل «قلت» يريد حسن مواقعتها وملاطفتها لزوجها عند الجماع وقال المبرد هي العاشقة لـزوجها وأنشد للبيد:

وفي الحـدوج[1] عـروب غيـر فـاحشـة   ريـا الـروادف يعشى دونهـا الـبصـر

وذكـر المفسـرون في تفسيـر «العـرب» أنهن العـواشق المتحببـات الغنجـات الشكلات المتعشقات الغلمات المغنوجات كل ذلك من ألفاظهم وقـال البخاري في

---

(١) الحدوج جمع حدج وهي مراكب النساء.

صحيحه عرباً مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة «والعرب» المتحببات إلى أزواجهن هكذا ذكره في كتاب بدء الخلق وقال في كتاب التفسير في سورة الواقعة عرباً مثقلة وأحدها عروب مثل صبور وصبر تسميها أهل مكة العربة وأهل المدينة الغنجة وأهل العراق الشكلة قلت فجمع سبحانه بين حسن صورتها وحسن عشرتها وهذا غاية ما يطلب من النساء وبه تكمل لذة الرجل بهن وفي قوله ﴿لم يطمثهن أنس قبلهم ولا جان﴾ اعلام بكمال اللذة بهن فإن لذة الرجل بالمرأة التي لم يطأها سواه لها فضل على لذته بغيرها وكذلك هي أيضاً.

(فصل)

وقال تعالى ﴿إن للمتقين مفازاً حدائق وأعناباً وكواعب أتراباً ﴾ فالكواعب جمع كاعب وهي الناهد قال قتادة ومجاهد والمفسرون قال الكلبي هن الفلكات اللواتي تكعب ثديهن وتلفكت وأصل اللفظة من الاستدارة والمراد أن ثديهن نواهد كالرمان ليست متدلية إلى أسفل ويسمين نواهد وكواعب.

(فصل)

روى البخاري في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول اللّه ﷺ قال: «لغدوة في سبيل اللّه أو روحة خير من الدنيا وما فيها ولقاب قوس أحدكم أو موضع قيده يعني سوطه من الجنة خير من الدنيا وما فيها. ولو اطلعت امرأة من نساء أهل الجنة إلى الأرض لملأت ما بينهما ريحاً ولأضاءت ما بينهما، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها» وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ «أن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر، والتي تليها على أضواء كوكب دري في السماء ولكل امرئ منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم وما في الجنة أعزب» وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة حدثنا يونس عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ «للرجل من أهل الجنة زوجتان من الحور العين على كل واحدة سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء الثياب» وقال الطبراني حدثنا بكر بن سهل

الدمياطي حدثنا عمرو بن هشام البيروني حدثنا سليمان بن أبي كريمة عن هشام بن حسان عن الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: «قلت يا رسول اللّه أخبرني عن قول اللّه عز وجل (حور عين) قال حور بيض عين ضخام العيون شقر الحوراء بمنزلة جناح النسر، قلت أخبرني عن قوله عز وجل ﴿كأنهم لؤلؤ مكنون﴾ قال صفاؤهن صفاء الدر الذي في الأصداف الذي لم تمسه الأيدي، قلت يا رسول اللّه أخبرني عن قوله عز وجل ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال خيرات الأخلاق حسان الوجوه، قلت يا رسول اللّه أخبرني عن قوله عز وجل ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ قال رقتهن كرقة الجلد الذي رأيته في داخل البيضة مما يلي القشر وهو الغرقيء قلت يا رسول اللّه أخبرني عن قوله عز وجل ﴿عرباً أتراباً﴾ قال هن اللواتي قبضن في دار الدنيا عجائز رمضاً شمطاً خلقهن اللّه بعد الكبر فجعلهن عذارى عرباً متعشقات متحببات أتراباً على ميلاد واحد، قلت يا رسول اللّه نساء الدنيا أفضل أم الحور العين؟ قال بل نساء الدنيا أفضل من الحور كفضل الظهارة على البطانة قلت يا رسول اللّه وبم ذلك؟ قال بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن اللّه تعالى ألبس اللّه وجوههن النور وأجسادهن الحرير بيض الألوان خضر الثياب صفر الحلى مجامرهن الدر وأمشاطهن الذهب يقلن نحن الخالدات فلا نموت ونحن الناعمات فلا نبأس أبداً، ونحن المقيمات فلا نظعن أبداً ونحن الراضيات فلا نسخط أبداً، طوبى لمن كنا له وكان لنا، قلت يا رسول اللّه المرأة منا تتزوج زوجين أو ثلاثة أو أربعة ثم تموت فتدخل الجنة ويدخلون معها. من يكون زوجها؟ قال يا أم سلمة أنها تخير فتختار أحسنهم خلقاً فتقول أي رب إن هذا كان أحسنهم معي خلقاً في دار الدنيا فزوجنيه، يا أم سلمة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة» تفرد به سليمان بن أبي كريمة ضعفه أبو حاتم وقال ابن عدي عامة أحاديثه مناكير ولم أر للمتقدمين فيه كلاماً ثم ساق هذا الحديث من طريقه وقال لا يعرف إلا بهذا السند.

وقال أبو يعلى الموصلي حدثنا عمر بن الضحاك بن مخلد حدثنا أبو عاصم الضحاك بن مخلد حدثنا أبو رافع إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة قال حدثنا رسول اللّه ﷺ وهو في طائفة من أصحابه فذكر حديث الصور وفيه «فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة يدخلون الجنة، فيقول اللّه قد شفعتك وأذنت لهم في دخول الجنة» وكان رسول اللّه ﷺ يقول: «والذي بعثني بالحق ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم

ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم، فيدخل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة مما ينشيء الله واثنتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله عز وجل في الدنيا يدخل على الأولى منهما في غرفة من ياقوتة على سرير من ذهب مكلل باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندس واستبرق وإنه ليضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وأنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت، كبده لها مرآة وكبدها له مرآة فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ولا يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره ولا يشتكي قبلها، فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل إلا أنه لا مني ولا منية ألا أن تكون له أزواج غيرها فتخرج فتأتيهن واحدة واحدة كلما جاء واحدة قالت والله ما في الجنة شيء أحسن منك وما في الجنة شيء أحب إلي منك» هذا قطعة من حديث الصور والذي تفرد به إسماعيل بن رافع وقد روى له الترمذي وابن ماجه وضعفه أحمد ويحيى وجماعة وقال الدارقطني وغيره متروك الحديث وقال ابن عدي عامة أحاديثه فيها نظر وقال الترمذي ضفعه بعض أهل العلم وسمعت محمداً يعني البخاري يقول هو ثقة مقارب الحديث وقال لي شيخنا أبو الحجاج الحافظ هذا الحديث مجموع من عدة أحاديث ساقه إسماعيل أو غيره هذه السياقة وشرحه الوليد بن مسلم في كتاب مفرد وما تضمنه معروف في الأحاديث والله أعلم وقال عبد الله بن وهب حدثنا عمرو أن دراجاً حدثه عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن رسول الله ﷺ قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون الف خادم واثنتان وسبعون زوجة وينصب له قبة من لؤلؤ وزبرجد وياقوت كما بين الجابية وصنعاء» رواه الترمذي ولكن دراج أبو السمح بالطريق قال أحمد أحاديثه مناكير وقال النسائي منكر الحديث وقال أبو حاتم ضعيف وقال النسائي أيضاً ليس بالقوي وساق له ابن عدي أحاديث وقال عامتها لا يتابع عليها وقال الدارقطني ضعيف وقال مرة متروك وأما يحيى بن معين فقد وثقه وأخرج عنه أبو حاتم بن حبان في صحيحه وقال عثمان بن سعيد الدارمي عن علي بن المديني هو ثقة وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن أبي السمح عن أبي الهيثم عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿كأنهن الياقوت والمرجان﴾ قال: «ينظر إلى وجهه في خدها أصفى من المرآة وأن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه ليكون عليها سبعون ثوباً ينفذها بصره حتى

يرى مخ ساقها من وراء ذلك» وقال الفريابي أنبأنا أبو أيوب سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد بن أبى مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول الله ﷺ قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويزوج ثنتين وسبعين زوجة ثنتان من الحور العين وسبعون من أهل ميراثه من أهل الدنيا ليس منهن امرأة إلا ولها قبل شهي وله ذكر لا ينثني» قلت خالد هذا هو ابن يزيد بن عبد الرحمن الدمشقي وهاه ابن معين وقال أحمد لي بشيء وقال النسائي غير ثقة وقال الدارقطني ضعيف وذكر ابن عدي له هذا الحديث مما أنكره عليه وقال أبو نعيم حدثنا إبراهيم بن عبد الله حدثنا محمد بن حمويه حدثنا أحمد بن حفص حدثني أبي حدثني إبراهيم بن طهمان عن الحجاج عن قتادة عن أنس قال قال رسول الله ﷺ: «للمؤمن في الجنة ثلاث وسبعون زوجة قلنا يا رسول الله أوله قوة على ذلك قال أنه ليعطى قوة مائة رجل» قلت أحمد بن حفص هذا هو السعدي وله مناكير والحجاج هو ابن أرطأة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي الأبار حدثنا أبو همام الوليد بن شجاع وأنبأنا محمد بن أحمد بن هشام بن حسان السنجري ببغداد حدثنا عبد الله بن عمرو بن أبان قالا حدثنا حسين بن علي الجعفي عن زائدة عن هشام بن حسان عن محمد بن سيرين عن أبي هريرة قال: «قيل يا رسول الله هل نصل إلى نسائنا في الجنة؟ فقال إن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء» قال الطبراني لم يروه عن هشام إلا زائدة تفرد به الجعفي قال محمد بن عبد الواحد المقدسي ورجال هذا الحديث عندي على شرط الصحيح وقال أبو الشيخ حدثنا أبو يحيى بن مسلم الرازي حدثنا هناد بن السري حدثنا أبو أسامة عن هشام بن حسان عن زيد بن أبي الحواري وهو زيد العمي عن ابن عباس قال: «قيل يا رسول الله أنفضى إلى نسائنا في الجنة كما نفضى إليهن في الدنيا؟ قال والذي نفس محمد بيده إن الرجل ليفضي في الغداة الواحدة إلى مائة عذراء» وزيد هذا قال فيه ابن معين صالح وقال مرة لا شيء وقال مرة ضعيف يكتب حديثه وكذلك قال أبو حاتم وقال الدارقطني صالح وضعفه النسائي وقال السعدي متماسك قلت وحسبه رواية شعبة عنه.

(فصل)

والأحاديث الصحيحة إنما فيها أن لكل منهم زوجتين وليس في الصحيح زيادة على ذلك فإن كانت هذه الأحاديث محفوظة فأما أن يراد بها ما لكل واحد من السراري

زيادة على الزوجتين ويكونون في ذلك على حسب منازلهم في القلة والكثرة كالخدم والولدان، وإما أن يراد أنه يعطي قوة من يجامع هذا العدد ويكون هذا هو المحفوظ فرواه بعض هؤلاء بالمعنى فقال له كذا وكذا زوجة وقد روى الترمذي في جامعه من حديث قتادة عن أنس عن النبي ﷺ قال: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من الجماع قيل يا رسول اللّٰه أو يطيق ذلك؟ قال يعطى قوة مائة» هذا حديث صحيح فلعل من رواه يفضي إلى مائة عذراء رواه بالمعنى أو يكون تفاوتهم في عدد النساء بحسب تفاوتهم في الدرجات واللّٰه أعلم، ولا ريب أن للمؤمن في الجنة أكثر من اثنتين لما في الصحيحين من حديث أبي عمران الجوني عن أبي بكر عن عبد اللّٰه بن قيس عن أبيه قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «إن للعبد المؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة مجوفة طولها ستون ميلاً للعبد المؤمن فيها أهلون فيطوف عليهم لا يرى بعضهم بعضاً.

الباب الرابع والخمسون
في ذكر المادة التي خلق منها الحور العين وما ذكر فيها من الآثار وذكر صفاتهن ومعرفتهن اليوم بأزواجهن

فأما المادة التي خلق منها الحور العين فقد روى البيهقي من حديث الحارث بن خليفة حدثنا شعبة حدثنا إسماعيل بن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ أنه قال: «الحور العين خلقن من الزعفران» قال البيهقي وهذا منكر بهذا الإسناد ولا يصح عن ابن علية «قلت» ولكنه حديث فيه شعبة وقال الطبراني حدثنا أحمد بن رشدين حدثنا علي بن الحسن بن هارون الأنصاري حدثني الليث بن ابنة الليث عن أبي سليم قال حدثتني عائشة بنت يونس امرأة الليث بن أبي سليم عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «خلق الحور العين من الزعفران» قال الطبراني لا يروى إلا بهذا الإسناد تفرد به علي بن الحسن بن هارون قلت وقد رواه إسحاق بن راهويه عن عائشة بنت يونس قالت سمعت زوجي ليث بن سليم يحدث عن مجاهد فذكره مرفوعاً إليه وهو أشبه بالصواب، ورواه عقبة بن مكرم عن عبد اللّٰه بن زياد عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس قوله ولا يصح رفع الحديث وحسبه أن يصل إلى ابن عباس وقال أبو سلمة بن عبد الرحمن «إن

لولي الله في الجنة عروساً لم يلدها آدم ولا حواء ولكن خلقت من زعفران» وهذا مروي عن صحابيين وهما ابن عباس وأنس وعن تابعيين وهما أبو سلمة ومجاهد وبكل حال فهي من المنشآت في الجنة ليست مولودات بين الآباء والأمهات والله أعلم وقد رواه الطبراني من حديث عبد الله بن زخر عن علي بن زيد عن الهيثم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ وهذا الإسناد لا يحتج به ورواه أبو نعيم حدثنا علي بن محمد الطوسي حدثنا علي بن سعيد حدثنا محمد بن إسماعيل الحساني حدثنا منصور بن المهاجر حدثنا أبو منصور الأبار عن أنس يرفعه «لو أن حوراء بصقت في سبعة أبحر لعذبت البحار من عذوبة فمها، وخلق الحور العين من الزعفران» وإذا كانت هذه الخلقة الآدمية التي هي من أحسن الصور وأجملها مادتها من تراب وجاءت الصور من أحسن الصور فما الظن بصورة مخلوقة من مادة الزعفران الذي هناك!!! فالله المستعان، وقد روى أبو نعيم من حديث عيسى بن يوسف بن الطباع حدثنا حلس بن محمد الكلابي حدثنا سفيان الثوري حدثنا مغيرة حدثنا إبراهيم النخعي عن علقمة عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ: «يسطع نور في الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها» وروى نعمة بن الوليد حدثنا مجبر بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «أن من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول ماذا تريدون أن أمطركم فلا يتمنون شيئاً إلا امطروا» قال يقول كثير لئن أشهدني الله لأقولن أمطرينا جواري مزينات، وقد روى في مادة خلقهن صفة أخرى قال ابن أبي الدنيا حدثنا خالد بن سعيد عن خداش حدثنا حدثنا عبد الله بن وهب حدثنا سعيد بن أيوب عن عقيل بن خالد عن الزهري أن ابن عباس قال: «إن في الجنة نهراً يقال له البيدخ عليه قباب من ياقوت تحته حور ناشئات يقول أهل الجنة انطلقوا بنا إلى البيدخ فيجيئون فيتصفحون تلك الحواري فإذا أعجب رجل منهم جارية مس معصمها فتتبعه» وقال الليث بن سعد عن يزيد بن أبي حبيب عن الوليد بن عبدة قال قال رسول الله ﷺ: «لجبريل يا جبريل قف بي على الحور العين فأوقفه عليهن فقال من أنتن؟ فقلن نحن حواري قوم كرام حلواً فلم يظعنوا، وشبوا فلم يهرموا، ونقوا فلم يدرنوا» وقال ابن المبارك أنبأنا يحيى عن أيوب عن عبد الله بن زخر عن خالد بن عمران عن ابن عباس قال: «كنا جلوساً مع كعب يوماً فقال لو أن يداً من الحور دليت من السماء لاضاءت لها الأرض كما تضيء الشمس لأهل الدنيا ثم قال إنما قلت يدها فكيف

بالوجه وبياضه وحسنه وجماله!!» وفي مسند الإمام أحمد من حديث كثير بن مرة عن معاذ بن جبل عن النبي ﷺ: «لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين لا تؤذيه قاتلك اللّه فإنما هو عندك دخيل يوشك أن يفارقك إلينا» وفي مراسيل عكرمة عن النبي ﷺ قال: «إن الحور العين لأكثر عدداً منكن يدعون لأزواجهن يقلن أللهم أعنه على دينك، وأقبل بقلبه على طاعتك، وبلغه بعزتك يا أرحم الراحمين» ذكره ابن أبي الدنيا من حديث أسامة بن زيد عن عطاء عنه وذكر الأوزاعي عن حسان بن عطية عن ابن مسعود قال: «إن في الجنة حوراء يقال لها اللعبة كل حور الجنان يعجبن بها يضربن بأيديهن على كتفها ويقلن طوبى لك يا لعبة لو يعلم الطالبون لك لجدوا، بين عينيها مكتوب من كان يبتغي أن يكون له مثلي فليعمل برضاء ربي» وقال عطاء السلمي لمالك بن دينار: «يا أبا يحيى شوقنا قال يا عطاء أن في الجنة حوراء يتباهى أهل الجنة بحسنها لولا أن اللّه تعالى كتب على أهل الجنة أن لا يموتوا لماتوا من حسنها، فلم يزل عطاء كمداً من قول مالك» وقال أحمد بن أبي الحواري حدثني جعفر بن محمد قال لقي حكيم حكيماً فقال اتشتاق إلى الحور العين؟ فقال لا، فقال فاشتق إليهن فإن نور وجههن من نور اللّه عز وجل، فغشي عليه، فحمل إلى منزله فجعلنا نعوده شهراً» وقال ربيعة بن كلثوم نظر إلينا الحسن ونحن حوله شباب فقال: «يا معشر الشباب أما تشتاقون إلى الحور العين؟» وقال لي ابن أبي الحواري حدثني الحضرمي قال «نمت أنا وأبو حمزة على سطح فجعلت أنظر إليه يتقلب على فرشه إلى الصباح فقلت يا أبا حمزة ما رقدت الليلة، فقال إني لما اضطجعت تمثلت لي حوراء حتى كأني أحسست بجلدها وقد مس جلدي، فحدثت به أبا سليمان فقال هذا رجل كان مشتاقاً» وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول: «ينشأ خلق الحور العين إنشاء فإذا تكامل خلقهن ضرب عليهن الملائكة الخيام» وذكر ابن أبي الدنيا عن صالح المُرّي عن زيد الرقاشي قال: «بلغني أن نوراً سطع في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل من ذلك النور فيه، فقيل ما هذا؟ قال حوراء ضحكت في وجه زوجها، قال صالح فشهق رجل من ناحية المجلس فلم يزل يشهق حتى مات» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا بشر بن الوليد حدثنا سعيد بن زربي عن عبد الملك الجوني عن سعيد بن جبير قال سمعت ابن عباس يقول: «لو أن حوراء أخرجت كفها بين السماء والأرض لافتتن الخلائق بحسنها، ولو

أخرجت نصيفها لكانت الشمس عند حسنها مثل الفتيلة في الشمس لا ضوء لها ولو أخرجت وجهها لأضاء حسنها ما بين السماء والأرض» وقال ابن أبي الدنيا حدثني الحسين بن يحيى وكثير العنبري حدثنا خزيمة أبو محمد عن سفيان الثوري قال: «سطع نور في الجنة لم يبق موضع من الجنة إلا دخل فيه من ذلك النور فنظروا فوجدوا ذلك من حوراء ضحكت في وجه زوجها» ورواه الخطيب في تاريخه من حديث عبد الله بن محمد الكرخي قال حدثني عيسى بن يوسف الطباع حدثني حلس بن محمد حدثنا سفيان الثوري عن مغيرة عن إبراهيم عن علقمة عن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «سطع نور في الجنة فرفعوا أبصارهم فإذا هو من ثغر حوراء ضحكت في وجه زوجها» وقال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير: «إذا سبحت المرأة من الحور العين لم يبق شجرة في الجنة إلا وردت» وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طال ما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن، والخالدات فلا نموت؛ بأحسن أصوات سمعت وتقول أنت جبي وأنا حبك ليس دونك تقصير ولا وراءك معدل».

الباب الخامس والخمسون
في ذكر نكاح أهل الجنة ووطئهم والتذاذهم بذلك أكمل لذة ونزاهة ذلك عن المذي والمني والضعف وأنه لا يوجب غسلاً

قد تقدمْ حديث أبي هريرة «قيل يا رسول الله أنفضي إلى نسائنا في الجنة؟ فقال أن الرجل ليصل في اليوم إلى مائة عذراء» وأن إسناده صحيح وتقدم حديث أبي موسى المتفق على صحته: «إن للمؤمن في الجة خيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة طولها ستون ميلاً له فيها أهلون يطوف عليهم» وحديث أنس: «يعطى المؤمن في الجنة قوة كذا وكذا من النساء» وصححه الترمذي وروى الطبراني وعبد الله بن أحمد وغيرهما من حديث لقيط بن عامر أنه قال: «يا رسول الله على ما يطلع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها صداع ولا ندامة وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن، وفاكهة لعمر الهك مما تعلمون وخير من مثله وأزواج مطهرة

«قلت» يا رسول اللّه أو لنا فيها أزواج مَصلحات؟ قال الصالحات للصالحين تلذذوا بهن مثل لذاتكم في الدنيا وتلذذكم، غير أن لا توالد» وقال ابن وهب أخبرني عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي حجيرة عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ أنه قال: يا رسول اللّه انطأ في الجنة؟ قال نعم والذي نفسي بيده دحماً دحماً فإذا قام عنها رجعت مطهرة بكراً» وقال الطبراني حدثنا إبراهيم بن جابر الفقيه حدثنا محمد بن عبد الملك الدقيقي الواسطي حدثنا يعلى بن عبد الرحمن الواسطي حدثنا شريك عن عاصم الأحول عن أبي المتوكل عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن أهل الجنة إذا جامعوا نساءهم عدن أبكاراً» قال الطبراني لم يروه عن عاصم إلا شريك تفرد به يعلى قال الطبراني وحدثنا عبدان بن أحمد حدثنا محمد بن عبد الرحيم البرقي حدثنا عمرو بن أبي سلمة حدثنا صدقة عن هاشم بن زيد عن سليم بن أبي يحيى أنه سمع أبا أمامة يحدث أنه سمع رسول اللّه ﷺ وسئل «هل يتناكح أهل الجنة؟ قال بذكر لا يمل وشهوة لا تنقطع دخماً دخماً» قال الطبراني وحدثنا أحمد بن يحيى الحلواني حدثنا سويد بن سعيد حدثنا خالد بن يزيد بن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة أن رسول اللّه ﷺ سئل «أيجامع أهل الجنة؟ قال دحاً دحاً ولكن لا مني ولا منية» وهاشم وخالد وأن تكلم فيهما فليس الاعتماد عليهما وقوله (لا مني ولا منية) أي لا إنزال ولا موت وقال أبو نعيم حدثنا أبو علي محمد بن أحمد حدثنا بشر بن موسى حدثنا أبو عبد الرحمن المقري حدثنا عبد الرحمن بن زياد حدثنا عمارة بن راشد عن أبي هريرة عن رسول اللّه ﷺ أنه سئل: «هل يمس أهل الجنة أزواجهم؟ قال نعم والذي بعثني بالحق بذكر لا يمل وفرج لا يحفى وشهوة لا تنقطع» وقال الحسن بن سفيان في مسنده حدثنا هشام بن عمار حدثنا صدقة بن خالد حدثنا عثمان بن أبي العاتكة عن علي بن زيد عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول اللّه ﷺ: «هل ينكح أهل الجنة؟ قال أي والذي بعثني بالحق دحماً دحماً وأشار بيده ولكن لا مني ولا منية» وقال سعيد بن منصور حدثنا سفيان عن عمرو عن عكرمة في قوله تعالى ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ قال في افتضاض الإبكار وقال عبد اللّه بن أحمد حدثنا أبو الربيع الزهراني ومحمد بن حميدة قالا حدثنا يعقوب ابن عبد اللّه حدثنا حفص بن حميد عن بشر بن عطية عن شفيق بن سلمة عن عبد اللّه بن مسعود في قوله ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ قال شغلهم

افتضاض العذارى وقال الحاكم أنبأنا الأصم أنبأنا العباس بن الوليد أخبرني شعيب عن الأوزاعي في قوله تعالى ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ قال شغلهم افتضاض الأبكار قال مقاتل شغلوا بافتضاض العذارى عن أهل النار فلا يذكرونهم ولا يهتمون لهم، وقال أبو الأحوص شغلوا بافتضاض الأبكار عن السرر في الحجال وقال سليمان التيمي عن أبي مجلز قلت لابن عباس عن قول اللّه تعالى ﴿إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون﴾ ما شغلهم؟ قال افتضاض الأبكار وقال ابن أبي الدنيا حدثنا فضيل بن عبد الواحد حدثنا يزيد بن زريع عن سليمان التيمي عن أبي عمرو عن عكرمة عن ابن عباس (في شغل فاكهون) قال في افتضاض العذارى حدثنا إسحاق بن إبراهيم حدثنا يحيى بن يمان عن أشعث عن جعفر عن سعيد بن جبير «إن شهوته لتجري في جسده سبعين عاماً يجد اللذة ولا يلحقهم بذلك جنابة فيحتاجون إلى التطهير ولا ضعف ولا انحلال قوة بل وطئهم وطء التذاذ ونعيم لا آفة فيه بوجه من الوجوه» وأكمل الناس فيه أصونهم لنفسه في هذه الدار عن الحرام فكما أن من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة ومن لبس الحرير في الدنيا لم يلبسه في الآخرة ومن أكل في صحاف الذهب والفضة في الدنيا لم يأكل فيها في الآخرة كما قال النبي ﷺ «إنها لهم في الدنيا ولكم في الآخرة» فمن استوفى طيباته ولذاته وأذهبها في هذه الدار حرمها هناك كما نعى سبحانه على من أذهب طيباته في الدنيا واستمتع بها ولهذا كان الصحابة ومن تبعهم يخافون من ذلك أشد الخوف، وذكر الإمام أحمد عن جابر بن عبد اللّه «أنه رآه عمر ومعه لحم قد اشتراه لأهله بدرهم فقال ما هذا؟!! قال لحم اشتريته لأهلي بدرهم، فقال أو كلما اشتهى أحدكم شيئاً اشتراه!! أما سمعت اللّه تعالى يقول ﴿اذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها﴾ وقال الإمام أحمد حدثنا عفان حدثنا جرير بن حازم قال حدثنا الحسن قال: «قدم وفد أهل البصرة مع أبي موسى على عمر فكنا ندخل عليه كل يوم وله خبز ثلاثة وربما وافقناها مأدومة بالسمن وربما وافقناها مأدومة بالزيت وربما وافقناها مأدومة باللبن وربما وافقناها القلائد اليابسة قد دقت ثم أغلى بها وربما وافقناها اللحم العريض وهو قليل، فقال ذات يوم أني واللّه قد أرى تقذيركم وكراهيتكم لطعامي أني واللّه لو شئت لكنت من أطيبكم طعاماً وأرقكم عيشاً ولكني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول عير قوماً بأمر فعلوه فقال أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها فمن ترك اللذة المحرمة للّه

استوفاها يوم القيامة أكمل ما تكون، ومن استوفاها هنا حرمها هناك أو نقص كمالها فلا يجعل الله لذة من أوضع في معاصيه ومحارمه كلذة من ترك شهوته لله أبداً» والله أعلم.

الباب السادس والخمسون
في ذكر اختلاف الناس هل في الجنة حمل وولادة أم لا

قال الترمذي في جامعه حدثنا بندار حدثنا معاذ بن هشام قال حدثني أبي عن عامر الأحول عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «المؤمن إذا اشتهى الولد في الجنة كان حمله ووضعه وسنه في ساعة كما يشتهي» قال هذا حديث حسن غريب وقد اختلف أهل العلم في هذا فقال بعضهم في الجنة جماع ولا يكون ولد هكذا روي عن طاووس ومجاهد وإبراهيم النخعي وقال محمد يعني البخاري قال إسحاق بن إبراهيم في حديث النبي ﷺ «إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان في ساعة كما يشتهي ولكن لا يشتهي» قال محمد وقد روى عن أبي ذر بن العقيلي عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة لا يكون لهم فيها ولد» وأبو الصديق الناجي اسمه بكر بن عمرو ويقال بكر بن قيس انتهى كلام الترمذي «قلت» إسناد حديث أبي سعيد على شرط الصحيح فرجاله محتج بهم فيه ولكنه غريب جداً وتأويل إسحاق فيه نظر فإنه قال إذا اشتهى المؤمن الولد وإذا للمتحقق الوقوع ولو أريد ما ذكره من المعنى لقال لو اشتهى المؤمن الولد لكان حمله في ساعة فإن ما لا يكون أحق بأداة لو كما أن المتحقق الوقوع أحق بأداة إذا، وقد قال أبو نعيم حدثنا عبدان بن أحمد حدثنا أحمد بن إسحاق حدثنا أبو أحمد الزبيري حدثنا سفيان الثوري عن أبان عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال: «قيل يا رسول الله أيولد لأهل الجنة فإن الولد من تمام السرور؟ فقال نعم والذي نفسي بيده وما هو إلا كقدر ما يتمنى أحدكم فيكون حمله ورضاعه وشبابه» حدثنا أبو الحسن علي بن إبراهيم بن أحمد الرازي بمكة حدثنا عبد الرحمن بن محمد بن إدريس حدثنا سليمان بن داود القزاز حدثنا يحيى بن حفص الأسدي قال سمعت أبا عمرو بن العلاء يحدث عن جعفر بن ثور العبدي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: «إن

الرجل من أهل الجنة ليولد له كما يشتهي فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة» وحديث معاذ بن هشام قال فيه بندار عامر الأحوال وقال عمرو بن علي عاصم الأحول وقال الحاكم أنبأنا الأصم حدثنا محمد بن عيسى حدثنا سلام بن سليمان حدثنا سلام الطويل عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري يرفعه «إن الرجل من أهل الجنة ليشتهي الولد في الجنة فيكون حمله وفصاله وشبابه في ساعة واحدة» قال البيهقي وهذا إسناد ضعيف بمرة وأما حديث أبي رزين الذي أشار إليه البخاري فهو حديثه الطويل ونحن نسوقه بطوله نجمل به كتابنا فعليه من الجلالة والمهابة ونور النبوة ما ينادي على صحته قال عبد الله بن الإمام أحمد في مسند أبيه كتب إلى إبراهيم بن حمزة بن محمد بن حمزة عن مصعب بن زبير الزبيري كتبت إليك بهذا الحديث وقد عرضته وسمعته على على ما كتبت به إليك فحدث به عني حدثنا عبد الرحمن بن المغيرة الخزامي حدثني عبد الرحمن بن عابس المسمعي الأنصاري من بني عمرو بن عوف عن دلهم بن الأسود بن عبد الله بن حاجب بن عامر بن المنتفق العقيلي عن أبيه عن عمه لقيط بن عامر قال دلهم وحدثنيه أبو الأسود عن عاصم بن لقيط أن لقيطاً خرج وافداً إلى رسول الله ﷺ ومعه صاحب له يقال له نهيك ابن عاصم بن مالك بن المنتفق قال لقيط فخرجت أنا وصاحبي حتى قدمنا على رسول الله ﷺ حين انصرف من صلاة الغداة فقام في الناس خطيباً فقال: «ألا أيها الناس أني قد خبأت لكم صوتي منذ أربعة أيام ألا لأسمعنكم إلا فهل من امرىء بعثه قومه فقالوا له اعلم لنا ما يقول رسول الله ﷺ؟ إلا ثم لعله أن يلهيه حديث نفسه أو حديث صاحبه أو يلهيه الضلال إلا أني مسئول، ألا هل بلغت، ألا اسمعوا تعيشوا، ألا اجلسوا ألا اجلسوا قال فجلس الناس وقمت أنا وصاحبي حتى إذا فرغ لنا فؤاده وبصره قلت يا رسول الله ما عندك من علم الغيب؟ فضحك لعمر الله وهز رأسه وعلم أني أبتغي سقطه، فقال ضن ربك بمفاتيح خمس من الغيب لا يعلمهن إلا الله، وأشار بيده قلت وما هي؟ قال علم المنية قد علم متى منية أحدكم ولا تعلمونه، وعلم ما في غد ما أنت طاعم غداً ولا تعلمونه، وعلم يوم الغيث يوم يشرف عليكم أذلين مشفقين فيظل يضحك قد علم أن غيركم إلى قريب، قال لقيط قلت لن نعدم من رب يضحك خيراً، وعلم يوم الساعة، قلت يا رسول الله علمنا مما تعلم الناس وما تعلم فأنا من قبيل لا يصدقون تصديقاً أحد من مذحج التي تربوا علينا وخثعم التي توالينا وعشيرتنا

التي نحن منهـا، قال تلبثـون ما لبثتم ثم يتـوفى نبيكم ثم تلبثـون مـا لبثتم ثم تبعث الصائحة لعمر الهك لا تدع على ظهرها شيئاً إلا مات والملائكة الذين مع ربك عـز وجـل فأصبـح ربك يـطوف في الأرضين وخلت عليه البـلاد فـأرسـل ربـك السمـاء تهضب[1] من عند العرش فلعمر الهك ما تدع على ظهرها من مصرع قتيل ولا مدفن ميت إلا شقت القبر عنه حتى يخلقه من عند رأسه فيستوي جالساً فيقول ربك مهيم لما كان فيه يقول يا رب أمتني اليوم ولعهده بالحياة عشيـة تحسبه حـديثاً بـأهله فقلت يا رسول اللّه كيف يجمعنا بعدما تمزقنا الرياح والبلى والسباع؟ فقـال أنبئك بمثـل ذلك في آلاء اللّه الأرض أشرفت عليها وهي مدرة بالية فقلت لا تحياأبداً ثم أرسل ربك عليها السماء فلم تلبث عليك إلا إياماً حتى أشرفت عليها وهي شرية واحدة[2] ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يجمعهم من الماء عـلى أن يجمع نبـات الأرض فيخرجـون من الأصواء ومن مصارعهم فتنظرون إليه وينظر إليكم قـال قلت يا رسـول اللّه فكيف ونحن ملء الأرض وهو شخص واحد ينـظر إلينا وننـظر إليه قـال أنبئك بمثـل ذلك في آلاء اللّه الشمس والقمر آية منه صغيرة ترونهما ويريانكم ساعة واحدة لا تضارون في رؤيتهما ولعمر إلهك لهو أقدر على أن يراكم وترونه منهما قلت يا رسول اللّه فما يفعل بنا ربنا إذا لقيناه قال تعرضون عليه بادية له صفحاتكم لا تخفي عليه منكم خافية فيأخذ ربك عز وجل بيده غرفة من الماء فينضح قبلكم بها فلعمر إلهك ما يخطيء وجه أحد منكم منها قطرة فأما المسلم فتدع وجهه مثل الريطة البيضاء وأما الكافر فتخطم وجهه بمثل الحمم الأسود ألا ثم ينصرف نبيكم رسـول اللّه ﷺ وينصرف على أثـره الصالحـون فيسلكون جسراً من النار فيطأ أحدكم الجمرة فيقول حس فيقول ربك أو إنه فيطلعون على حوض الرسول ﷺ على إظماء واللّه ناهلة قط رأيتها فلعمر ربك ما يبسط واحد منكم يده إلا وقع عليها قدح مطهرة من الطوف والبول والأذى وتحبس الشمس والقمر فلا ترون منهما واحداً قال قلت يا رسول اللّه فبم نبصر؟ قال بمثل بصرك ساعتك هذه وذلك مع طلوع الشمس في يوم أشرقته الأرض ثم واجهته الجبال قال قلت يا رسول اللّه فبم نجزي من حسناتنا وسيئآتنا؟ قال الحسنة بعشر أمثالها والسيئة بمثلها إلا أن

(١) تهضب أي تمطر ، والهضب المطر .

(٢) في النهاية هكذا رواه بعضهم شرية بالباء أراد أن الأرض اخضرت بالنبات فكأنها حنظلة واحدة.

يعفو قال قلت يا رسول اللّه ما الجنة ما النار؟ قال لعمر الهك أن للنار سبعة أبواب ما منهن بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً وإن للجنة ثمانية أبواب ما منهن بابان بابان إلا يسير الراكب بينهما سبعين عاماً قال قلت يا رسول اللّه فعلا ما نطلع من الجنة؟ قال على أنهار من عسل مصفى وأنهار من كأس ما بها من صداع ولا ندامة، وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وماء غير آسن وبفاكهة لعمر إلهك مما نعلمون وخير من مثله معه وأزواج مطهرة، قلت يا رسول اللّه ولنا فيها أزواج أو منهن صالحات قال الصالحات للصالحين تلذون بهن مثل لذاتكم في الدنيا، ويلذذن بكم غير أن لا توالد قال لقيط فقلت أقصى ما نحن بالغون ومنتهون إليه فلم يجبه النبي ﷺ فقلت يا رسول اللّه علاما أبايعك فبسط النبي ﷺ يده وقال على أقام الصلاة وإيتاه الزكاة وأن لا تشرك باللّه إلهاً غيره، قال قلت وأن لنا ما بين المشرق والمغرب؟ فقبض النبي ﷺ يده وبسط أصابعه وظن أني مشترط شيئاً لا يعطينه. قال قلت نحل منهما حيث شئنا ولا يجني على امرىء إلا نفسه فبسط يده وقال ذلك لك تحل حيث شئت ولا يجني عليك إلا نفسك قال فانصرفنا وقال ها أن ذين ها إن ذين لعمر إلهك أن حدثت إلا أنها من أتقى الناس في الأولى والآخرة، فقال له كعب بن الجدارية أخو بني بكر بن كلاب من هم يا رسول اللّه؟ قال بنو المنتفق أهل ذلك، قال فانصرفنا وأقبلت عليه فقلت يا رسول اللّه هل لأحد مما مضى من خبر في جاهليتهم؟ قال قال رجل من عرض قريش واللّه أن أباك المنتفق لفي النار، قال فلكأنه قد وقع جزء من جلدي ووجهي ولحمي مما قال لأبي على رؤوس الناس فهممت أن أقول وأبوك يا رسول اللّه، ثم إذا الأخرى أجمل فقلت يا رسول اللّه وأهلك؟ قال وأهلي لعمر اللّه ما أتيت عليه من قبر عامري أو قرشي من مشرك فقل أرسلني إليك محمد ﷺ فأبشرك بما يسوءك تجر على وجهك وبطنك في النار، قال قلت يا رسول اللّه ما فعل اللّه بهم ذلك، وقد كانوا على عمل لا يحسنون إلا إياه وكانوا يحسبونهم مصلحين قال ذلك بأن اللّه عز وجل بعث في آخر كل سبع أمم نبياً فمن عصى نبيه كان من الضالين ومن أطاع نبيه كان من المهتدين» هذا حديث كبير مشهور ولا يعرف إلا من حديث أبي القاسم عن عبد الرحمن بن المغيرة بن عبد الرحمن المدني ثم من رواية إبراهيم بن حمزة الزبيري المدني عنه وهما من كبار علماء المدينة ثقتان يحتج بهما في الحديث احتج بهما الإمام محمد بن إسماعيل البخاري وروى عنهما في مواضع من كتابه

رواه أئمة الحديث في كتبهم منهم أبو عبد الرحمن بن عبد الله بن الإمام أحمد وأبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي العاصم وأبو القاسم الطبراني وأبو الشيخ الحافظ وأبو عبد الله بن منده والحافظ وأبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه والحافظ أبو نعيم الأصفهاني وغيرهم على سبيل القبول والتسليم قال الحافظ أبو عبد الله بن منده روى هذا الحديث محمد بن إسحاق الصنعاني وعبد الله بن أحمد بن حنبل وغيرهما وقراؤه بالعراق بمجمع العلماء وأهل الدين فلم ينكره أحد منهم ولم يتكلم في إسناده، وكذلك أبو زرعة وأبو حاتم على سبيل القبول وقال أبو الخير بن حمدان هذا حديث كبير ثابت مشهور وسألت شيخنا أبا الحجاج المزى عنه فقال عليه جلالة النبوة وقال نفاة الإيلاد فهذا حديث صريح في انتفاء الولادة وقوله إذا اشتهى معلق بالشرط ولا يلزم من التعليق وقوع المعلق ولا المعلق به، وإذا وإن كانت ظاهرة في المحقق فقد تستعمل لمجرد التعليق الأعم من المحقق وغيره قالوا وفي هذا الموضع يتعين ذلك لوجوه (أحدها) حديث أبي رزين (الثاني) قوله تعالى: **﴿ولهم فيها أزواج مطهرة﴾** وهن اللاتي طهرن من الحيض والنفاس والأذى قال سفيان أنبأنا ابن أبي نجيح عن مجاهد مطهرة من الحيض والغائط والبول والنخام والبصاق والمني والولد وقال أبو معاوية حدثنا ابن جريج عن عطاء أزواج مطهرة قال من الولد والحيض والغائط والبول (الثالث) قوله غير أنه لا مني ولا منية وقد تقدم، والولد إنما يخلق من ماء الرجل فإذا لم يكن هناك مني ولا مذي ولا نفخ في الفرج لم يكن هناك إيلاد (الرابع) أنه قد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال يبقى في الجنة فضل فينشيء الله لها خلقاً يسكنهم إياها ولو كان في الجنة إيلاد لكان الفضل لأولادهم وكانوا أحق به من غيرهم (الخامس) إن الله سبحانه جعل الحمل والولادة مع الحيض والمني فلو كانت النساء يحبلن في الجنة لم ينقطع عنهن الحيض والإنزال (السادس) أن الله سبحانه قدر التناسل في الدنيا لأنه قدر الموت وأخرجهم إلى هذه الدار قرناً بعد قرن وجعل لهم أمداً ينتهون إليه فلولا التناسل لبطل النوع الإنساني ولهذا الملائكة لا تتناسل فإنهم لا يموتون كما تموت الأنس والجن فإذا كان يوم القيامة أخرج الله سبحانه الناس كلهم من الأرض وأنشأهم للبقاء لا للموت فلا يحتاجون إلى تناسل يحفظ النوع الإنساني إذ هو منشأ للبقاء والدوام فلا أهل الجنة يتناسلون ولا أهل النار (السابع) أنه سبحانه وتعالى قال **﴿والذين آمنوا واتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم﴾** فأخبر

سبحانه أنه يكرمهم بإلحاق ذرياتهم الذين كانوا لهم بهم في الدنيا ولو كان ينشأ لهم في الجنة ذرية أخرى لذكرهم كما ذكر ذرياتهم الذين كانوا في الدنيا لأن قرة أعينهم كانت تكون بهم كما هي بذرياتهم من أهل الدنيا (الثامن) إنه إما أن يقال باستمرار التناسل فيها لا إلى غاية أو إلى غاية ثم تنقطع وكلاهما مما لا سبيل إلى القول به لاستلزام الأول اجتماع أشخاص لا تتناهى واستلزام الثاني انقطاع نوع من لذة أهل الجنة وسرورهم وهو محال ولا يمكن أن يقال بتناسل بموت معه نسل ويخلفه نسل إذ لا موت هناك (التاسع) أن الجنة لا ينمو فيها الإنسان كما ينمو في الدنيا فلا ولدان أهلها ينمون ويكبرون ولا الرجال ينمون كما تقدم بل هؤلاء ولدان صغار لا يتغيرون، وهؤلاء أبناء ثلاث وثلاثين لا يتغيرون، فلو كان في الجنة ولادة لكان المولود ينمو ضرورة حتى يصير رجلاً ومعلوم أن من مات من الأطفال يردون أبناء ثلاث وثلاثين من غير نمو يوضحه (التوجه العاشر) أن اللّٰه سبحانه وتعالى ينشيء أهل الجنة نشأة الملائكة أو أكمل من نشأتهم بحيث لا يبولون ولا يتغوطون ولا ينامون ويلهمون التسبيح ولا يهرمون على تطاول الاحقاب ولا تنمو أبدانهم بل القدر الذي جعلوا عليه لازم لهم أبداً واللّٰه أعلم فهذا ما في المسئلة، فأما قول بعضهم إن القدرة صالحة والكل ممكن وقول آخرين أن الجنة دار المكلفين التي يستحقونها بالعمل وأمثال هذه المباحث فرخيصة وهي في كتب الناس وباللّٰه التوفيق قال الحاكم قال الأستاذ أبو سهل أهل الزيغ ينكرون هذا الحديث يعني حديث الولادة في الجنة وقد روي فيه غير إسناد وسئل النبي ﷺ عن ذلك فقال يكون ذلك على نحو مما روينا واللّٰه سبحانه وتعالى يقول ﴿**وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين**﴾ وليس بالمستحيل أن يشتهي المؤمن الممكن من شهواته المصفى المقرب المسلط على لذاته قرة عين وثمرة فؤاد من الذين أنعم اللّٰه عليهم بأزواج مطهرة «فإن قيل» ففي الحديث أنهن لا يحضن ولا ينفسن فأين يكون الولد؟ «قلت» الحيض سبب الولادة الممتد مدة بالحمل على الكثرة والوضع عليه كما أن جميع بلاد الدنيا من المشارب والمطاعم والملابس على ما عرف من التعب والنصب وما يعقبه كل منهما مما يحذر منه ويخاف، من عواقبه وهذه خمرة الدنيا المحرمة المستولية على كل بلية قد أعدها اللّٰه تعالى لأهل الجنة منزوعة البلية موفرة اللذة فلم لا يجوز أن يكون على مثله الولد!!! انتهى كلامه «قلت» النافون للولادة في الجنة لم ينفوها لزيغ قلوبهم ولكن لحديث أبي رزين «غير أن لا توالد» وقد

حكينا من قول عطاء وغيره أنهن مطهرات من الحيض والولد وقد حكى الترمذي عن أهل العلم من السلف والخلف في ذلك قولين وحكى قول أبي إسحاق بإنكاره وقال أبو أمامة في حديثه «غير أن لا مني ولا منية، والجنة ليست دار تناسل بل دار بقاء وخلد لا يموت من فيها فيقوم نسله مقامه» وحديث أبي سعيد الخدري هذا أجود أسانيده إسناد الترمذي وقد حكم بغرابته وأنه لا يعرف إلا من حديث أبي الصديق الناجي وقد اضطرب لفظه فتارة يروي عنه إذا اشتهى الولد، وتارة أنه ليشتهي الولد، وتارة أن الرجل من أهل الجنة ليولد له، فاللّه أعلم فإن كان رسول اللّه ﷺ قد قاله فهو الحق الذي لا شك فيه وهذه الألفاظ لا تنافي بينها ولا تناقض وحديث أبي رزين غير أن لا توالد إذ ذاك نفي للتوالد المعهود في الدنيا ولا ينفي ولادة حمل الولد فيها ووضعه وسنه وشبابه في ساعة واحدة فهذا ما انتهى إليه علمنا القاصر في هذه المسألة وقد أتينا فيها بما لعلك لا تجده في غير هذا الكتاب واللّه أعلم.

الباب السابع والخمسون
في ذكر سماع الجنة وغناء الحور العين وما فيه من الطرب واللذة

قال تعالى ﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون﴾ قال محمد بن جرير حدثني محمد بن موسى الحرشي قال حدثنا عامر بن نساف قال سألت يحيى بن أبي كثير عن قوله عز وجل ﴿فهم في روضة يحبرون﴾ قال الحبرة اللذة والسماع, حدثنا عبد اللّه بن محمد الفريابي حدثنا ضمرة بن ربيعة عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير في قوله يحبرون قال السماع في الجنة ولا يخالف هذا قول ابن عباس يكرمون وقال مجاهد وقتادة ينعمون فلذة الأذن بالسماع من الحبرة والنعيم وقال الترمذي حدثنا هناد وأحمد بن منيع قالا حدثنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن في الجنة لمجتمعا للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكن له» وفي الباب عن أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وحديث علي حديث غريب قلت وفي الباب عن ابن أبي أوفى وأبي أمامة وعبد اللّه بن

عمر أيضاً فأما حديث أبي هريرة فقال جعفر الفريابي حدثنا سعد بن حفص حدثنا محمد بن مسلمة عن أبي عبد الرحمن عن زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: «إن في الجنة نهراً طول الجنة حافتاه العذارى قيام متقابلات بغنين بأصوات حتى يسمعها الخلائق ما يرون في الجنة لذة مثلها، فقلنا يا أبا هريرة وما ذاك الغناء؟ قال إن شاء اللّٰه التسبيح والتحميد والتقديس وثناء على الرب عز وجل» هكذا رواه موقوفاً وروى أبو نعيم في صفة الجنة من حديث مسلمة بن علي عن زيد بن واقد عن رجل عن أبي هريرة قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «إن في الجنة شجرة جذوعها من ذهب وفروعها من زبرجد ولؤلؤ فتهب لها ريح فيصطفقن فما سمع السامعون بصوت شيء قط ألذ منه» (وأما حديث أنس) فقال أبو نعيم أنبأنا عبد الله بن جعفر حدثنا إسماعيل بن عبد اللّٰه حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم حدثنا ابن أبي فديك عن ابن أبي ذئب عن عون بن الخطاب عن عبد الله بن رافع عن أبي الأسن عن أنس قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «إن الحور العين يغنين في الجنة يقلن نحن الحور الحسان خلقن لأزواج كرام» ورواه ابن أبي الدنيا حدثنا أبو خيثمة حدثنا إسماعيل بن عمر حدثنا ابن أبي ذئب عن أبي عبد اللّٰه بن رافع عن بعض ولد أنس فذكره (وأما حديث ابن أبي أوفى) فقال أبو نعيم حدثنا محمد بن جعفر من أصله حدثنا موسى بن هارون حدثنا حامد بن يحيى البلخي حدثنا يونس بن محمد المؤدب حدثنا الوليد بن أبي ثور حدثني سعد الطائي عن عبد الرحمن بن سابط عن ابن أبي أوفى قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «يزوج كل واحد من أهل الجنة أربعة آلاف بكر وثمانية آلاف أيم ومائة حوراء فيجتمعن في كل سبعة أيام فيقلن بأصوات حسان لم تسمع الخلائق بمثلهن نحن الخالدات فلا نبيد. ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن، طوبى لمن كان لنا وكن له» (وأما حديث أبي أمامة) فقال جعفر الفريابي حدثنا سليمان بن عبد الرحمن حدثنا خالد بن يزيد عن أبي مالك عن أبيه عن خالد بن معدان عن أبي أمامة عن رسول اللّٰه ﷺ قال: «ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنيانه بأحسن صوت سمعه الأنس والجن وليس بمزامير الشيطان» (وأما حديث ابن عمر) فقال الطبراني حدثنا أبو رفاعة عمارة بن وثيمة بن موسى بن الفرات المصري حدثنا سعيد بن أبي مريم حدثنا محمد بن جعفر بن أبي كثير عن زيد بن أسلم عن ابن عمر قال قال

رسول الله ﷺ: «إن أزواج أهل الجنة ليغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط ، إن مما يغنين به نحن الخيرات الحسان، أزواج قوم كرام، ينظرون بقرة أعين، وأن مما يغنين به نحن الخالدات فلا نمتنه، نحن الآمنات فلا نخفنه، نحن المقيمات فلا نظعنه» قال الطبراني لم يروه عن زيد بن أسلم إلا محمد تفرد به ابن أبي مريم وقال ابن وهب حدثني سعيد بن أبي أيوب قال وقال رجل من قريش لابن شهاب هل في الجنة سماع فإنه حبب إلى السماع؟ فقال أي والذي نفس ابن شهاب بيده أن في الجنة لشجراً حمله اللؤلؤ والزبرجد تحته جوار ناهدات يتغنين بألوان يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت فإذا سمع ذلك الشجر صفق بعضه بعضاً فأجبن الحواري فلا ندري أصوات الحواري أحسن أم أصوات الشجر» قال ابن وهب وحدثنا الليث بن سعد عن خالد بن يزيد أن الحور العين يغنين أزواجهم فيقلن نحن الخيرات الحسان أزواج شباب كرام، ونحن الخالدات فلا نموت، ونحن الناعمات فلا نبأس. ونحن الراضيات فلا نسخط ونحن المقيمات فلا نظعن، في صدر إحداهن مكتوب أنت حبي وأنا حبك انتهت نفسي عندك لم تر عيناي مثلك» وقال ابن المبارك حدثنا الأوزاعي حدثنا يحيى بن أبي كثير «إن الحور العين يتلقين أزواجهن عند أبواب الجنة فيقلن طالما انتظرناكم فنحن الراضيات فلا نسخط ، والمقيمات فلا نظعن والخالدات فلا نموت، بأحسن أصوات سمعت وتقول أنت حبي وأنا حبك ليس دونك مقصر ولا وراءك معدل.

(فصل)
ولهم سماع أعلى من هذا

قال ابن أبي الدنيا حدثني دهثم بن الفضل القرشي حدثنا رواد بن الجراح عن الأوزاعي: «قال بلغني أنه ليس من خلق الله أحسن صوتاً من إسرافيل فيأمره الله تبارك وتعالى فيأخذ في السماع فما يبقى ملك في السموات إلا قطع عليه صلاته فيمكث بذلك ما شاء الله أن يمكث فيقول الله عز وجل وعزتي لو يعلم العباد قدر عظمتي ما عبدوا غيري» وحدثني داود بن عمر الضبي حدثنا عبد الله بن المبارك عن مالك بن أنس عن محمد بن المنكدر قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد بن الذين كانوا ينزهون أسماعهم وأنفسهم عن مجالس اللهو ومزامير الشيطان أسكنوهم رياض

المسك ثم يقول للملائكة أسمعوهم تمجيدي وتحميدي» وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثني عبد الله بن أبي بكر حدثنا جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار في قوله عز وجل ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ قال إذا كان يوم القيامة أمر بمنبر رفيع فوضع في الجنة ثم نودي يا داود مجدني بذلك الصوت الحسن الرخيم الذي كنت تمجدني به في دار الدنيا قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنان فذلك قوله تعالى ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ وذكر حماد بن سلمة عن ثابت البناني وحجاج الأسود عن شهر بن حوشب قال: «إن اللّه جل ثناؤه للملائكة أن عبادي كانوا يحبون الصوت الحسن في الدنيا فيدعونه من أجلي فاسمعوا عبادي فيأخذوا بأصوات من تهليل وتسبيح وتكبير لم يسمعوا بمثله قط» وقال عبد اللّه بن الإمام أحمد في كتاب الزهد لأبيه حدثني علي بن مسلم الطوسي حدثني سيار حدثنا جعفر حدثنا مالك بن دينار «في قوله عز وجل ﴿وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب﴾ قال يقيم اللّه سبحانه داود عند ساق العرش فيقول يا داود مجدني اليوم بذلك الصوت الحسن الرخيم فيقول إلهي كيف أمجدك وقد سلبتنيه في دار الدنيا؟ قال فيقول اللّه عز وجل فأني أرده عليك قال فيرده عليه فيزداد صوته قال فيستفرغ صوت داود نعيم أهل الجنة» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا مسلم بن إبراهيم الحراني حدثنا مسكين بن بكير عن الأوزاعي عن عبيدة بن أبي لبابة قال: «إن في الجنة شجرة ثمرها زبرجد وياقوت ولؤلؤ فيبعث اللّه ريحاً فتصفق فتسمع لها أصوات لم يسمع ألذ منها» حدثنا أبو بكر بن يزيد وإبراهيم بن سعيد قالا حدثنا أبو عامر العقدي حدثنا رفعة بن صالح عن سلمة بن زهرام عن عكرمة عن ابن عباس قال: «في الجنة شجرة على ساق قدر ما يسير الراكب في ظلها مائة عام فيتحدثون في ظلها فيشتهي بعضهم فيذكر لهو الدنيا فيرسل اللّه ريحاً من الجنة فتحرك تلك الشجرة بكل لهو كان في الدنيا» حدثنا إبراهيم بن سعيد حدثنا علي بن عاصم حدثني سعيد بن سعيد الحارثي قال حدثت «أن في الجنة آجاماً من قصب من ذهب حملها اللؤلؤ فإذا اشتهى أهل الجنة أن يسمعوا صوتاً حسناً بعث اللّه على تلك الآجام ريحاً فتأتيهم بكل صوت يشتهون».

(فصل)

ولهم سماع أعلى من هذا يضمحل دونه كل سماع وذلك حين يسمعون كلام

الرب جل جلاله وخطابه وسلامه عليهم ومحاضرته لهم ويقرأ عليهم كلامه فإذا سمعوه منه فكأنهم لم يسمعوه قبل ذلك وسيمر بك أيها السنى من الأحاديث الصحاح والحسان في ذلك ما هو من أحب سماع لك في الدنيا وألذ لأذنك وأقر لعينك إذ ليس في الجنة لذة أعظم من النظر إلى وجه الرب تعالى وسماع كلامه منه ولا يعطي أهل الجنة شيئاً أحب إليهم من ذلك وقد ذكر أبو الشيخ عن صالح بن حبان عن عبد اللّه بن بريدة قال: «إن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار جل جلاله فيقرأ عليهم القرآن وقد جلس كل امرىء منهم مجلسه الذي هو مجلسه على منابر الدر والياقوت والزبرجد والذهب والزمرد فلم تقر أعينهم بشيء ولم يسمعوا شيئاً قط أعظم ولا أحسن منه ثم ينصرفون إلى رجالهم ناعمين قريرة أعينهم إلى مثلها من الغد»

الباب الثامن والخمسين
في ذكر مطايا أهل الجنة وخيولهم ومراكبهم

قال الترمذي حدثنا عبد اللّه بن عبد الرحمن حدثنا عاصم بن علي حدثنا المسعودي عن علقمة بن مرثد عن سليمان بن بريدة عن أبيه «أن رجلاً سأل النبي ﷺ فقال يا رسول اللّه هل في الجنة من خيل؟ قال أن أدخلك اللّه الجنة فلا تشاء أن تحمل فيها على فرس من ياقوتة حمراء يطير بك في الجنة حيث شئت، قال وسأله رجل فقال يا رسول اللّه هل في الجنة من إبل؟ قال فلم يقل ما قال لصاحبه قال أن أدخلك اللّه الجنة يكن لك فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك» حدثنا سويد بن نصر أنبأنا عبد اللّه بن المبارك عن سفيان عن علقمة بن مرثد عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ نحوه بمعناه وهذا أصح من حديث المسعودي حدثنا محمد بن إسماعيل بن سمرة الأحمسي حدثنا أبو معاوية عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب قال: «أتى النبي ﷺ أعرابي فقال يا رسول اللّه إني أحب الخيل أفي الجنة خيل؟ قال رسول اللّه ﷺ إذا دخلت الجنة أتيت بفرس من ياقوتة له جناحان فحملت عليه ثم طار بك حيث شئت» قال الترمذي هذا حديث إسناده ليس بالقوي ولا نعرفه من حديث أبي أيوب إلا من هذا الوجه وأبو سورة هو ابن أخي أبي أيوب يضعف في الحديث ضعفه ابن معين جداً وسمعت محمد بن إسماعيل يقول أبو سورة هذا

منكر الحديث يروي مناكير عن أبي أيوب لا يتابع عليه «قلت» أما حديث علقمة بن مرثد فقد اضطرب فيه علقمة فمرة يقول عن سليمان بن بريدة عن أبيه ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن عمير بن ساعدة قال: «كنت أحب الخيل فقلت هل في الجنة خيل يا رسول اللّه» ومرة يقول قال رجل من الأنصار يقال له عمير بن ساعدة يا رسول اللّه، ومرة يقول عن عبد الرحمن بن سابط عن النبي ﷺ والترمذي جعل هذا أصح من حديث المسعودي لأن سفيان أحفظ منه وأثبت وقد رواه أبو نعيم من حديث علقمة هذا فقال عن أبي صالح عن أبي هريرة «أن أعرابياً قال يا رسول اللّه أفي الجنة إبل؟ قال يا أعرابي إن يدخلك اللّه الجنة رأيت فيها ما تشتهي نفسك وتلذ عينك» ورواه أيضاً من حديث علقمة عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ وذكر الجنة فقال «والفردوس أعلاها سموا وأوسعها منه محلاً ومنها تفجر أنهار الجنة، وعليها يوضع العرش يوم القيامة، فقام إليه رجل فقال يا رسول اللّه إني رجل حبب إلي الخيل فهل في الجنة خيل؟ قال أي والذي نفسي بيده أن في الجنة لخيلاً وإبلاً هفافة تزف بين خلال ورق الجنة يتزاورون عليها حيث شاؤا، فقام إليه رجل فقال يا رسول الله أني حبب إلي الإبل» وذكر الحديث وأما حديث أبي سورة فلا يعرف إلا من حديث واصل بن السائب عنه ولم يروه عنه غيره وغير يحيى بن جابر الطائي وقد أخرج له أبو داود حديث «ستفتح عليكم الأمصار وتجندون أجناداً» وأخرج له ابن ماجه عن أبي أيوب «رأيت النبي ﷺ توضأ فخلل لحيته» وحديثاً آخر في تفسير قوله تعالى ﴿حتى تستأنسوا﴾ وأخرج له الترمذي حديث «خيل الجنة» فقط ورواه أبو نعيم من حديث جابر بن نوح عن واصل به وقال: «إن أهل الجنة ليتزاورون على نجائب بيض كأنها الياقوت وليس في الجنة من البهائم إلا الخيل والإبل» وقال أبو الشيخ حدثنا القاسم بن زكريا حدثنا سويد بن سعيد حدثنا مروان بن معاوية عن أبي الحكم عن أبي خالد عن الحسن البصري عن جابر بن عبد الله عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لها أجنحة لا تبول ولا تروث فقعدوا عليها ثم طارت بهم في الجنة فيتجلى لهم الجبار فإذا رأوه خروا سجداً فيقول لهم الجبار تعالى: «ارفعوا رؤوسكم فإن هذا ليس يوم عمل إنما هو يوم نعيم وكرامة» فيرفعون رؤوسهم فيمطر اللّه عليهم طيباً فيمرون بكثبان المسك فيبعث اللّه على تلك الكثبان ريحاً فتهيجها عليهم حتى أنهم ليرجعون إلى أهليهم وأنهم لشعث

غبر» وقال عبد الله بن المبارك حدثنا همام عن قتادة عن عبد الله بن عمرو قال: «في الجنة عتاق الخيل وكرائم النجائب».

الباب التاسع والخمسون
في زيارة أهل الجنة بعضهم بعضاً وتذاكرهم ما كان بينهم في الدنيا

قال تعالى: ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم أنى كان لي قرين يقول ائنك لمن المصدقين أئذا متنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا لمدينون، قال هل أنتم مطلعون فاطلع فرآه في سواء الجحيم، قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ فأخبر سبحانه وتعالى أن أهل الجنة أقبل بعضهم على بعض يتحدثون ويسأل بعضهم بعضاً عن أحوال كانت في الدنيا فأفضت بهم المحادثة والمذاكرة إلى أن قال قائل منهم إني كان لي قرين في الدنيا ينكر البعث والدار الآخرة ويقول ما حكاه الله عنه يقول أئنك لمن المصدقين بأنا نبعث ونجازى بأعمالنا ونحاسب بها بعد أن مزقنا البلى وكنا تراباً وعظاماً ثم يقول المؤمن لاخوانه في الجنة هل أنتم مطلعون في النار لننظر منزلة قريني هذا وما صار إليه، هذا أظهر الأقوال وفيها قولان آخران (أحدهما) أن الملائكة تقول لهؤلاء المتذاكرين الذين يحدث بعضهم بعضاً هل أنتم مطلعون رواه عطاء عن ابن عباس (والثاني) أنه من قول الله عز وجل لأهل الجنة يقول لهم هل أنتم مطلعون والصحيح القول الأول وأن هذا قول المؤمن لاصحابه ومحادثيه والسياق كله والأخبار عنه وعن حال قرينه قال كعب «بين الجنة والنار كوى فإذا أراد المؤمن أن ينظر إلى عدو كان له في الدنيا اطلع من بعض تلك الكوى» (وقوله) فاطلع أي أشرف قال مقاتل لما قال لأهل الجنة هل أنتم مطلعون قالوا له أنت أعرف به منا فاطلع أنت فأشرف فرأى قرينه في سواء الجحيم ولولا أن الله عرفه إياه لما عرفه لقد تغير وجهه ولونه وغيره العذاب أشد تغيير فعندها قال تالله إن كدت لتردين ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين أي أن كدت لتهلكني ولولا أن أنعم الله علي بنعمته لكنت من المحضرين معك في العذاب وقال تعالى ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم إنا كنا من قبل ندعوه أنه هو البر الرحيم﴾ وقال الطبراني حدثنا الحسن بن إسحاق

حدثنا سهل بن عثمان حدثنا المسيب بن شريك عن بشر بن نمير عن القاسم عن أبي أمامة قال سئل رسول اللّه ﷺ: «أيتزاور أهل الجنة؟ قال يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى إلا الذين يتحابون في الله يأتون منها حيث شاؤا على النوق محتقبين الحشايا»[1] وقال الدورقي حدثنا أبو سلمة التبوذكي حدثنا سليمان بن المغيرة عن حميد بن هلال قال: «بلغنا أن أهل الجنة يزور الأعلى الأسفل ولا يزور الأسفل الأعلى» وقد تقدم حديث علقمة بن مرثد عن يحيى بن إسحاق عن عطاء بن يسار عن أبي هريرة وقال الطبراني حدثنا محمد بن عبدوس حدثنا الحسن بن حماد حدثنا جابر بن نوح عن واصل بن السائب عن أبي سورة عن أبي أيوب يرفعه «إن أهل الجنة يتزاورون على النجائب» وقد تقدم فأهل الجنة يتزاورون فيها ويستزير بعضهم بعضاً وبذلك تتم لذتهم وسرورهم ولهذا قال حارثة للنبي ﷺ وقد سأله «كيف أصبحت يا حارثة؟ قال أصبحت مؤمناً حقاً، قال إن لكل حق حقيقة فما حقيقة إيمانك؟ قال عزفت نفسي عن الدنيا فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، وإلى أهل الجنة يتزاورون فيها وإلى أهل النار يعذبون فيها، فقال عبد نور اللّه قلبه» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا عبد اللّه حدثنا سلمة بن شبيب حدثنا سعيد بن دينار عن الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس قال قال رسول اللّه ﷺ: «إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الأخوان بعضهم إلى بعض قال فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعاً فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر اللّه لنا؟ فيقول صاحبه يوم كنا في موضع كذا وكذا فدعونا اللّه فغفر لنا» قال وحدثني حمزة بن العباس أنبأنا عبد الله بن عثمان أنبأنا ابن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن مانع أن رسول الله ﷺ قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب وأنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول فيركبونها حتى ينتهوا حيث شاء اللّه عز وجل فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت فيقولون أمطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث الله ريحاً غير مؤذية فتنسف كثائب من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذ ذلك المسك في نواص خيولهم وفي مفارقهم وفي رؤوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فيتعلق ذلك المسك في

---

(١) أي جعلوا وراءهم الفرش.

تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء الله تعالى فإذا المرأة تنادي بعض أولئك يا عبد الله أما لك فينا حاجة؟ فيقول ما أنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة أو ما علمت أن لله قال **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾** فيقول بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً لا يلتفت ولا يعود ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم والكرامة حدثني حمزة أنبأني عبد الله بن عثمان أنبأنا بن المبارك أنبأنا رشدين بن سعد قال حدثني ابن أنعم أن أبا هريرة قال «إن أهل الجنة ليتزاورن على العيس[١] الجون عليها رحال الميس[٢] تثير مناسمها[٣] غبار المسك، خطام أو زمام أحدها خير من الدنيا وما فيها» وذكر ابن أبي الدنيا من حديث أبي اليمان حدثنا إسماعيل بن عياش عن عمرو بن محمد عن زيد بن أسلم عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه سأل جبريل عن هذه الآية **﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾** قال هم الشهداء يبعثهم الله متقلدين أسيافهم حول عرشه فأتاهم ملائكة من المحشر بنجائب من ياقوت أزمتها الدر الأبيض برحال الذهب أعناقها السندس والاستبرق ونمارقها ألين من الحرير مد خطاها مد أبصار الرجال يسيرون في الجنة على خيول يقولون عند طول النزهة انطلقوا بنا ننظر كيف يقضي الله بين خلقه يضحك الله إليهم وإذا ضحك الله إلى عبد في موطن فلا حساب عليه» قال ابن أبي الدنيا وحدثنا الفضل بن جعفر بن حسن حدثنا أبي عن الحسن بن علي عن علي قال: «سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن في الجنة لشجرة يخرج من أعلاها حلل ومن أسفلها خيل من ذهب مسرجة ملجمة من در وياقوت لا تروث ولا تبول لها أجنحة خطوها مد بصرها فيركبها أهل الجنة فتطير بهم حيث شاؤوا فيقول الذين أسفل منهم درجة يا رب بما بلغ عبادك هذه الكرامة؟ قال فيقال لهم كانوا يصلون في الليل وكنتم تنامون، وكانوا يصومون وكنتم تأكلون، وكانوا ينفقون وكنتم تبخلون وكانوا يقاتلون وكنتم تجبنون»

---

(١) هي الإبل البيض مع سواد يسير.

(٢) الميس شجر صلب تعمل منه أكوار الإبل ورحالها.

(٣) أي اخفافها. ع.

(فصل)

ولهم زيارة أخرى أعلى من هذه وأجل وذلك حين يزورون ربهم تبارك وتعالى فيريهم وجهه ويسمعهم كلامه ويحل عليهم رضوانه وسيمر بك ذكر هذه الزيارة عن قريب إن شاء الله.

الباب الستون
في ذكر سوق الجنة وما أعد اللّه تعالى فيه لأهلها

قال مسلم في صحيحه حدثنا سعيد بن عبد الجبار الصيرفي حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت البناني عن أنس بن مالك أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسناً وجمالاً فيقول لهم أهلوهم واللّه لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون واللّه وأنتم لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً» ورواه الإمام أحمد في مسنده عن عفان عن حماد بن سلمة وقال «فيها كثبان المسك فإذا خرجوا إليها هبت الريح» وقال ابن أبي عاصم في كتاب السنة حدثنا هشام بن عمار حدثنا عبد الحميد بن حبيب بن أبي العسر عن الأوزاعي عن حسان بن عطية عن سعيد بن المسيب أنه لقي أبا هريرة فقال أبو هريرة: «اسأل اللّه أن يجمع بيني وبينك في سوق الجنة فقال سعيد أو فيها سوق؟ قال نعم، أخبرني رسول اللّه ﷺ «أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوها بفضل أعمالهم فيؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة عن أيام الدنيا فيزورون اللّه تبارك وتعالى فيبرز لهم عرشه ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة فيوضع لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ياقوت ومنابر من ذهب ومنابر من فضة ويجلس أدناهم وما فيها دنى على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً، قال أبو هريرة وهل نرى ربنا عز وجل؟ قال نعم، قال هل تمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر؟ قلنا لا، قال فكذلك لا تمارون في رؤية ربكم ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره اللّه محاضرة حتى يقول يا فلان ابن فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا فيذكره ببعض غدراته في الدنيا، فيقول بلى أفلم تغفر لي، فيقول بلى فبمغفرتي بلغت منزلتك هذه: قال

فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة من فوقهم فأمطرت عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه شيئاً قط ، قال ثم يقول ربنا تبارك وتعالى قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة فخذوا ما اشتهيتم، قال فيأتون سوقاً قد حفت بها الملائكة فيها ما لم تنظر العيون إلى مثله ولم تسمع الآذان ولم يخطر على القلوب قال فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيه ولا يشترى، وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً، قال فيقبل ذو البزة المرتفعة فيلقى من هو دونه وما فيهم دني فيروعه ما يرى عليه من اللباس والهيئة فما ينقضي آخر حديثه حتى يتمثل عليه أحسن منه وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها قال ثم ننصرف إلى منازلنا فيلقانا أزواجنا فيقلن مرحباً وأهلاً بحبنا لقد جئت وأن بك من الجمال والطيب أفضل مما فارقتنا عليه؛ فتقول أنا جالسنا اليوم ربنا الجبار عز وجل ويحقنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا» ورواه الترمذي في صفة الجنة عن محمد بن إسماعيل عن هشام بن عمار رواه ابن ماجه عن هشام بن عمار وليس في هذا الإسناد من ينظر فيه إلا عبد الحميد بن حبيب وهو كاتب الأوزاعي فلا ننكر عليه تفرده عن الأوزاعي بما لم يروه غيره وقد قال الإمام أحمد وأبو حاتم الرازي هو ثقة وأما دحيم والنسائي فضعفاه ولا نعرف أنه حدث عن غير الأوزاعي والترمذي قال في هذا الحديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه «قلت» وقد رواه ابن أبي الدنيا عن الحكم بن موسى حدثنا هقل بن زياد عن الأوزاعي قال؟ نبئت أن سعيد بن المسيب لقي أبا هريرة فذكره وقال الترمذي حدثنا أحمد بن منيع حدثنا أبو معاوية أنبأنا عبد الرحمن بن إسحاق عن النعمان بن سعد عن علي بن أبي طالب قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «إن في الجنة لسوقاً ما فيها شراء ولا بيع إلا الصور من الرجال والنساء فإذا اشتهى الرجل الصورة دخل فيها» قال هذا حديث غريب وقال عبد اللّٰه بن المبارك أنبأنا سليمان التيمي عن أنس بن مالك قال: يقول أهل الجنة انطلقوا إلى السوق فينطلقون إلى كثبان المسك فإذا رجعوا إلى أزواجهم قالوا أنا لنجد لكن ريحاً ما كانت لكن، قال فيقلن لقد رجعتم بريح ما كانت لكم إذ خرجتم من عندنا» قال ابن المبارك وأنبأنا حميد الطويل عن أنس بن مالك قال: «إن في الجنة سوقاً كثبان مسك يخرجون إليها ويجتمعون إليها فيبعث الله ريحاً فتدخلها بيوتهم فيقول لهم أهلوهم إذا رجعوا إليهم قد ازددتم حسناً بعدنا فيقولون لأهليهم قد ازددتم أيضاً بعدنا حسناً» وقال الحافظ محمد بن عبد الله الحضرمي المعروف بمطين حدثنا أحمد بن محمد بن

طريف البجلي حدثنا أبي حدثنا محمد بن كثير حدثني جابر الجعفي عن أبي جعفر عن علي بن الحسين عن جابر بن عبد الله قال: «خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن مجتمعون فقال يا معشر المسلمين أن في الجنة لسوقاً ما يباع فيها ولا يشترى إلا الصور من أحب صورة من رجل أو امرأة دخل فيها» والله أعلم.

الباب الحادي والستون
في ذكر زيارة أهل الجنة ربهم تبارك وتعالى

قال الإمام الشافعي رضي الله عنه في مسنده حدثنا إبراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني أبو الأزهر معاوية بن إسحاق بن طلحة عن عبد الله بن عبيد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك يقول: «أتى جبريل بمرآة بيضاء فيها وكتب إلى النبي ﷺ فقال النبي ﷺ ما هذه؟ قال الجمعة فضلت بها أنت وأمتك فالناس لكم فيها تبع اليهود والنصارى. ولكم فيها خير وفيها ساعة لا يوافقها مؤمن يدعو الله بخير ألا أستجيب له وهو عندنا يوم المزيد، قال النبي ﷺ يا جبريل وما يوم المزيد؟ قال أن ربك اتخذ في الفردوس وادياً أفيح فيه كثب المسك فإذا كان يوم القيامة أنزل الله تبارك وتعالى ما شاء من ملائكته وحوله منابر من نور عليها مقاعد النبيين، وحف تلك المنابر بمنابر من ذهب مكللة بالياقوت والزبرجد عليها الشهداء والصديقون فجلسوا من ورائهم على تلك الكتب فيقول الله تعالى أنا ربكم قد صدقتم وعدي فسلوني أعطكم، فيقولون، ربنا نسئلك رضوانك، فيقول قد رضيت عنكم ولكم على ما تمنيتم، ولدي مزيد، فهم يحبون يوم الجمعة لما يعطيهم فيه ربهم من الخير وهو اليوم الذي استوى فيه ربكم على العرش وفيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام وفيه تقوم الساعة» ولهذا الحديث طرق سنشير إليها في باب المزيد إن شاء الله تعالى وروى أبو نعيم من حديث شيبان بن خيبر بن فرقد عن الحسن عن أبي برزة الأسلمي عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة ليغدون في حلة ويروحون في أخرى كغدو أحدكم ورواحه إلى ملك من ملوك الدنيا، كذلك يغدون ويروحون إلى زيارة ربهم عز وجل وذلك لهم بمقادير ومعالم يعلمون تلك الساعة التي يأتون فيها ربهم عز وجل» قال وروى جعفر بن حسن بن فرقد عن أبيه مثله وذكر أو نعيم أيضاً من حديث أبي إسحاق عن الحارث عن علي قال: «إذا سكن أهل الجنة الجنة أتاهم ملك فيقول لهم إن الله

تبارك وتعالى يأمركم أن تزوروه فيجتمعون فيأمر الله تبارك وتعالى داود عليه السلام فيرفع صوته بالتسبيح والتهليل ثم يوضع مائدة الخلد قالوا يا رسول الله وما مائدة الخلد؟ قال زاوية من زواياها أوسع مما بين المشرق والمغرب فيطعمون ثم يسقون ثم يكسون فيقولون لم يبق إلا النظر في وجه ربنا عز وجل فيتجلى لهم فيخرون سجداً فيقال لهم لستم في دار عمل إنما أنتم في دار جزاء» وقال ابن أبي الدنيا حدثنا أبو موسى إسحاق بن إبراهيم الهروي حدثنا القاسم بن يزيد الموصلي قال حدثني أبو الياس قال حدثني محمد بن علي بن الحسين قال قال رسول اللّه ﷺ وقال أبو نعيم حدثنا محمد بن علي بن حنيش حدثنا إبراهيم بن شريك حدثنا أحمد بن يونس حدثنا المعافي بن عمران وكان من خيار الناس قال حدثني إدريس بن سنان عن وهب بن منبه عن محمد بن علي قال إدريس ثم لقيت محمد بن علي بن الحسين بن فاطمة فحدثني قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن في الجنة شجرة يقال لها طوبى لو سخر الجواد الراكب أن يسير في ظلها لسار فيها مائة عام، ورقها برود خضر، وزهرها رياض صفر، وأقبابها سندس واستبرق، وثمرها حلل وصمغها زنجبيل وعسل، وبطحاؤها ياقوت أحمر وزمرد أخضر، وترابها مسك وحشيشها زعفران، منيع وإلا لنجوج يؤججان من غير وقود ويتفجر من أصلها أنهار السلسبيل والمعين والرحيق وظلها مجلس من مجالس أهل الجنة يألفونه ومتحدث يجمعهم، افبينما هم يوماً يتحدثون في ظلها إذ جاءتهم الملائكة يقودون نجباً جبلت من الياقوت ثم نفخ فيها الروح مزمومة بسلاسل من ذهب كان وجوهها المصابيح نضارة وحسناً، وبرها خز أحمر ومرعزى أبيض مختلطان لم ينظر الناظرون إلى مثلها عليها رحائل ألواحها من الدر والياقوت مفصصة باللؤلؤ والمرجان وصفافها من الذهب الأحمر، ملبسة بالعبقري والأرجوان فأناخوا إليهم تلك النجائب ثم قالوا لهم إن ربكم تبارك وتعالى يقرئكم السلام ويستزيركم لتنظروا إليه وينظر إليكم وتحيونه ويحييكم ويكلمكم وتكلمونه ويزيدكم من سعته وفضله إنه ذو رحمة واسعة وفضل عظيم فيتحول كل رجل منهم على راحلته ثم انطلقوا صفاً واحداً معتدلاً لا يفوق منه شيء شيئاً ولا يقرب أذن الناقة أذن صاحبتها ولا تركب ناقة بركت صاحبتها ولا يمرون بشجر من أشجار الجنة إلا اتحفتهم بثمرها ورحلت لهم عن طريقهم، كراهية أن ينثلم صفهم أو يفرق بين الرجل ورفيقه، فلما دفعوا إلى الجبار تبارك وتعالى أسفر لهم عن وجهه الكريم وتجلى لهم في عظمته

العَظيمة فقالوا ربنا أنت السلام ومنك السلام ولـك حق الجلال والإكـرام، فقال لهم ربهم تبارك وتعالى أني السلام ومني السلام ولي حق الجلال والإكرام مرحباً بعبادي الذين حفظوا وصيتي وراعوا عهدي وخافوني بالغيب وكانوا مني على كل حال مشفقين قالوا وعزتك وجلالك وعلو مكانك ما قدرناك حق قدرك وما أدينا إليك كل حقك فائذن لنا بالسجـود لك فقـال لهم ربهم تبارك وتعـالى أني قد وضعت عنكم مؤنـة العبـادة وراحت لكم أبدانكم فلطالما ما أتعبتم لي الأبدان وأعنيتم لي الوجوه فـالآن أفضيتم إلى روحي ورحمتي وكرامتي فاسئلوني ما شئتم وتمنوا علي أعطكم أمانيكم فإني لن أجزيكم اليوم بقدر أعمالكم ولكن بقدر رحمتي وكرامتي وطولي وجلالي وعلو مكاني وعظمة شأني، فلا يزالون في الأماني والعطايا والمواهب حتى أن المقتصر من أمنيته ليتمنى مثل جميع الدنيا منذ خلقها الله عز وجل إلى يوم أفناها فقال لهم ربهم عز وجل لقد قصرتم في أمانيكم ورضيتم بدون ما يحق لكم فقد أوجبت لكم ما سألتم وتمنيتم وألحقت بكم ذريتكم وزدتكم ما قصرت عنه أمانيكم» ولا يصـح رفعه إلى النبي ﷺ وحسبه أن يكون من كلام محمد بن علي فغلط فيه بعض هؤلاء الضعفاء فجعله من كلام النبي ﷺ وإدريس بن سنان هذا هو سبط وهب بن منبه ضعفه ابن عـدي وقال الدارقطني متروك وأما أبو الياس المتابع لـه فلا يـدري من هو وأمـا القاسم بن يـزيد الموصلي الراوي عنه فمجهول أيضاً ومثل هذا لا يصح رفعه والله أعلم وقال الضحاك في قوله عز وجل ﴿**يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفداً**﴾ قال على النجائب عليهـا الرحال.

الباب الثاني والستون
في ذكر السحاب والمطر الذي يصيبهم في الجنة

قد تقدم في حديث سوق الجنة أنه يغشاهم يوم الزيارة سحابة من فوقهم فتمطر عليهم طيباً لم يجدوا مثل ريحه قط، وقال بقية بن الوليد حدثنا بحيـر بن سعيد عن خالد بن معدان عن كثير بن مرة قال: «إن من المـزيد أن تمـر السحابـة بأهـل الجنة فتقول ماذا تـريدون أن أمـطركم؟ فلا يتمنـون شيئاً إلا أمـطروا» وقال ابن أبي الـدنيا حدثني أزهر بن مـروان حدثنا عبد اللّه بن عبد اللّه الشيباني عن عبد الرحمن بن بديل عن أبيه عن صفي اليماني قال سأله عبد العزيز بن مروان عن وفد أهـل الجنة قـال:

«إنهم يفدون إلى اللّه سبحانه وتعالى كل يوم خميس فتوضع لهم أسرة، كل إنسان منهم أعرف بسريره منك بسريرك هذا الذي أنت عليه فإذا قعدوا عليه وأخذ القوم مجالسهم قال اللّه تعالى : «اطعموا عبادي وخلقي وجيراني ووفدي فيطعموا ثم يقول أسقوهم قال فيأتون بآنية من ألوان شتى مختمة فيشربون منها ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا فكهوهم فتجيء ثمرات شجر تدلى فيأكلون منها ما شاؤا. ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا اكسوهم حللاً وقمصاً، ثم يقول عبادي وخلقي وجيراني ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا طيبوهم فيتناثر عليهم المسك مثل رذاذ المطر ، ثم يقول عبادي وجيراني وخلقي ووفدي قد طعموا وشربوا وفكهوا وكسوا وطيبوا لأتجلين لهم حتى ينظروا إلي فإذا تجلى لهم فنظروا إليه نضرت وجوههم، ثم يقال لهم ارجعوا إلى منازلكم فتقول لهم أزواجهم خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها فيقولون ذلك أن اللّه تباركاؤه تجلى لنا فنظرنا إليه فنضرت وجوهنا» وقال عبد اللّه بن المبارك أنبأنا إسماعيل بن عياش قال حدثني ثعلبة بن مسلم عن أيوب بن بشير العجلي عن شفي بن مانع أن رسول اللّه ﷺ قال: «إن من نعيم أهل الجنة أنهم يتزاورون على المطايا والنجب أنهم يؤتون في الجنة بخيل مسرجة ملجمة لا تروث ولا تبول يركبونها حتى ينتهوا حيث شاء اللّه فيأتيهم مثل السحابة فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، فيقولون امطري علينا فما يزال المطر عليهم حتى ينتهي ذلك فوق أمانيهم، ثم يبعث اللّه ريحاً غير مؤذية فتنسف كثباناً من مسك عن أيمانهم وعن شمائلهم فيأخذون ذلك المسك في نواصي خيولهم وفي مفارقها وفي رؤوسهم ولكل رجل منهم جمة على ما اشتهت نفسه فتعلق ذلك المسك في تلك الجمام وفي الخيل وفيما سوى ذلك من الثياب ثم يقبلون حتى ينتهوا إلى ما شاء اللّه فإذا المرأة تنادي بعض أولئك يا عبد اللّه أما لك فينا من حاجة؟ فيقول ما أنت ومن أنت؟ فتقول أنا زوجتك وحبك فيقول ما كنت علمت بمكانك، فتقول المرأة أو ما تعلم أن اللّه تعالى قال ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ فيقول بلى وربي فلعله يشتغل عنها بعد ذلك الموقف أربعين خريفاً ما يشغله عنها إلا ما هو فيه من النعيم ».

(فصل)

وقد جعل اللّه سبحانه وتعالى السحاب وما يمطره سبباً للرحمة والحياة في هذه الدار ويجعله سبباً لحياة الخلق في قبورهم حيث يمطر على الأرض أربعين صباحاً مطراً متداركاً من تحت العرش فينبتون تحت الأرض كنبات الزرع ويبعثون يوم القيامة والسماء تطش عليهم وكأنه واللّه أعلم أثر ذلك المطر العظيم كما يكون في الدنيا ويثير لهم سحاباً في الجنة يمطرهم ما شاؤوا من طيب وغيره. وكذلك أهل النار ينشيء لهم سحاباً يمطر عليهم عذاباً إلى عذابهم كما أنشأ لقوم هود وقوم شعيب سحاباً أمطر عليهم عذاباً أهلكهم فهو سبحانه ينشئه للرحمة والعذاب.

الباب الثالث والستون
في ذكر ملك الجنة وأن أهلها كلهم ملوك فيها

قال تعالى ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ قال ابن أبي نجيح عن مجاهد «ملكاً كبيراً قال عظيماً وقال استئذان الملائكة عليهم لا تدخل الملائكة عليهم إلا بإذن وقال كعب في قوله تعالى: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾ يرسل إليهم ربهم الملائكة فتأتي الملائكة فتستأذن عليهم الملائكة» وقال بعضهم الخدم ولا يدخل عليهم الملائكة إلا بإذن، وقال الحكم بن أبان عن عكرمة عن ابن عباس أنه ذكر مراكب أهل الجنة ثم تلا وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً. وقال ابن أبي الحواري سمعت أبا سليمان يقول في قوله عز وجل: ﴿وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً﴾قال الملك الكبير أن رسول اللّه يأتيه بالتحفة واللطف فلا يصل إليه حتى يستأذن له عليه فيقول للحاجب استأذن على ولي اللّه فأني لست أصل إليه، فيعلم ذلك الحاجب حاجباً آخر وحاجباً بعد حاجب، ومن داره إلى دار السلام باب يدخل منه على ربه إذا شاء بلا إذن، فالملك الكبير أن رسول رب العزة لا يدخل عليه إلا بإذن وهو يدخل على ربه بلا إذن. وقال ابن أبي الدنيا حدثنا صالح بن مالك حدثنا صالح المري حدثنا يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك يرفعه: «إن أسفل أهل الجنة أجمعين درجة من يقوم على رأسه عشرة آلاف خادم» حدثنا محمد بن عباد بن موسى أنبأنا زيد بن الحباب عن أبي هلال الراسبي أنبأنا الحجاج بن عتاب العبدي عن

عبد اللّه بن معبد الزماني عن أبي هريرة قال «إن أدنى أهل الجنة منزلة وليس فيهم دنيء من يغدو عليه كل يوم ويروح خمسة عشر ألف خادم ليس منهم خادم إلا ومعه طرفة ليست مع صاحبه» وحدثني محمد بن عباد حدثنا زيد بن الحباب عن أبي هلال حدثنا حميد بن هلال: «قال ما من رجل من أهل الجنة إلا وله ألف خازن ليس منهم خازن الأعلى عمل ليس عليه صاحبه» وحدثني هارون بن سفيان أنبأنا محمد بن عمر أنبأنا الفضل بن فضالة عن زهرة بن معبد عن أبي عبد الرحمن الحبلي قال: «إن العبد أول ما يدخل الجنة يتلقاه سبعون ألف خادم كأنهم اللؤلؤ» حدثني هارون بن سفيان حدثنا محمد بن عمر أنبأنا محمد بن هلال عن أبيه عن أبي هريرة قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة وما فيهم دنيء لمن يغدو عليه عشرة آلاف خادم مع كل خادم طرفة ليست مع صاحبه» وقال عبد اللّه بن المبارك حدثنا يحيى بن أيوب حدثني عبد اللّه بن رجز عن محمد بن أبي أيوب المخزومي عن أبي عبد الرحمن المغافري قال: «إنه ليصف للرجل من أهل الجنة سماطان لا يرى طرفاهما من غلمانه حتى إذا مر مشوا وراءه» وقال أبو خيثمة حدثنا الحسن بن موسى حدثنا ابن لهيعة حدثنا دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد قال قال رسول اللّه ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة الذي له ثمانون ألف خادم واثنتان وسبعون زوجة وتنصب له قبة من لؤلؤ وياقوت وزبرجد كما بين الجابية وصنعاء» وقال عبد اللّه بن المبارك أنبأنا بقية بن الوليد حدثني أرطأة بن المنذر قال سمعت رجلاً من مشيخة الجند يقال له أبو الحجاج قال جلست إلى أبي أمامة فقال: «إن المؤمن يكون متكئاً على أريكة إذا دخل الجنة وعنده سماطان من الخدم وعند طرف السماطين باب مبوب فيقبل الملك من ملائكة اللّه عز وجل ليستأذن فيقوم أدنى الخدم إلى الباب فإذا هو بالملك يستأذن فيقول للذي يليه ملك يستأذن ويقول للذي يليه ملك يستأذن حتى يبلغ المؤمن فيقول ائذنوا له فيقول أقربهم إلى المؤمن ائذنوا له ويقول الذي يليه للذي يليه ائذنوا له كذلك حتى يبلغ أقصاهم الذي عند الباب فيفتح له فيدخل فيسلم ثم ينصرف» وقال ابن أبي الدنيا حدثني محمد بن الحسن حدثنا قبيصة حدثنا سليمان العنبري عن الضحاك بن مزاحم قال: «بينا ولي اللّه في منزله إذ أتاه رسول من اللّه عز وجل فقال للآذن استأذن لرسول اللّه على ولي اللّه فيدخل الآذن فيقول له يا ولي اللّه هذا رسول من اللّه يستأذن عليك قال ائذن له فيأذن له فيدخل على ولي اللّه فيضع ما بين يديه تحفة فيقول يا ولي اللّه إن ربك يقرأ عليك السلام

ويأمرك أن تأكل من هذه، قال فيشبهه بطعام أكله أيضاً فيقول إنما أكلت هذا الآن فيقول أن ربك يأمرك أن تأكل منها فيأكل منها فيجد منها طعم كل ثمرة في الجنة قال فذلك قوله تعالى ﴿وأتوا به متشابهاً﴾ وفي صحيح مسلم من حديث المغيرة بن شعبة عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال هو رجل يجيء بعد ما أدخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا؟ فيقول رضيت ربي فيقول له لك ذلك ومثله ومثله ومثله ومثله فقال في الخامسة رضيت ربي فيقول هذا لك وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك فيقول رضيت ربي» وذكر الحديث وقد تقدم ذكره بتمامه (وقال البزار) في مسنده حدثنا محمد بن المثنى حدثنا المغيرة بن سلمة حدثنا وهيب عن الحريري عن أبي بصرة عن أبي سعيد قال: «خلق اللّه الجنة لبنة من فضة ولبنة من ذهب وغرسها بيده وقال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فدخلتها الملائكة فقالت طوبى لك منزل الملوك» هكذا رواه وهيب عن الحريري موقوفاً ورواه عدي بن الفضل عن الحريري فرفعه وقال البزار ولا نعلم أحداً رفعه إلا عدي بن الفضل بهذا الإسناد وعدي بن الفضل ليس بالحافظ وهو شيخ بصري قلت عدي وابن الفضل هذا انفرد به ابن ماجه وقد ضعفه يحيى بن معين وأبو حاتم والحديث صحيح موقوف واللّه أعلم وقد تقدم ذكر التيجان على رؤوسهم وإنما يلبسها الملوك.

الباب الرابع والستون
في أن الجنة فوق ما يخطر بالبال أو يدور في الخيال
وأن موضع سوط منها خير من الدنيا وما فيها

قال تعالى: ﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ وتأمل كيف قابل ما أخفوه من قيام الليل بالجزاء الذي أخفاه لهم مما لا تعلمه نفس وكيف قابل قلقهم وخوفهم واضطرابهم على مضاجعهم حين يقوموا إلى صلاة الليل بقرة الأعين في الجنة (وفي الصحيحين) من حديث أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «قال اللّه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت

ولا خطر على قلب بشر، مصداق ذلك في كتاب اللّه **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**» وفي لفظ آخر فيهما «يقول اللّه عز وجل أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ذخراً بله ما أطلعتكم عليه ثم قرأ فلا تعلم نفس الآية» وفي بعض طرق البخاري «قال أبو هريرة: اقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين» وفي صحيح مسلم من حديث سهل بن سعد الساعدي قال: «شهدت مع النبي ﷺ مجلساً وصف فيه الجنة حتى انتهى ثم قال في آخر حديثه فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قرأ هذه الآية **﴿تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً وطمعاً ومما رزقناهم ينفقون، فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾**» (وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «لقاب قوس أحدكم في الجنة خير مما طلعت عليه الشمس أو تغرب» وقد تقدم حديث أبي أمامة عن النبي ﷺ: «ألا مشمر للجنة فإن الجنة لا خطر لها هي ورب الكعبة نور يتلألأ وريحانة تهتز وقصر مشيد ونهر مطرد وثمرة نضيجة وزوجة حسناء جميلة وحلل كثيرة ومقام في أبد في دار سليمة وفاكهة وخضرة وحبرة ونعمة ومحلة عالية بهية» ولو لم يكن من خطر الجنة وشرفها إلا أنه لا يسأل بوجه اللّه غيرها لكفاها شرفاً وفضلاً كما في سنن أبي داود من محمد حديث سليمان بن معاذ عن بن المنكدر عن جابر رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ: «لا يسأل بوجه اللّه إلا الجنة» وفي معجم الطبراني من حديث بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال قال رسول اللّه ﷺ: «لما خلق اللّه جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون» وفي صحيح البخاري من حديث سهل بن سعد قال: «سمعت رسول اللّه ﷺ يقول موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها» (وقال الإمام أحمد) حدثنا عبد الرزاق حدثنا معمر عن همام عن أبي هريرة قال قال رسول اللّه ﷺ: «لقيد سوط أحدكم من الجنة خير مما بين السماء والأرض» وهذا الإسناد على شرط الصحيحين وقال الترمذي حدثنا سويد بن نصر حدثنا ابن المبارك أنبأنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب عن داود بن عامر بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «لو أن أقل ظفر مما في الجنة بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض، ولو أن رجلاً من

أهل الجنة اطلع فبدا أساوره طمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء الكواكب» قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه بهذا الإسناد إلا من حديث ابن لهيعة وقد روى يحيى بن أيوب هذا الحديث عن يزيد بن أبي حبيب وقال عن عمر بن سعد بن أبي وقاص عن النبي ﷺ قلت وقد رواه ابن وهب أنبأنا عمرو يعني ابن الحارث أن سليمان بن حميد حدثه أن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال سليمان لا أعلم إلا أنه حدثني عن أبيه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لو أن أقل ظفر من الجنة برز للدنيا لتزخرفت له ما بين السماء والأرض» وفي الباب عن أنس بن مالك وأبي سعيد الخدري وعبد اللّه بن عمرو بن العاص «وكيف يقدر قدر دار غرسها الله بيده وجعلها مقراً لأحبابه، وملأها من رحمته وكرامته ورضوانه، ووصف نعيمها بالفوز العظيم وملكها بالملك الكبير، وأودعها جميع الخير بحذافيره، وطهرها من كل عيب وآفة ونقص، فإن سألت عن أرضها وتربتها فهي المسك والزعفران، وأن سألت عن سقفها فهو عرش الرحمن، وإن سألت عن بلاطها فهو المسك الأذفر، وإن سألت عن حصبائها فهو اللؤلؤ والجوهر، وأن سألت عن بنائها فلبنة من فضة ولبنة من ذهب. وإن سألت عن أشجارها فما فيها شجرة إلا وساقها من ذهب وفضة ولا من الحطب والخشب. وإن سألت عن ثمرها فأمثال القلال ألين من الزبد وأحلى من العسل، وإن سألت عن ورقها فأحسن ما يكون من رقائق الحلل، وإن سألت عن أنهارها فأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى. وإن سألت عن طعامهم ففاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون، وإن سألت عن شرابهم فالتسنيم والزنجبيل والكافور، وإن سألت عن آنيتهم فآنية الذهب والفضة في صفاء القوارير. وإن سألت عن سعة أبوابها فبين المصراعين مسيرة أربعين من الأعوام، وليأتين عليه يوم وهو كظيظ من الزحام، وإن سألت عن تصفيق الرياح لأشجارها فإنها تستفز بالطرب لمن يسمعها. وإن سألت عن ظلها ففيها شجرة واحدة يسير الراكب المجد السريع في ظلها مائة عام لا يقطعها، وإن سألت عن سعتها فأدنى أهلها يسير في ملكه وسرره وقصوره وبساتينه مسيرة ألفي عام، وإن سألت عن خيامها وقبابها فالخيمة الواحدة من درة مجوفة طولها ستون ميلاً من تلك الخيام. وإن سألت عن علاليها وجواسقها فهي غرف من فوقها غرف مبنية تجري من تحتها الأنهار. وإن سألت عن ارتفاعها فانظر إلى الكوكب الطالع أو الغارب في الأفق الذي لا تكاد تناله الأبصار.

وإن سألت عن لباس أهلها فهو الحرير والذهب، وإن سألت عن فرشها فبطائنها من استبرق مفروشة في أعلى الرتب، وإن سألت عن أرائكها فهي الأسرة عليها البشخانات وهي الحجال مزررة بأزرار الذهب، فما لها من فروج ولا خلال. وإن سألت عن وجوه أهلها وحسنهم فعلى صورة القمر. وإن سألت عن أسنانهم فأبناء ثلاث وثلاثين على صورة آدم عليه السلام أبي البشر * وإن سألت عن سماعهم فغناء أزواجهم من الحور العين وأعلى منه سماع أصوات الملائكة والنبيين. وأعلى منهما خطاب رب العالمين. وإن سألت عن مطاياهم التي يتزاورون عليها فنجائب إن شاء اللّه مما شاء تسير بهم حيث شاؤا من الجنان. وإن سألت عن حليهم وشارتهم فأساور الذهب واللؤلؤ على الرؤوس ملابس التيجان* وإن سألت عن غلمانهم فولدان مخلدون كأنهم لؤلؤ مكنون. وإن سألت عن عرائسهم وأزواجهم فهن الكواعب الأتراب اللاتي جرى في أعضائهن ماء الشباب فللورد والتفاح ما لبسته الخدود. وللرمان ما تضمنته النهود وللؤلؤ المنظوم ما حوته الثغور. وللرقة واللطافة ما دارت عليه الخصور، تجري الشمس من محاسن وجهها إذا برزت، ويضيء البرق من بين ثناياها إذا ابتسمت، إذا قابلت حبها فقل ما تشاء في تقابل النيرين، وإذا حادثته فما ظنك بمحادثة الحبين. وإن ضمها إليه فما ظنك بتعانق الغصنين، يرى وجهه في صحن خدها كما يرى في المرآة التي جلاها صيقلها، ويرى مخ ساقها من وراء اللحم ولا يستره جلدها ولا عظمها ولا حللها. لو اطلعت على الدنيا لملأت ما بين الأرض والسماء ريحاً، ولاستنطقت أفواه الخلائق تهليلاً وتكبيراً وتسبيحاً، ولتزخرف لها ما بين الخافقين، ولا غمضت عن غيرها كل عين، ولطمست ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم، ولآمن من على ظهرها باللّه الحي القيوم. ونصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها، ووصالها أشهى إليه من جميع أمانيها، لا تزداد على طول الأحقاب إلا حسناً وجمالاً، ولا يزداد لها طول المدى إلا محبة ووصالاً، مبرأة من الحبل والولادة والحيض والنفاس، مطهرة من المخاط والبصاق والبول والغائط وسائر الأدناس، لا يفنى شبابها، ولا تبلى ثيابها. ولا يخلق ثوب جمالها. ولا يمل طيب وصالها. قد قصرت طرفها على زوجها فلا تطمح لأحد سواه. وقصر طرفه عليها فهي غاية أمنيته وهواه. إن نظر إليها سرته. وأن أمرها بطاعته أطاعته. وإن غاب عنها حفظته. فهو معها في غاية الأماني والأمان. هذا ولم يطمثها قبله أنس ولا جان. كلما

نظر إليها ملأت قلبه سروراً. وكلما حدثته ملأت أذنه لؤلؤاً منظوماً ومنثوراً. وإذا برزت ملأت القصر والغرفة نوراً * وإن سألت عن السن فأتراب في أعدل سن الشباب. وإن سألت عن الحسن فهل رأيت الشمس والقمر. وإن سألت عن الحدق فأحسن سواد في أصفى بياض في أحسن حور، وإن سألت عن القدود فهل رأيت أحسن الأغصان. وإن سألت عن النهود فهن الكواعب نهودهن كألطف الرمان. وإن سألت عن اللون فكأنه الياقوت والمرجان * وإن سألت عن حسن الخلق فهن الخيرات الحسان * اللاتي جمع لهن بين الحسن والإحسان * فأعطين جمال الباطن والظاهر * فهن أفراح النفوس وقرة النواظر * وإن سألت عن حسن العشرة ولذة ما هنالك فهن العرب المتحببات إلى الأزواج بلطافة التبعل التي تمتزج بالروح أي امتزاج. فما ظنك بامرأة إذا ضحكت في وجه زوجها أضاءت الجنة من ضحكها. وإذا انتقلت من قصر إلى قصر قلت هذه الشمس متنقلة في بروج فلكها. وإذا حاضرت زوجها فيا حسن تلك المحاضرة * وإن حاضرته فيا لذة تلك المعانقة والمخاصرة.

وحديثها السحر الحلال لو أنه ... لم يجن قتل المسلم المتحرز
إن طال لم يملل وإن هي حدثت ... ود المحدث أنها لم توجز

وإن غنت فيا لذة الأبصار والأسماع. وإن آنست وأمتعت فيا حبذا تلك المؤانسة والأمتاع. وإن قبلت فلا شيء أشهى إليه من ذلك التقبيل. وإن نولت فلا ألذ ولا أطيب من ذلك التنويل * هذا وإن سألت عن يوم المزيد وزيارة العزيز الحميد ورؤية وجهه المنزه عن التمثيل والتشبيه. كما ترى الشمس في الظهيرة والقمر ليلة البدر كما تواتر عن الصادق المصدوق النقل فيه. وذلك موجود في الصحاح والسنن والمسانيد. من رواية جرير وصهيب وأنس وأبي هريرة وأبي موسى وأبي سعيد. فاستمع يوم ينادي المنادي يا أهل الجنة إن ربكم تبارك وتعالى يستزيركم فحي على زيارته فيقولون سمعاً وطاعةً. وينهضون إلى الزيارة مبادرين. فإذا بالنجائب قد أعدت لهم فيستوون على ظهورها مسرّعين حتى إذا انتهوا إلى الوادي الأفيح الذي جعل لهم موعداً. وجمعوا هناك فلم يغادر الداعي منهم أحداً. أمر الرب تبارك وتعالى بكرسيه فنصب هناك ثم نصبت لهم منابر من نور ومنابر من لؤلؤ ومنابر من زبرجد ومنابر من ذهب ومنابر من فضة. وجلس أدناهم وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء. على كثبان المسك ما يرون أن أصحاب الكراسي فوقهم في العطايا حتى إذا استقرت بهم مجالسهم واطمأنت بهم

أماكنهم. نادى المنادي يا أهل الجنة أن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه. فيقولون ما هو؟ ألم يبيض وجوهنا ويثقل موازيننا. ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار. فبينما هم كذلك إذ سطع لهم نور أشرقت له الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار جل جلاله وتقدست أسماؤه قد أشرف عليهم. من فوقهم وقال يا أهل الجنة سلام عليكم فلا ترد هذه التحية بأحسن من قولهم اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام فيتجلى لهم الرب تبارك وتعالى يضحك إليهم ويقول يا أهل الجنة فيكون أول ما يسمعون منه تعالى أين عبادي الذين أطاعوني بالغيب ولم يروني فهذا يوم المزيد فيجتمعون على كلمة واحدة أن قد رضينا فارض عنا، فيقول يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لم أسكنكم جنتي. هذا يوم المزيد فاسألوني. فيجتمعون على كلمة واحدة أرنا وجهك ننظر إليه. فيكشف لهم الرب جل جلاله الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره ما لولا أن الله تعالى قضى أن لا يحترقوا لاحترقوا. ولا يبقى في ذلك المجلس أحد إلا حاضره ربه تعالى محاضرة حتى أنه ليقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا يذكره ببعض غدراته في الدنيا. فيقول يا رب ألم تغفر لي؟ فيقول بلى بمغفرتي بلغت منزلتك هذه فيا لذة الاسماع بتلك المحاضرة ويا قرة عيون الأبرار بالنظر إلى وجه الكريم في الدار الآخرة. ويا لذة الراجعين بالصفقة الخاسرة. ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة، ووجوه يومئذ باسرة. تظن أن يفعل بها فاقرة﴾.

فحي على جنات عدن فإنها ... منازلك الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى ... نعود إلى أوطاننا ونسلم

الباب الخامس والستون

في رؤيتهم ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم جهرة كما يرى القمر ليلة البدر وتجليه لهم ضاحكاً إليهم

هذا الباب أشرف أبواب الكتاب وأجلها قدراً وأعلاها خطراً وأقرها لعيون أهل السنة والجماعة وأشدها على أهل البدعة والضلالة وهي الغاية التي شمر إليها المشمرون وتنافس فيها المتنافسون. وتسابق إليها المتسابقون. ولمثلها فليعمل العاملون. إذا ناله أهل الجنة نسوا ما هم فيه من النعيم * وحرمانه والحجاب عنه لأهل

الجحيم أشد عليهم من عذاب الجحيم * اتفق عليها الأنبياء والمرسلون. وجميع الصحابة والتابعون. وأئمة الإسلام على تتابع القرون. وأنكرها أهل البدع المارقون. والجهمية المتهوكون والفرعونية المعطلون. والباطنية الذين هم من جميع الأديان منسلخون. والرافضة الذين هم بحبائل الشيطان متمسكون. ومن حبل اللّٰه منقطعون وعلى مسبة أصحاب رسول اللّٰه عاكفون. وللسنة وأهلها محاربون ولكل عدو للّٰه ورسوله ودينه مسالمون. وكل هؤلاء عن ربهم محجوبون وعن بابه مطرودون. أولئك أحزاب الضلال وشيعة اللعين. وأعداء الرسول وحزبه وقد أخبر اللّٰه سبحانه عن أعلم الخلق به في زمانه. وهو كليمه ونجيه وصفيه من أهل الأرض أنه سأل ربه تعالى النظر إليه فقال ربه تبارك وتعالى: ﴿لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً﴾ وبيان الدلالة من هذه الآية وجوه عديدة (أحدها) أنه لا يظن بكليم الرحمن ورسوله الكريم عليه أن يسأل ربه ما لا يجوز عليه بل هو من أبطل الباطل وأعظم المحال وهو عند فروخ اليونان والصابئة والفرعونية بمنزلة أن يسأله أن يأكل ويشرب وينام ونحو ذلك مما يتعالى اللّٰه عنه فيما للّٰه العجب كيف صار أتباع الصابئة والمجوس والمشركين عباد الأصنام وفروخ الجهمية والفرعونية أعلم باللّٰه تعالى من موسى بن عمران. وبما يستحيل عليه ويجب له وأشد تنزيهاً له منه!!؟ (الوجه الثاني) أن اللّٰه سبحانه وتعالى لم ينكر عليه سؤاله ولو كان محالاً لأنكره عليه. ولهذا لما سأل إبراهيم الخليل ربه تبارك وتعالى أن يريه كيف يحيي الموتى لم ينكر عليه. ولما سأل عيسى بن مريم ربه إنزال المائدة من السماء لم ينكر سؤاله. ولما سأل نوح ربه نجاة ابنه أنكر عليه سؤاله وقال «إني أعظك أن تكون من الجاهلين. قال رب إني أعوذ بك أن أسألك ما ليس لي به علم وألا تغفر لي وترحمني أكن من الخاسرين» (الوجه الثالث) أنه أجابه بقوله لن تراني ولم يقل لا تراني ولا أني لست بمرئي ولا تجوز رؤيتي والفرق بين الجوابين ظاهر لمن تأمله. وهذا يدل على أنه سبحانه وتعالى يرى ولكن موسى لا تحتمل قواه رؤيته في هذه الدار لضعف قوة البشر فيها عن رؤيته تعالى «يوضحه الوجه الرابع» وهو قوله ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فأعلمه أن الجبل مع قوته وصلابته لا يثبت لتجليه له في هذه الدار فكيف بالبشر الضعيف الذي خلق من ضعف (الوجه الخامس) أن اللّٰه سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الجبل مستقراً مكانه وليس هذا

بممتنع في مقدوره بل هو ممكن وقد علق به الرؤية ولو كانت محالاً في ذاتها لم يعلقها بالممكن في ذاته ولو كانت الرؤية محالاً لكان ذلك نظير أن يقول إن استقر الجبل فسوف آكل وأشرب وأنام فالأمران عندكم سواء (الوجه السادس) قوله سبحانه وتعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً وهذا من أبين الأدلة على جواز رؤيته تبارك وتعالى فإنه إذا جاز أن يتجلى للجبل الذي هو جماد لا ثواب له ولا عقاب فكيف يمتنع أن يتجلى لأنبيائه ورسله وأوليائه في دار كرامته ويريهم نفسه؟ فأعلم سبحانه وتعالى موسى أن الجبل إذا لم يثبت لرؤيته في هذه الدار فالبشر أضعف (الوجه السابع) أن ربه سبحانه وتعالى قد كلمه منه إليه وخاطبه وناجاه وناداه ومن جاز عليه التكلم والتكليم وأن يسمع مخاطبه كلامه معه بغير واسطة فرؤيته أولى بالجواز ولهذا لا يتم إنكار الرؤية إلا بإنكار التكليم وقد جمعت هذه الطوائف بين إنكار الأمرين فأنكروا أن يكلم أحداً أو يراه أحد ولهذا سأله موسى النظر إليه لما أسمعه كلامه وعلم نبي اللّه جواز رؤيته من وقوع خطابه وتكليمه فلم يخبره باستحالة ذلك عليه ولكن أراه أن ما سأله لا يقدر على احتماله كما لم يثبت الجبل لتجليه. وأما قوله تعالى **﴿لن تراني﴾** فإنما يدل على النفي في المستقبل ولا يدل على دوام النفي ولو قيدت بالتأبيد فكيف إذا أطلقت قال تعالى: **﴿ولن يتمنوه أبداً﴾** مع قوله تعالى **﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك﴾**.

(فصل)

الدليل الثاني قوله تعالى: **﴿واتقوا اللّه واعلموا أنكم ملاقوه﴾** وقوله تعالى **﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾** وقوله تعالى **﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه﴾** وقوله تعالى **﴿قال الذين يظنون أنهم ملاقوا اللّه﴾** وأجمع أهل اللسان على أن اللقاء متى نسب إلى الحي السليم من العمى والمانع اقتضى المعاينة والرؤية ولا ينتقض هذا بقوله تعالى **﴿فأعقبهم نفاقاً في قلوبهم إلى يوم يلقونه﴾** فقد دلت الأحاديث الصحيحة الصريحة على أن المنافقين يرونه تعالى في عرصات القيامة بل والكفار أيضاً كما في الصحيحين من حديث التجلي يوم القيامة وسيمر بك عن قريب إن شاء اللّه تعالى **﴿وفي هذه المسألة﴾** ثلاثة أقوال لأهل السنة (أحدها) أن لا يراه إلا المؤمنون (والثاني) يراه أميع أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ثم يحتجب عن الكفار فلا يرونه بعد ذلك

(والثالث) يراه المنافقون دون الكفار. والأقوال الثلاثة في مذهب أحمد وهي لأصحابه وكذلك الأقوال الثلاثة بعينها لهم في تكليمه لهم ولشيخنا في ذلك مصنف مفرد وحكى فيه الأقوال الثلاثة وحجج أصحابها وكذا قوله سبحانه وتعالى: ﴿يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحاً فملاقيه﴾ إن عاد الضمير على العمل فهو رؤيته في الكتاب مسطوراً مثبتاً. وإن عاد على الرب سبحانه وتعالى فهو لقاؤه الذي وعد به الدليل الثالث قوله تعالى ﴿والله يدعو إلى دار السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون﴾ فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجهه الكريم كذلك فسرها رسول الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن فالصحابة من بعده كما روى مسلم في صحيحه من حديث حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال: «قرأ رسول الله ﷺ (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) قال إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار نادى مناد يا أهل الجنة أن لكم عند الله موعداً ويريد أن ينجزكموه فيقولون ما هو؟ ألم يثقل موازيننا ويبيض وجوهنا ويدخلنا الجنة ويزحزحنا عن النار! ! فيكشف الحجاب فينظرون الله فما أعطاهم شيئاً أحب إليهم من النظر إليه وهي الزيادة» وقال الحسن بن عرفة حدثنا مسلم بن سالم البلخي عن نوح بن أبي مريم عن ثابت عن أنس قال «سئل رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى وهي الجنة والزيادة وهي النظر إلى وجه الله (وقال) محمد بن جرير حدثنا ابن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال الزيادة النظر إلى وجه الرحمن جل جلاله. قلت عطاء هذا هو الخراساني وليس عطاء بن أبي رباح قال ابن جرير وحدثنا ابن عبد الرحيم حدثنا عمرو بن أبي سلمة قال سمعت زهيراً وقال يعقوب بن سفيان حدثنا صفوان بن صالح حدثنا الوليد بن مسلم حدثنا زهير بن محمد قال حدثني من سمع أبا العالية الرياحي يحدث عن أبي بن كعب قال: «سألت رسول الله ﷺ عن الزيادة في كتاب الله عز وجل قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل» وقال أسد السنة، حدثنا قيس بن الربيع عن أبان عن أبي تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى يحدث أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

«يبعث اللّه عز وجل يوم القيامة منادياً ينادي يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن اللّه وعدكم الحسنى والحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه اللّه عز وجل» وقال ابن وهب: أخبرني شبيب عن أبان عن ابن تميمة الهجيمي أنه سمع أبا موسى الأشعري يحدث عن رسول اللّه ﷺ «إن الله عز وجل يأمر يوم القيامة منادياً ينادي يا أهل الجنة بصوت يسمع أولهم وآخرهم إن اللّه وعدكم الحسنى وزيادة، الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه الرحمن».

(وأما الصحابة) فقال ابن جرير حدثنا ابن يسار حدثنا عبد الرحمن هو ابن مهدي حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن عامر بن سعد عن أبي بكر الصديق رضي اللّه تعالى عنه ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال النظر إلى وجه اللّه الكريم. وبهذا الإسناد عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد عن حذيفة ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال النظر إلى وجه ربهم تعالى. وحدثنا علي بن عيسى حدثنا شبابة حدثنا أبو بكر الهذلي قال سمعت أبا تميمة الهجيمي يحدث عن أبي موسى الأشعري قال: «إذا كان يوم القيامة يبعث اللّه تعالى إلى أهل الجنة منادياً ينادي هل أنجزكم اللّه ما وعدكم؟ فينظرون إلى ما أعد اللّه لهم من الكرامة فيقولون نعم، فيقول للذين أحسنوا الحسنى وزيادة النظر إلى وجه الرحمن عز وجل، وقال عبد اللّه بن المبارك عن أبي بكر الهذلي أنبأنا أبو تميمة قال سمعت أبا موسى الأشعري يخطب الناس في جامع البصرة ويقول: إن اللّه يبعث يوم القيامة ملكاً إلى أهل الجنة فيقول يا أهل الجنة هل أنجزكم اللّه ما وعدكم فينظرون فيرون الحلى والحلل والأنهار والأزواج المطهرة فيقولون نعم قد أنجزنا اللّه ما وعدنا ثم يقول الملك هل أنجزكم اللّه ما وعدكم ثلاث مرات فلا يفقدون شيئاً مما وعدوا فيقولون نعم فيقول قد بقي لكم شيء إن اللّه عز وجل يقول ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ألا إن الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه اللّه تعالى (وفي تفسير) أسباط بن نصر عن إسماعيل السدى عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ قال أما الحسنى فالجنة وأما الزيادة فالنظر إلى وجه اللّه وأما القتر فالسواد (وقال) عبد الرحمن بن أبي ليلى وعامر بن سعد وإسماعيل بن عبد الرحمن السدى والضحاك بن مزاحم وعبد الرحمن بن سابط وأبو إسحاق السبيعي وقتادة وسعيد بن المسيب والحسن البصري وعكرمة مولى ابن

عباس ومجاهد بن جبر: الحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه اللّٰه تعالى، وقال غير واحد من السلف في الآية ﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾ بعد النظر إليه والأحاديث عنهم بذلك صحيحة ولما عطف سبحانه الزيادة على الحسنى التي هي الجنة دل على أنها أمر آخر وراء الجنة وقدر زائد عليها ومن فسر الزيادة بالمغفرة والرضوان فهو من لوازم رؤية الرب تبارك وتعالى.

(فصل)

(الدليل الرابع) قوله تعالى: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ ووجه الاستدلال بها أنه سبحانه وتعالى جعل من أعظم عقوبة الكفار كونهم محجوبين عن رؤيته واستماع كلامه فلو لم يره المؤمنون ولم يسمعوا كلامه كانوا أيضاً محجوبين عنه وقد احتج بهذه الحجة الشافعي نفسه وغيره من الأئمة فذكر الطبراني وغيره عن المزني قال سمعت الشافعي يقول في قوله عز وجل: ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فيها دليل على أن أولياء اللّٰه يرون ربهم يوم القيامة (وقال الحاكم) حدثنا الأصم أنبأنا الربيع بن سليمان قال حضرت محمد بن إدريس الشافعي وقد جاءته رقعة من الصعيد فيها ما تقول في قول اللّٰه عز وجل ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ فقال الشافعي لما أن حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضى قال الربيع فقلت يا أبا عبد اللّٰه وبه تقول؟ قال نعم وبه أدين اللّٰه، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى اللّٰه لما عبد اللّٰه عز وجل ورواه الطبراني في شرح السنة من طريق الأصم أيضاً وقال أبو زرعة الرازي سمعت أحمد بن محمد بن الحسين يقول سئل محمد بن عبد اللّٰه بن الحكم هل يرى الخلق كلهم ربهم يوم القيامة المؤمنون والكفار؟ فقال محمد بن عبد اللّٰه ليس يراه إلا المؤمنون قال محمد وسئل الشافعي عن الرؤية فقال يقول اللّٰه تعالى ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ ففي هذا دليل على أن المؤمنين لا يحجبون عن الله عز وجل.

(فصل)

(الدليل الخامس) قوله عز وجل: ﴿لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد﴾ قال الطبراني قال علي بن أبي طالب وأنس بن مالك هو النظر إلى وجه اللّٰه عز وجل وقاله

من التابعين زيد بن وهب وغيره .

(فصل)

(الدليل السادس) قوله عز وجل: ﴿**لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار**﴾ والاستدلال بهذا أعجب فإنه من أدلة النفاة وقد قرر شيخنا وجه الاستدلال به أحسن تقرير وألطفه وقال لي أنا ألتزم أنه لا يحتج مبطل بآية أو حديث صحيح على باطله إلا وفي ذلك الدليل ما يدل على نقيض قوله فمنها هذه الآية وهي على جواز الرؤية أدل منها على امتناعها. فإن اللّه سبحانه إنما ذكرها في سياق التمدح ومعلوم أن المدح إنما يكون بالأوصاف الثبوتية وأما العدم المحض فليس، بكمال ولا يمدح به وإنما يمدح الرب تبارك وتعالى بالعدم إذا تضمن أمراً وجودياً كتمدحه بنفي السنة والنوم المتضمن كمال القيومية ونفي الموت المتضمن كمال الحياة ونفي اللغوب والإعياء المتضمن كمال القدرة ونفي الشريك والصاحبة والولد والظهير المتضمن كمال ربوبيته والهيته وقهره. ونفي الأكل والشرب المتضمن كمال الصمدية وغناه، ونفي الشفاعة عنده بدون إذنه المتضمن كمال توحيده وغناه عن خلقه. ونفي الظلم المتضمن كمال عدله وعلمه وغناه. ونفي النسيان وعزوب شيء عن علمه المتضمن كمال علمه وإحاطته. ونفي المثل المتضمن لكمال ذاته وصفاته ولهذا لم يمتدح بعدم محض لا يتضمن أمراً ثبوتياً فإن المعدوم يشارك الموصوف في ذلك العدم ولا يوصف الكامل بأمر يشترك هو والمعدوم فيه. فلو كان المراد بقوله ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ إنه لا يرى بحال لم يكن في ذلك مدح ولا كمال لمشاركة المعدوم له في ذلك فإن العدم الصرف لا يرى ولا تدركه الأبصار والرب جل جلاله يتعالى أن يمدح بما يشاركه فيه العدم المحض فإذا المعنى أنه يرى ولا يدرك ولا يحاط به كما كان المعنى في قوله ﴿**وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة**﴾ إنه يعلم كل شيء وفي قوله ﴿**وما مسنا من لغوب**﴾ إنه كامل القدرة وفي قوله ﴿**ولا يظلم ربك أحداً**﴾ إنه كامل العدل وفي قوله ﴿**لا تأخذه سنة ولا نوم**﴾ إنه كامل القيومية فقوله ﴿**لا تدركه الأبصار**﴾ يدل على غاية عظمته وأنه أكبر من كل شيء وأنه لعظمته لا يدرك بحيث يحاط به فإن الإدراك هو الإحاطة بالشيء وهو قدر زائد على الرؤية كما قال تعالى ﴿**فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون قال كلا**﴾ فلم ينف موسى الرؤية ولم يريدوا بقولهم (إنا

لمدركون» إنا لمرئيون فإن موسى صلوات اللّه وسلامه عليه نفى إدراكهم إياهم بقوله كلا وأخبر اللّه سبحانه أنه لا يخاف دركهم بقوله ﴿ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى﴾ فالرؤية والإدراك كل منهما يوجد مع الآخر وبدونه فالرب تعالى يرى ولا يدرك كما يعلم ولا يحاط به وهذا هو الذي فهمه الصحابة والأئمة من الآية قال ابن عباس: لا تدركه الأبصار، لا تحيط به الأبصار قال قتادة هو أعظم من أن تدركه الأبصار وقال عطية ينظرون إلى اللّه ولا تحيط أبصارهم به من عظمته وبصره يحيط بهم فذلك قوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ فالمؤمنون يرون ربهم تبارك وتعالى بأبصارهم عياناً ولا تدركه أبصارهم بمعنى أنها لا تحيط به إذ كان غير جائز أن يوصف اللّه عز وجل بأن شيئاً يحيط به وهو بكل شيء محيط وهكذا يسمع كلام من يشاء من خلقه ولا يحيطون بكلامه وهكذا يعلم الخلق ما علمهم ولا يحيطون بعلمه (ونظير هذا) استدلالهم على نفي الصفات بقوله تعالى (ليس كمثله شيء) وهذا من أعظم الأدلة على كثرة صفات كماله ونعوت جلاله وأنها لكثرتها وعظمتها وسعتها لم يكن له مثل فيها وإلا فلو أريد بها نفي الصفات لكان العدم المحض أولى بهذا المدح منه مع أن جميع العقلاء إنما يفهمون من قول القائل فلان لا مثل له وليس له نظير ولا شبيه ولا مثل، أنه قد تميز عن الناس بأوصاف ونعوت لا يشاركونه فيها وكلما كثرت أوصافه ونعوته فات أمثاله وبعد عن مشابهة أضرابه، فقوله ليس كمثله شيء من أدل شيء على كثرة نعوته وصفاته وقوله لا تدركه الأبصار من أدل شيء على أنه يرى ولا يدرك وقوله ﴿هو الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يعلم ما يلج في الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم أينما كنتم واللّه بما تعملون بصير﴾ من أدل شيء على مباينة الرب لخلقه فإنه لم يخلقهم في ذاته بل خلقهم خارجاً عن ذاته. ثم بان عنهم باستوائه على عرشه وهو يعلم ما هم عليه فيراهم وينفذهم بصره، ويحيط بهم علماً وقدرة وإرادة وسمعاً وبصراً، فهذا معنى كونه سبحانه معهم أينما كانوا وتأمل حسن هذه المقابلة لفظاً ومعنى بين قوله ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ فإنه سبحانه لعظمته يتعالى أن تدركه الأبصار وتحيط به، وللطفه وخبرته يدرك الأبصار فلا تخفى عليه فهو العظيم في لطفه اللطيف في عظمته، العالي في قربه القريب في علوه، الذي ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير، لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير.

(فصل)

(الدليل السابع) قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وأنت إذا أجرت هذه الآية من تحريفها عن مواضعها والكذب على المتكلم بها سبحانه فيما أراده منها وجدتها منادية نداء صريحاً أن الله سبحانه يرى عياناً بالأبصار يوم القيامة، وإن أبيت إلا تحريفها الذي يسميه المحرفون تأويلاً فتأويل نصوص المعاد والجنة والنار والميزان والحساب أسهل على أربابه من تأويلها وتأويل كل نص تضمنه القرآن والسنة كذلك ولا يشاء مبطل على وجه الأرض أن يتأول النصوص ويحرفها عن مواضعها إلا وجد إلى ذلك من السبيل ما وجده متأول مثل هذه النصوص، وهذا الذي أفسد الدين والدنيا، وإضافة النظر إلى الوجه الذي هو محله في هذه الآية وتعديته بأداة إلى الصريحة في نظر العين وإخلاء الكلام من قرينة تدل على أن المراد بالنظر المضاف إلى الوجه المعدي بالي خلاف حقيقته، وموضوعه صريح في أن الله سبحانه وتعالى أراد بذلك نظر العين التي في الوجه إلى نفس الرب جل جلاله فإن النظر له عدة استعمالات بحسب صلاته وتعديه بنفسه، فإن عدى بنفسه فمعناه التوقف والانتظار كقوله ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ وإن عدى بفي فمعناه التفكر والاعتبار كقوله ﴿أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض﴾ وأن عدي بالى فمعناه المعاينة بالأبصار كقوله ﴿انظروا إلى ثمره إذا أثمر﴾ فكيف إذا أضيف إلى الوجه الذي هو محل البصر؟!! قال يزيد بن هارون أنبأنا مبارك عن الحسن قال نظرت إلى ربها تبارك وتعالى فنظرت بنوره، فاسمع الآن أيها السني تفسير النبي ﷺ وأصحابه والتابعين وأئمة الإسلام لهذه الآية (قال ابن مردويه) في تفسيره حدثنا إبراهيم عن محمد حدثنا صالح بن أحمد حدثنا يزيد بن الهيثم حدثنا محمد بن الصباح حدثنا المصعب بن المقدام حدثنا سفيان عن ثوير بن أبي ناجية عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة﴾ قال من البهاء والحسن، إلى ربها ناظرة قال في وجه الله عز وجل. وقال أبو صالح عن ابن عباس إلى ربها ناظرة قال: تنظر إلى وجه ربها عز وجل، وقال عكرمة وجوه يومئذ ناضرة قال من النعيم إلى ربها ناظرة قال تنظر إلى ربها نظراً، ثم حكى عن ابن عباس مثله وهذا قول كل مفسر من أهل السنة والحديث.

(فصل)

وأما الأحاديث عن النبي ﷺ وأصحابه الدالة على الرؤية فمتواترة رواها أبو بكر الصديق وأبو هريرة وأبو سعيد الخدري وجرير بن عبد اللّٰه البجلي وصهيب بن سنان الرومي وعبد اللّٰه بن مسعود الهذلي وعلي بن أبي طالب وأبو موسى الأشعري وعدي بن حاتم الطائي وأنس بن مالك الأنصاري وبريدة بن الحصيب الأسلمي وأبو رزين العقيلي، وجابر بن عبد اللّٰه الأنصاري، وأبو أمامة الباهلي، وزيد بن ثابت، وعمار بن ياسر وعائشة أم المؤمنين وعبد اللّٰه بن عمر وعمارة بن رويبة، وسلمان الفارسي وحذيفة بن اليمان، وعبد اللّٰه بن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وحديثه موقوف، وأبي بن كعب، وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وحديثه موقوف، ورجل من أصحاب النبي ﷺ غير مسمى * فهاك سياق أحاديثهم من الصحاح والمسانيد والسنن وتلقها بالقبول والتسليم وانشراح الصدر لا بالتحريف والتبديل وضيق العطن ولا تكذب بها فمن كذب بها لم يكن إلى وجه ربه من الناظرين، وكان عنه يوم القيامة من المحجوبين.

(فصل)

فأما حديث أبي بكر الصديق رضي اللّٰه عنه فقال الإمام أحمد حدثنا إبراهيم ابن إسحاق الطالقاني قال حدثني النضر بن شميل المازني قال حدثني أبو نعامة قال حدثني أبو هنيدة البراء بن نوفل عن دالان العدوي عن حذيفة عن أبي بكر الصديق قال: «أصبح رسول اللّٰه ﷺ ذات يوم فصلى الغداة فجلس حتى إذا كان من الضحى ضحك رسول اللّٰه ﷺ ثم جلس مكانه حتى صلى الأولى والعصر والمغرب كل ذلك لا يتكلم حتى صلى العشاء الأخيرة، ثم قام إلى أهله فقال الناس لأبي بكر ألا تسأل رسول اللّٰه ﷺ ما شأنه؟ صنع اليوم شيئاً لم يصنعه قط، قال فسأله فقال نعم عرض علي ما هو كائن من أمر الدنيا والآخرة فجمع الأولون والآخرون في صعيد واحد فقطع الناس بذلك حتى انطلقوا إلى آدم ﷺ والعرق يكاد يلجمهم فقالوا يا آدم أنت أبو البشر وأنت اصطفاك الله عز وجل اشفع لنا إلى ربك، قال لقد لقيت مثل الذي لقيتم انطلقوا إلى أبيكم بعد أبيكم إلى نوح ﴿إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران

على العالمين﴾ قال فينطلقون إلى نوح ﷺ فيقولون اشفع لنا إلى ربك فأنت اصطفاك الله واستجاب لك في دعائك ولم يدع على الأرض من الكافرين دياراً. فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى إبراهيم ﷺ فإن الله اتخذه خليلاً فينطلقون إلى إبراهيم فيقول ليس ذلكم عندي انطلقوا إلى موسى ﷺ فإن الله عز وجل كلمه تكليماً فيقول موسى ﷺ ليس ذلك عندي، انطلقوا إلى عيسى ابن مريم ﷺ فإنه كان يبرىء الأكمه والأبرص ويحيي الموتى فيقول عيسى ليس ذلكم عندي، انطلقوا إلى سيد ولد آدم انطلقوا إلى محمد ﷺ فليشفع لكم إلى ربكم عز وجل قال فينطلق فيأتي جبريل ربه تبارك وتعالى فيقول له الله عز وجل ائذن له وبشره بالجنة فينطلق به جبريل ﷺ فيخر ساجداً قدر جمعة ويقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع، قال فيرفع رأسه فإذا نظر إلى وجه ربه خر ساجداً قدر جمعة أخرى فيقول الله عز وجل ارفع رأسك وقل تسمع، واشفع تشفع، قال فيذهب ليقع ساجداً فيأخذ جبريل بضبعيه فيفتح الله عليه من الدعاء شيئاً لم يفتحه على بشر قط ، فيقول أي رب خلقتني سيد ولد آدم ولا فخر، وأول من تنشق الأرض عنه يوم القيامة ولا فخر، حتى إنه ليرد على الحوض أكثر مما بين صنعاء وأيلة، ثم يقال ادعوا الصديقين فيشفعون، ثم يقال ادعوا الأنبياء قال فيجيء النبي ومعه العصابة، والنبي ومعه الخمسة والستة، والنبي وليس معه أحد، ثم يقال ادعوا الشهداء فيشفعون لمن أرادوا، قال فإذا فعلت الشهداء ذلك قال فيقول الله عز وجل أنا أرحم الراحمين أدخلوا جنتي من كان لا يشرك بي شيئاً، قال فيدخلون الجنة، قال ثم يقول الله عز وجل انظروا في أهل النار هل تلقون من أحد عمل خيراً قط قال فيجدون في النار رجلاً فيقولون له هل عملت خيراً قط فيقول لا غير أني كنت أسامح الناس في البيع فيقول الله عز وجل اسمحوا لعبدي بسماحته إلى عبيدي ثم يخرجون من النار رجلاً يقول له هل عملت خيراً قط ، فيقول لا غير أني أمرت ولدي إذا مت فأحرقوني في النار ثم اطحنوني حتى إذا كنت مثل الكحل فاذهبوا بي إلى البحر فأذروني في الريح فوالله لا يقدر على رب العالمين أبداً فقال الله عز وجل له لم فعلت ذلك؟ قال من مخافتك، قال فيقول الله عز وجل انظر إلى ملك أعظم ملك فإن لك مثله وعشرة أمثاله، قال فيقول أتسخر بي وأنت الملك، قال وذلك الذي ضحكت منه من الضحى».

(فصل)

وأما حديث أبي هريرة وأبي سعيد ففي الصحيحين من حديث أبي هريرة «أن ناساً قالوا يا رسول اللّه هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول اللّه ﷺ هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟، قالوا لا يا رسول اللّه؟ قال هل تضارون في رؤية الشمس ليس دونها سحاب؟ قالوا لا قال فإنكم ترونه كذلك، يجمع اللّه الناس يوم القيامة فيقول من كان يعبد شيئاً فليتبعه فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس. ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها فيأتيهم الله تعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا فإذا جاء ربنا عرفناه فيأتيهم الله عز وجل في صورته التي يعرفون فيقول أنا ربكم، فيقولون أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط بين ظهراني جهنم فأكون أنا وأمتي أول من يجيز ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ اللهم سلم سلم، وفي جهنم كلاليب مثل شوك السعدان هل رأيتم السعدان؟ قالوا نعم يا رسول اللّه، قال فإنها مثل شوك السعدان غير أنه لا يعلم قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المجازى حتى ينجو فإذا فرغ الله من القضاء بين العباد وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يقول لا إله إلا الله، فيعرفونهم بأثر السجود، وتأكل النار من ابن آدم إلا أثر السجود حرم الله على النار أن تأكل أثر السجود، فيخرجون من النار قد امتحشوا فيصب عليهم ماء الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل ثم يفرغ الله من القضاء بين العباد ويبقى رجل مقبل بوجهه على النار وهو آخر أهل الجنة دخولاً الجنة فيقول أي رب أصرف وجهي عن النار فإنه قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فيدعو الله ما شاء أن يدعوه ثم يقول الله تبارك وتعالى هل عسيت إن فعلت ذلك أن تسأل غيره فيقول لا أسألك غيره، فيعطي ربه من عهود ومواثيق ما شاء الله فيصرف الله وجهه عن النار فإذا أقبل على الجنة ورآها سكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فيقول اللّه أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك لا تسألني غير الذي أعطيتك؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك!!! فيقول أي رب فيدعو اللّه حتى يقول له فهل عسيت إن أعطيتك ذلك أن لا تسألني غيره؟ فيقول لا وعزتك فيعطي ربه ما شاء من عهود ومواثيق فيقدمه

إلى باب الجنة فإذا قام على باب الجنة انفهقت له الجنة فرأى ما فيها من الخير والسرور فسكت ما شاء الله أن يسكت ثم يقول أي رب أدخلني الجنة فيقول الله تبارك وتعالى له أليس قد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غير ما أعطيت ويلك يا ابن آدم ما أغدرك؟ فيقول أي رب لا أكون أشقى خلقك فلا يزال يدعو الله حتى يضحك الله منه فإذا ضحك الله منه قال ادخل الجنة، فإذا دخلها قال الله له تمن فيسأل ربه ويتمنى حتى أن الله ليذكره فيقول تمن كذا وكذا حتى إذا انقطعت به الأماني قال الله عز وجل ذلك لك ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه، قال: عطاء بن يزيد وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يرد عليه من حديثه شيئاً حتى إذا حدث أبو هريرة قال أن الله عز وجل قال لذلك الرجل ومثله معه قال أبو سعيد وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة قال أبو هريرة ما حفظت إلا قوله ذلك لك ومثله معه، قال أبو سعيد أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله ذلك لك وعشرة أمثاله، قال أبو هريرة وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة» وفي الصحيحين أيضاً عن أبي سعيد الخدري «أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟ قالوا لا يا رسول الله؟ قال ما تضارون في رؤيته تبارك وتعالى يوم القيامة؟ إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب ألا يتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغيرات أهل الكتاب فتدعى اليهود فيقال لهم ما كنتم تعبدون قالوا كنا نعبد عزير بن الله، فيقال كذبتم ما اتخذ الله من صاحبه ولا ولد فماذا تبغون؟ قالوا عطشنا يا ربنا فاسقنا فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سرابة يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار، ثم تدعى النصارى فيقال لهم ما كنتم تعبدون؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم ماذا تبغون فيقولون عطشناً يا ربنا فاسقنا قال فيشار إليهم ألا تردون فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً فيتساقطون في النار حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال فما تنتظرون؟ لتتبع كل أمة ما كانت تعبد قالوا يا ربنا

فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب فيقول هل بينكم وبينه آية تعرفونه بها فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهرة طبقة واحدة كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة فيقول أنا ربكم فيقولون أنت ربنا ثم يضرب لهم الجسر على جهنم وتحل الشفاعة قيل يا رسول الله وما الجسر؟ قال دحض مزلة فيه خطاطيف وكلاليب وحسكة تكونَ بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق والكريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب فناج مسلم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم. حتى إذا خلص المؤمنون من النار فو الذي نفسي بيده ما من أحد منكم بأشد مناشدة في استيفاء الحق من المؤمنين لله تعالى يوم القيامة لأخوانهم الذين في النار يقولون ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون فيقال لهم أخرجوا من عرفتم فيحرم صورهم على النار فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى أنصاف ساقيه وإلى ركبتيه فيقولون ربنا ما بقي فيها أحد ممن أمرتنا، فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم ندر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم ندر فيها ممن أمرتنا أحداً ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون ربنا لم ندر فيها خيراً، وكان أبو سعيد الخدري يقول إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرؤا إن شئتم **﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً﴾** فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل إلا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون منها إلى الشمس أصيفر وأخيضر وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض فقالوا يا رسول كأنك كنت ترعى بالبادية قال فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتيم يعرفهم أهل الجنة فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير

عمل عملوه، ولا خير قدموه، ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحداً من العالمين، فيقول لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون يا ربنا وأي شيء أفضل من هذا؟ فيقول تعالى رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً».

(فصل)

وأما حديث جرير بن عبد اللّه ففي الصحيحين من حديث إسماعيل بن أبي خالد عن قيس بن أبي حازم عنه قال: «كنا جلوساً مع النبي ﷺ فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل الغروب فافعلوا ثم قرأ قوله ﴿فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب﴾» رواه عن إسماعيل بن أبي خالد عبد اللّه بن إدريس الأزدي ويحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن محمد المحاربي وجرير بن عبد الحميد وعبيد بن حميد وهشيم بن بشير وعلي بن عاصم وسفيان بن عيينة ومروان بن معاوية وأبو أسامة وعبد الله بن نمير ومحمد بن عبيد وأخوه يعلى بن عبيد ووكيع بن الجراح ومحمد بن فضيل والطفاوي ويزيد بن هارون وإسماعيل بن أبي خالد وعنبسة بن سعيد والحسن بن صالح بن حي وورقاء بن عمرو وعمار بن زريق وأبو الأعز سعيد بن عبد الله ونصر بن طريف وعمار بن محمد والحسن بن عياش أخو أبي بكر ويزيد بن عطاء وعيسى بن يونس وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن المبارك وأبو حمزة السكري وحسين بن واقد ومعمر بن سليمان وجعفر بن زياد وخداش بن المهاجر وهريم بن سفيان ومندل بن علي وأخوه سنان بن علي وعمر بن يزيد وعبد الغفار بن القاسم ومحمد بن بشير الحريري ومالك بن مغول وعصام بن النعمان وعلي بن القاسم الكندي وعبيد بن الأسود الهمداني وعبد الجبار بن العباس والمعلى بن هلال ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة والصباح بن محارب ومحمد بن عيسى وسعيد بن حازم وأبان بن أرقم وعمرو بن النعمان ومسعود بن سعد الجعفي وعثمان بن علي وحسن بن حبيب وسنان بن هارون البرجمي ومحمد بن يزيد الواسطي وعمرو بن هشام ومحمد بن مروان ويعلى بن الحارث المحاربي وشعيب بن راشد والحسن بن دينار وسلام بن أبي مطيع وداود بن الزبرقان وحماد بن أبي حنيفة ويعقوب بن حبيب وحكام بن سلم وأبو مقاتل بن حفص ومسيب بن شريك وأبو حنيفة

النعمـان بن ثابت وعمـرو بن سمر الجعفي وعمـرو بن عبد الغفـار التيمي وسيف بن هارون البرجمي أخو سنان، وعابد بن حبيب ومالك بن سعير بن الخمس ويزيـد بن عطاء مولى أبي عوانة وخالد بن يزيد العصري وعبد اللّٰه بن موسى وخالد بن عبد اللّٰه الطحان وأبو كدينة يحيى بن المهلب ورقبة بن مصقلة ومعمر بن سليمان الرقي ومرحى ابن رجاء وعمرو بن جرير ويحيى بن هاشم السمسار وإبراهيم بن طهمان وخارجة بن مصعب وعبد اللّٰه بن عثمان شريك شعبة وعبد اللّٰه بن فـروخ وزيد بن أبي أنيسـة، وجوّده فقال: «فستعاينون ربكم عز وجل كما تعاينون هذا القمر» وأبو شهاب الخياط وقـال «سترون ربكم عيـاناً» وحـارثة بن هـرم وعاصم بن حكيم ومقـاتل بن سليمـان وأبو جعفر الـرازي والحسن بن أبي جعفر والـوليد بن عمـرو وأخوه عثمـان بن عمرو وعبد السلام بن عبد اللّٰه بن قرة العنبري ويزيد بن عبد العزيز وعلي بن صالح بن حي وزفر بن الهذيل والقاسم بن معن، تابع إسماعيل من أبي خالد عن قيس جماعة منهم بيان بن بشر ومجالد بن سعيد وطارق بن عبد الرحمن وجرير بن يزيد بن جرير البجلي وعيسى بن المسيب كلهم عن قيس بن أبي حازم عن جرير وكل هؤلاء شهـدوا على إسماعيل بن أبي خالد وشهد إسماعيل بن أبي جرير بن عبد اللّٰه على رسول اللّٰه ﷺ فكـأنك تسمـع رسول اللّٰه ﷺ وهـو يقولـه ويبلغه لامتـه ولا شيء أقر لاعينهم منـه. وشهدت الجهمية والفرعونية والرافضة والقرامطة والباطنية وفروخ الصائبة والمجـوس واليونان بكفر من اعتقد ذلك وأنه من أهل التشبيه والتجسيم وتابعهم على ذلك كـل عدو للسنة وأهلها واللّٰه تعالى ناصر كتابه وسنة رسوله ولو كره الكافرون.

(فصل)

وأما حديث صهيب فرواه مسلم في صحيحه من حـديث حماد بن سلمـة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب قال قـال رسول اللّٰه ﷺ: «إذا دخـل أهل الجنة الجنة يقول اللّٰه عز وجل تريدون شيئاً أزيدكم؟ يقولون ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجينا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية للذين أحسنوا الحسنى وزيادة» وهذا حديث رواه الأئمة عن حماد وتلقوه عن نبيهم بالقبول والتصديق.

(فصل)

وأما حديث عبد الله بن مسعود فقال الطبراني حدثنا محمد بن نصر الأزدي وعبد الله بن أحمد بن حنبل والحضرمي قالوا حدثنا إسماعيل بن عبيد بن أبي كريمة الحراني حدثنا محمد بن سلمة الحراني عن أبي عبد الرحيم عن زيد بن أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة بن عبد الله عن مسروق بن الأجدع حدثنا عبد الله بن مسعود عن رسول الله ﷺ قال: «يجمع الله الأولين والآخرين لميقات يوم معلوم قياماً أربعين سنة شاخصة أبصارهم إلى السماء ينتظرون فصل القضاء قال وينزل الله عز وجل في ظلل من الغمام من العرش إلى الكرسي ثم ينادي مناد أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم ورزقكم وأمركم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً أن يولي كل ناس منكم ما كانوا يتولون ويعبدون في الدنيا، أليس ذلك عدلاً من ربكم؟ قالوا بلى، قال فينطلق كل قوم إلى ما كانوا يعبدون ويتولون في الدنيا قال فينطلقون ويمثل لهم أشباه ما كانوا يعبدون فمنهم من ينطلق إلى الشمس ومنهم من ينطلق إلى القمر وإلى الأوثان من الحجارة وأشباه ما كانوا يعبدون قال ويمثل لمن كان يعبد عيسى شيطان عيسى ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير ويبقى محمد ﷺ وأمته فيأتيهم الرب عز وجل فيقول ما بالكم لا تنطلقون كما انطلق الناس؟ قال فيقولون إن لنا إلهاً ما رأيناه بعد، فيقول هل تعرفونه إن رأيتموه؟ فيقولون أن بيننا وبينه علامة إذا رأيناها عرفناه، قال فيقول ما هي؟ فيقولون يكشف عن ساقه فعند ذلك يكشف عن ساق فيخرون له سجداً ويبقى قوم ظهورهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون وقد كانوا يدعون إلى السجود وهم سالمون، ثم يقول ارفعوا رؤوسكم فيرفعون رؤوسهم فيعطيهم نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يعطى نوره على قدر الجبل العظيم يسعى بين أيديهم، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك، ومنهم من يعطى نوراً مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى نوراً أصغر من ذلك حتى يكون آخرهم رجلاً يعطى نوره على إبهام قدمه يضيء مرة ويطفأ مرة فإذا أضاء قدم قدمه ومشى، وإذا طفيء قام والرب تبارك وتعالى أمامهم حتى يمر في النار فيبقى أثره كحد السيف قال ويقول مروا فيمرون على قدر نورهم منهم من يمر كطرف العين ومنهم من يمر كالبرق ومنهم من يمر كالسحاب ومنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يمر كشد الفرس، ومنهم كشد الرحل حتى يمر الذي أعطى نوره على قدر إبهام قدمه

يحبوا على وجهه ويديه ورجليه تجريد وتعلق يد وتجر رجل وتعلق رجل وتصيب جوانبه النار، فلا يزال كذلك حتى يخلص فإذا خلص وقف عليها ثم قال الحمد لله لقد أعطاني اللّه ما لم يعط أحداً إذ نجاني منها بعد أن رأيتها قال فينطلق به إلى غدير عند باب الجنة فيغتسل فيعود إليه ريح أهل الجنة وألوانهم، فيرى ما في الجنة، من خلال الباب فيقول رب أدخلني الجنة فيقول اللّه تبارك وتعالى له أتسأل الجنة وقد نجيتك من النار؟ فيقول يا رب اجعل بيني وبينها حجاباً لا أسمع حسيسها قال فيدخل الجنة قال ويرى أو يرفع له منزل أمام ذلك كأنما الذي هو فيه إليه حلم ليدخله فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول فلعلك أن أعطيتكه تسأل غيره فيقول لا وعزتك لا أسأل غيره، وأي منزل يكون أحسن منه؟! قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر ليدخله فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول اللّه عز وجل فلعلك أن أعطيتكه تسأل غيره، فيقول لا وعزتك لا أسألك غيره وأي منزل يكون أحسن منه؟!! قال فيعطاه فينزله قال ويرى أو يرفع له أمام ذلك منزل آخر كأنما الذي هو فيه إليه حلم فيقول رب أعطني ذلك المنزل فيقول اللّه جل جلاله فلعلك إن أعطيتكه تسأل غيره، قال لا وعزتك لا أسأل غيره وأي منزل يكون أحسن منه قال فيعطاه فينزله ثم يسكت فيقول اللّه عز وجل ما لك لا تسأل؟ فيقول رب لقد سألتك حتى استحييتك وأقسمت لك حتى استحييتك، فيقول اللّه عز وجل ألا ترضى أن أعطيك مثل الدنيا منذ يوم خلقتها إلى يوم أفنيتها وعشرة أضعافه؟ فيقول أتستهزيء بي وأنت رب العزة فيضحك الرب عز وجل من قوله قال فرأيت عبد الله بن مسعود إذا بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك فقال له رجل يا أبا عبد الرحمن قد سمعتك تحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغت هذا المكان ضحكت فقال إني سمعت رسول اللّه ﷺ يحدث بهذا الحديث مراراً كلما بلغ هذا المكان من هذا الحديث ضحك حتى تبدو أضراسه قال فيقول الرب عز وجل، ولكني على ذلك قادر سل، فيقول الحقني بالناس فيقول الحق بالناس قال فينطلق يرمل في الجنة حتى إذا دنا من الناس رفع له قصر من درة فيخر ساجداً فيقال له ارفع رأسك ما لك؟ فيقول رأيت ربي أو تراءى لي ربي فيقال له إنما هو منزل من منازلك قال ثم يلقى فيها رجلاً فيتهيأ للسجود فيقال له مه ما لك؟ فيقول رأيت أنك ملك من الملائكة فيقول له إنما أنا خازن من خزانك عبد من عبيدك تحت يدي ألف قهرمان على مثل ما أنا عليه، قال فينطلق أمامه حتى يفتح له القصر قال وهو

في درة مجوفة سقائفها وأبوابها وأغلاقها ومفاتيحها منها تستقبله جوهرة خضراء مبطنة بحمراء كل جوهرة تفضي إلى جوهرة على غير لون الأخرى في كل جوهرة سرر وأزواج ووصائف أدناهن حوراء عيناء عليها سبعون حلة يرى مخ ساقها من وراء حللها كبدها مرآته وكبده مرآتها إذا أعرض عنها اعراضة إزدادت في عينه سبعين ضعفاً عما كانت قبل ذلك فيقول لها والله لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً فتقول له والله وأنت لقد ازددت في عيني سبعين ضعفاً فيقال له أشرف قال فيشرف فيقال له ملكك مسيرة مائة عام ينفذه بصره. قال فقال عمر ألا تسمع إلى ما يحدثنا ابن أم عبد يا كعب عن أدنى أهل الجنة منزلاً فكيف أعلاهم؟ قال كعب يا أمير المؤمنين فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت إن الله عز وجل جعل داراً فيها ما شاء من الأزواج والثمرات والأشربة ثم أطبقها فلم يرها أحد من خلقه لا جبريل ولا غيره من الملائكة ثم قرأ كعب **﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾** قال وخلق دون ذلك جنتين وزينهما بما شاء وأراهما من شاء من خلقه ثم قال من كان كتابه في عليين نزل تلك الدار التي لم يرها أحد حتى أن الرجل من أهل عليين ليخرج فيسير في ملكه فلا تبقى خيمة من خيام الجنة إلا دخلها من ضوء وجهه فيستبشرون بريحه فيقولون واهاً لهذا الريح هذا رجل من أهل عليين قد خرج يسير في ملكه فقال ويحك يا كعب هذه القلوب قد استرسلت فاقبضها، فقال كعب والذي نفسي بيده أن لجهنم يوم القيامة لزفرة ما يبقى من ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا يخر لركبتيه حتى أن إبراهيم خليل الله يقول رب نفسي نفسي حتى لو كان لك عمل سبعين نبياً إلى عملك لظننت أنك لا تنجو» هذا حديث كبير حسن رواه المصنفون في السنة كعبد الله بن أحمد والطبراني والدارقطني في كتاب الرؤية رواه عن ابن صاعد حدثنا محمد بن أبي عبد الرحمن المقري قال حدثنا أبي حدثنا ورقاء بن عمر حدثنا أبو طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة عن عبد الله ورواه من طريق عبد السلام بن حرب حدثنا الدالاني حدثنا المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق زيد بن أبي أنيسة عن المنهال بن عمرو عن أبي عبيدة به ورواه من طريق أحمد بن أبي طيبة عن كرز بن وبرة عن نعيم بن أبي هند عن أبي عبيدة.

(فصل)

وأما حديث علي بن أبي طالب فقال يعقوب بن سفيان حدثنا محمد بن المصفى حدثنا سويد بن عبد العزيز حدثنا عمرو بن خالد عن زيد بن علي عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب قال قال رسول الله ﷺ: «يزور أهل الجنة الرب تبارك وتعالى في كل جمعة وذكر ما يعطون قال ثم يقول الله تبارك وتعالى اكشفوا حجاباً فيكشف حجاب ثم حجاب ثم يتجلى لهم تبارك وتعالى عن وجهه فكأنهم لم يروا نعمة قبل ذلك وهو قوله تبارك وتعالى ولدينا مزيد».

(فصل)

وأما حديث أبي موسى ففي الصحيحبن عنه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم تبارك وتعالى إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن» (وقال الإمام احمد) حدثنا حسن بن موسى وعثمان قالا حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة عن أبي بردة عن أبي موسى قال قال رسول الله ﷺ: «يجمع اللّه الأمم في صعيد واحد يوم القيامة فإذا بدا للّه أن يصدع بين خلقه[1] مثل لكل قوم ما كانوا بعبدون فيتبعونهم حتى يقحمونهم النار ثم يأتينا ربنا عز وجل ونحن على مكان رفيع فيقول من أنتم؟ فنقول نحن المسلمون، فيقول ما تنتظرون؟ فنقول ننتظر ربنا عز وجل، فيقول وهل تعرفونه إن رأيتموه؟ فنقول نعم إنه لا عدل له فيتجلى لنا ضاحكاً فيقول أبشروا يا معشر المسلمين فإنه ليس منكم أحد إلا جعلت في النار يهودياً أو نصرانياً مكانه» وقال حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن عمارة القرشي عن أبي بردة عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «يتجلى لنا ربنا تبارك وتعالى ضاحكاً يوم القيامة» وذكر الدارقطني من حديث، أبان بن أبي عياش عن أبي تميمة الهجيمي عن أبي موسى عن النبي ﷺ قال: «يبعث اللّه يوم القيامة منادياً بصوت يسمعه أولهم وآخرهم أن اللّه عز وجل وعدكم الحسنى وزيادة فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه اللّه عز وجل».

---

(١) أي يفرق بينهم فيفصل أهل الجنة من أهل السعير.

(فصل)

وأما حديث عدي بن حاتم ففي صحيح البخاري قال: «بينا أنا عند النبي ﷺ إذ أتى إليه رجل فشكا إليه الفاقة ثم أتى إليه آخر فشكا إليه قطع السبيل فقال يا عدي هل رأيت الحيرة؟ قلت لم أرها وقد أنبئت عنها قال فإن طالت بك حياة لترين الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف أحداً إلا اللّه، قلت فيما بيني وبين نفسي فأين دعار طيىء الذين سعروا البلاد ولئن طالت بك حياة لتفتحن كنوز كسرى قلت كسرى بن هرمز؟ قال كسرى بن هرمز، ولئن طالت بك حياة لترين الرجل يخرج ملء كفه من ذهب أو فضة يطلب من يقبله منه فلا يجد أحداً يقبله منه وليلقين اللّه أحدكم يوم يلقاه وليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له فيقولن ألم أبعث إليك رسولاً فيبلغك؟ فيقول بلى يا رب فيقول ألم أعطك مالاً وأفضل عليك؟ فيقول بلى فينظر عن يمينه فلا يرى إلا جهنم وينظر عن يساره فلا يرى إلا جهنم. قال عدي بن حاتم سمعت النبي ﷺ يقول: اتقوا النار ولو بشق تمرة فمن لم يجد شق تمرة فبكلمة طيبة قال عدي فرأيت الظعينة ترتحل من الحيرة حتى تطوف بالكعبة لا تخاف إلا اللّه وكنت فيمن افتتح كنوز كسرى بن هرمز ولئن طالت بكم لترون ما قال النبي ﷺ».

(فصل)

وأما حديث أنس بن مالك ففي الصحيحين من حديث سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول اللّه ﷺ: «يجمع الله الناس يوم القيامة فيهتمون لذلك وفي لفظ فيلهمون لذلك فيقولون لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا؟ فيأتون آدم فيقولون أنت آدم أبو الخلق خلقك اللّه بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا عند ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول لست هناكم، فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا نوحاً أول رسول بعثه اللّه عز وجل قال فيأتون نوحاً فيقول لست هناكم فيذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا إبراهيم الذي اتخذه اللّه خليلاً فيأتون إبراهيم فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا موسى الذي كلمه اللّه تكليماً وأعطاه التوراة فيأتون موسى فيقول لست هناكم ويذكر خطيئته التي

أصاب فيستحيي ربه منها ولكن ائتوا عيسى روح اللّه وكلمته فيأتـون عيسى روح الله وكلمته فيقول لست هناكم ائتوا محمداً ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، قال قال رسول الله ﷺ فيأتوني فأستأذن على ربي فيؤذن لي فإذا أنا رأيته فأقع ساجداً، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقال يا محمد ارفع رأسك وقل تسمع، وسـل تعط ، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي فـاشفع فيحـد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، ثم أعود فأقع ساجداً فيدعني ما شاء الله أن يدعني ثم يقال ارفع رأسك يا محمد قل تسمع، وسل تعط ، واشفـع تشفع، فـأرفع رأسي فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي ثم أشفع فيحد لي حداً فأخرجهم من النار وأدخلهم الجنة، قال فلا أدري في الثالثة أو في الرابعة قال فأقول يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن أي وجب عليه الخلود» (وذكر ابن خزيمة) عن ابن عبد الحكم عن أبيه وشعيب بن الليث عن الليث حدثنا معمر بن سليمان عن حميد عن أنس قال: «يلقى الناس يوم القيامة ما شاء الله أن يلقوه من الحبس فيقولون انطلقوا بنا إلى آدم فيشفع لنا إلى ربنا، فذكر الحديث. إلى أن قال فينطلقون إلى محمد ﷺ فأقول أنا لها فأنطلق حتى استفتح باب الجنة فيفتح لي فـأدخل وربي على عـرشه فـأخر سـاجداً» (وذكـر الحديث) وقال أبو عوانة وابن أبي عروبة وهمام وغيرهم عن أنس في هذا الحـديث فاستأذن على ربي فإذا رأيته وقعت ساجداً وقال عفان عن حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس فآتي ربي وهو على سريره أو كرسيه فأخر له ساجـداً وساقـه ابن خزيمـة بسياق طـويـل وقـال فيـه فـأستفتـح فـإذا نـظرت إلى الـرحمن وقعت لـه سـاجـداً ورؤيـة النبي ﷺ لربه في هذا المقام ثابتة عنه ثبوتاً عنه ثبوتاً يقطع به أهـل العلم بالحـديث والسنة وفي حديث أبي هريرة أنا أول من تنشق عنه الأرض يوم القيامة ولا فخر وأنا سيد ولد آدم ولا فخر، وأنا صاحب لواء الحمد ولا فخر: «وأنا أول من يدخل الجنـة ولا فخر، آخذ بحلقة باب الجنة فيؤذن لي فيستقبلني وجه الجبـار جل جـلاله فـأخر لـه ساجداً» (وقـال الدارقـطني) حدثنـا محمد بن إبـراهيم النسائي العـدل بمصر حـدثنا عبد اللّه بن محمد بن جعفر القاضي حدثنا أبو بكر إبراهيم بن محمد حدثنا الخليـل عن عمر الأشج عن سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس عن النبي ﷺ في قول اللّه عز وجل ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال النظر إلى وجه اللّه عز وجل (حدثنا) أبو صالح عبد الـرحمن بن سعيد بن هـارون الأصبهاني ومحمـد بن جعفر بن أحمـد

الطبري ومحمد بن علي بن إسماعيل الإيلي قالوا حدثنا عبد الله بن روح المدائني حدثنا سلام بن سليمان حدثنا ورقاء وإسرائيل وشعبة وجرير بن عبد الحميد كلهم قالوا حدثنا ليث بن عثمان بن أبي حميد عن أنس بن مالك قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها، فيها كالنكتة السوداء فقلت ما هذه التي في يدك يا جبريل. فقال هذه الجمعة. قلت وما الجمعة، قال لكم فيها خير كثير، قلت وما يكون لنا فيها؟ قال يكون عيداً لك ولقومك من بعدك ويكون اليهود والنصارى تبعاً لك، قلت وما لنا فيها؟ قال لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئاً هو له قسم، إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقسم إلا ذخر له في آخرته ما هو أعظم منه قلت ما هذه النكتة التي هي فيها؟ قال هي الساعة ونحن ندعوه يوم المزيد قلت وما ذاك يا جبريل؟ قال إن ربك اتخذ في الجنة وادياً فيه كثبان من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين على كرسيه فيحف الكرسي بكراسي من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا على تلك الكراسي ويحف الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان ثم يتجلى لهم عز وجل فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي، فسلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة ثم يرتفع على كرسيه عز وجل ويرتفع معه النبيون والصديقون ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم وهي لؤلؤة بيضاء وزبرجدة خضراء وياقوتة حمراء غرفها وأبوابها وأنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها وثمارها متدليات فيها فليسوا إلى شيء بأحوج منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظراً إلى ربهم ويزدادوا منه كرامة» هذا حديث كبير عظيم الشأن رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول (وجمل به الشافعي مسنده) فرواه عن إبراهيم بن محمد قال حدثني موسى بن عبيدة قال حدثني أبو الأزهر عن عبد الله بن عبد بن عمير أنه سمع أنس بن مالك فذكر بنحوه وقد تقدم لفظه ثم قال الشافعي أنبأنا إبراهيم قال حدثني أبو عمران إبراهيم بن الجعد عن أنس شبيهاً به وزاد فيه أشياء (ورواه محمد بن إسحاق) قال حدثني ليث بن أبي سليم عن عثمان بن عمير عن أنس به وقال فيه «ثم يتجلى لهم ربهم عز وجل حتى ينظروا إلى وجهه الكريم» وذكر باقي الحديث * ورواه عمرو بن أبي قيس عن

أبي ظبية عن عاصم عن عثمان بن عمير أبي اليقظان عن أنس وجوده وفيه «فإذا كان يوم الجمعة نزل على كرسيه ثم حف الكرسي بمنابر من نور فيجيء النبيون حتى يجلسوا عليها ويجيء أهل الغرف حتى يجلسوا على الكثب قال ثم يتجلى لهم ربهم تبارك وتعالى فينظرون إليه فيقول أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي وهذا محل كرامتي سلوني فيسألونه الرضى، قال رضاي آمن لكم داري، وأنالكم كرامتي سلوني، فيسألونه الرضى قال فيشهدهم بالرضاء ثم يسألونه حتى تنتهي رغبتهم» وذكر الحديث، ورواه علي بن حرب حدثنا إسحاق ابن سليمان حدثنا عنبسة بن سعيد عن عثمان بن عمير ورواه الحسن بن عرفة حدثنا عمار بن محمد بن أخت سفيان الثوري عن ليث بن أبي سليم عن عثمان وقال فيه ثم يرتفع على كرسيه ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم ورواه الدارقطني من طريق آخر من حديث قتادة عن أنس قال سمعته يقول «بينا نحن حول رسول الله ﷺ إذ قال أتاني جبريل في يده كالمرآة البيضاء في وسطها كالنكتة السوداء قلت يا جبريل ما هذا؟ قال هذا يوم الجمعة يعرضه عليك ربك ليكون لك عيداً ولأمتك من بعدك، قال قلت يا جبريل ما هذه النكتة السوداء؟ قال هي الساعة وهي تقوم يوم الجمعة وهو سيد أيام الدنيا ونحن ندعوه في الجنة يوم المزيد قال قلت يا جبريل ولم تدعونه يوم المزيد؟ قال إن الله اتخذ في الجنة وادياً أفيح[1] من مسك أبيض فإذا كان يوم الجمعة نزل ربنا عز وجل على كرسيه إلى ذلك الوادي وقد حف الكرسي بمنابر من ذهب مكللة بالجوهر وقد حفت تلك المنابر بكراسي من نور ثم يؤذن لأهل الغرف فيقبلون يخوضون كثبان المسك إلى الركب عليهم أسورة الذهب والفضة وثياب السندس والحرير حتى ينتهوا إلى ذلك الوادي فإذا اطمأنوا فيه جلوساً بعث الله عليهم ريحاً يقال لها المثيرة فأثارت ينابيع المسك الأبيض في وجوههم وثيابهم وهم يومئذ جرد مرد مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة على صورة آدم يوم خلقه الله عز وجل، فينادي رب العزة تبارك وتعالى رضوان وهو خازن الجنة فيقول يا رضوان ارفع الحجب بيني وبين عبادي وزواري فإذا رفع الحجب بينه وبينهم فرأوا بهاءه ونوره هموا له بالسجود فيناديهم تبارك وتعالى بصوته ارفعوا رؤوسكم فإنما كانت العبادة في الدنيا وأنتم اليوم في دار الجزاء سلوني ما شئتم فأنا ربكم الذي صدقتكم وعدي. وأتممت عليكم

---

(١) أفيح واسع.

نعمتي، فهذا محل كرامتي فسلوني ما شئتم، فيقولون ربنا وأي خير لم تفعله بنا، ألست أعنتنا على سكرات الموت، وآنست منا الوحشة في ظلمات القبور وآمنت روعتنا عند النفخة في الصور؟ ألست أقلت عثراتنا، وسترت علينا القبيح من فعلنا، وثبت على جسر جهنم أقدامنا؟ ألست الذي أدنيتنا من جوارك وأسمعتنا لذاذة منطقك وتجليت لنا بنورك فأي خير لم تفعله بنا؟ فنعوذ بالله عز وجل فيناديهم بصوته فيقول أنا ربكم الذي صدقتكم وعدي، وأتممت عليكم نعمتي فسلوني، فيقولون نسألك رضاك فيقول برضائي عنكم أقلتكم عثراتكم، وسترت عليكم القبيح من أموركم، وأدنيت مني جواركم، وأسمعتكم لذاذة منطقي وتجليت لكم بنوري، فهذا محل كرامتي فسلوني، فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يقول عز وجل سلوني فيسألونه حتى تنتهي رغبتهم ثم يقول عز وجل سلوني فيقولون رضينا ربنا وسلمنا فيزيدهم من مزيد فضله وكرامته ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، ويكون ذلك مقدار تفرقهم من الجمعة ، قال أنس فقلت بأبي وأمي يا رسول الله وما مقدار تفرقهم؟ قال كقدر الجمعة إلى الجمعة قال ثم يحمل عرض ربنا تبارك وتعالى معهم الملائكة والنبيون ثم يؤذن لأهل الغرف فيعودون إلى غرفهم وهما غرفتان من زمردتين خضراوين وليسوا إلى شيء أشوق منهم إلى الجمعة لينظروا إلى ربهم عز وجل وليزيدهم من مزيد فضله وكرامته قال أنس سمعته من رسول الله ﷺ وليس بيني وبينه أحد» (ورواه الدارقطني) أيضاً عن أبي بكر النيسابوري قال أخبرني أبو العباس بن الوليد بن يزيد قال أخبرني محمد بن شعيب قال أخبرني عمر مولى عفرة عن أنس ورواه محمد بن خالد بن جني حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع حدثنا صفوان قال قال أنس قال رسول الله ﷺ ورواه أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا عبد الرحمن بن محمد عن ليث عن أبي عثمان عن أنس ورواه إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة عن زهير بن حرب حدثنا جرير عن ليث عن عثمان بن أبي حميد عن أنس ورواه عن الأسود بن عامر قال ذكر لي عن شريك عن أبي اليقظان عن أنس ورواه ابن بطة في الإبانة من حديث الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة وسيأتي سياقه وقد جمع ابن أبي داود طرقه.

(فصل)

وأما حديث بريدة بن الحصيب فقال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة حدثنا أبو خالد عبد العزيز بن أبان القرشي حدثنا بشير بن المهاجر عن عبد الله بن

بريدة عن أبيه قال قال رسول الله ﷺ : «ما منكم من أحد إلا سيخلو الله به يوم القيامة ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان».

(فصل)

وأما حديث أبي رزين العقيلي فرواه الإمام أحمد من حديث شعبة وحماد بن سلمة عن يعلى بن عطاء عن وكيع بن خدش عن أبي رزين قال: «قلنا يا رسول الله أكلنا يرى ربه عز وجل يوم القيامة؟ قال: نعم، قلت وما آية ذلك في خلقه ؟ قال أليس كلكم ينظر إلى القمر ليلة البدر؟ قلنا نعم، قال الله أكبر وأعظم» قال عبد الله قال أبي والصواب حدس (وقال أبو داود سليمان بن الأشعث حدثنا موسى بن إسماعيل حدثنا حماد بن سلمة به فقد اتفق شعبة وحماد بن سلمة وحسبك بهما على روايته عن يعلى بن عطاء ورواه الناس عنهما وعن أبي رزين فيه إسناد آخر قد تقدم ذكره في حديثه الطويل وأبو رزين العقيلي له صحبة وعداده من أهل الطائف وهو لقيط بن عامر ويقال لقيط بن صبرة هكذا قال البخاري وابن أبي حاتم وغيرهما وقيل هما اثنان ولقيط بن عامر غير لقيط بن صبرة والصحيح الأول وقال ابن عبد البر من قال لقيط بن صبرة نسبه إلى جده وهو لقيط بن عامر بن صبرة .

(فصل)

وأما حديث جابر بن عبد اللّه فقال الإمام أحمد حدثنا روح بن جريج قال أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل عن الورود فقال: «نحن يوم القيامة على كذا وكذا أي فوق الناس فتدعى الأمم بأوثانها وما كانت تعبد الأول فالأول ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول ومن تنتظرون؟ فيقولون ننتظر ربنا فيقول أنا ربكم فيقولون حتى ننظر إليك فيتجلى لهم تبارك وتعالى يضحك، قال فينطلق بهم ويتبعونه ويعطي كل إنسان منهم منافق أو مؤمن نوراً ثم يتبعونه على جسر جهنم وعليه كلاليب وحسك تأخذ من شاء اللّه ثم يطفأ نور المنافق ثم ينجو المؤمنون فتنجوا أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر وسبعون ألفاً لا يحاسبون ثم الذين يلونهم كأضواء نجم في السماء، ثم كذلك ثم تحل الشفاعة حتى يخرج من النار من قال لا إله إلا اللّه وكان في قلبه من الخير ما يزن

شعيرة فيجعلون بفناء الجنة ويجعل أهل الجنة يرشون عليهم الماء حتى ينبتون نبات الشيء في السيل، ويذهب حراقه ثم يسأل حتى يجعل اللّه له الدنيـا وعشرة أمثـالها معها» رواه مسلم في صحيحه وهذا الذي وقع في الحديث من قوله على كذا وكذا قد جاء مفسراً في رواية صحيحة ذكرها عبد الحق في الجمع بين الصحيحين «نحن يوم القيامة على تل مشرفين على الخلائق» وقال عبد الرزاق أنبأنا رباح بن زيد قال حدثني ابن جريج قال أخبرني زياد بن سعد أن أبا الزبير أخبره عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «يتجلى لهم الرب تبارك وتعالى ينظرون إلى وجهه فيخرون له سجداً فيقـول ارفعوا رؤوسكم فليس هـذا بيوم عبـادة» (وقال الـدارقطني) أنبـأنا أحمـد بن عيسى بن السكن حدثنا أحمد بن محمد بن عمر بن يونس حدثنا محمد بن شرحبيـل الصنعاني قال حدثني ابن جريج عن أبي الزبير عن جابر بن عبد الله قال قال رسـول الله ﷺ: «يتجلى لنا ربنا عز وجل يوم القيامة ضاحكاً» ورواه قرة عن مـالك بن أنس عن زياد بن سعد حدثنا أبو الزبير عن جابر أنه سمـع النبي ﷺ يقول: «إذا كـان يوم القيامة جمعت الأمم فذكر الحـديث وفيه فيقـول أتعرفـون الله عز وجـل إن رأيتموه؟ فيقولون نعم، فيقول وكيف تعرفـونه ولم تـروه؟ فيقولـون نعلم أنه لا عـدل له، قـال فيتجلى لهم تبـارك وتعالى فيخـرون له سجـداً» (وقال ابن مـاجه في سننـه) حـدثنـا محمد بن عبد الملك بن أبي الشوارب حدثنا أبو عاصم العباداني عن فضل بن عيسى الرقاشي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذ سطع لهم نور فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب جل جلاله قـد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة وهو قول الله عز وجل ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ فلا يلتفتون إلى شيء مما هم فيه من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم وتبقى فيهم بركته ونوره» (وقال حرب في مسائله) حدثنا يحيى بـن أبي حزم حدثنا يحيى بن محمد أبو عاصم العباداني فذكره وعند البيهقي في هذا الحديث سياق آخر رواه أيضاً من طريق العباداني عن الفضل بن عيسى عن ابن المنكـدر عن جابر بن عبد اللّه قال قال رسول اللّه ﷺ: «بينا أهل الجنـة في مجلس لهم إذ سطع لهم نور على باب الجنة فرفعوا رؤوسهم فإذا الرب تبارك وتعالى قد أشرف فقـال تعالى يا أهل الجنة سلوني قالوا نسألك الرضى عنا قال رضائي أحلكم داري وأنالكم كرامتي، هذا أوانها فسلوني قالوا نسألك الزيادة قال فيؤتون بنجائب من ياقوت أحمر أزمتها زمرد

أخضر وياقوت أحمر فجاؤا عليها تضع حوافرها عند منتهى طرفها فيأمر الله بأشجار عليها الثمار فتجيء جواري الحور العين وهن يقلن نحن الناعمات فلا نبأس ونحن الخالدات فلا نموت، أزواج قوم مؤمنين كرام، ويأمر الله عز وجل بكثبان من مسك أبيض أذفر فيثير عليهم ريحاً يقال لها المثيرة حتى تنتهي بهم إلى جنة عدن وهي قصبة الجنة، فتقول الملائكة يا ربنا قد جاء القوم فيقول مرحباً بالصادقين ومرحباً بالطائعين، قال فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى اللّه تبارك وتعالى ويتمتعون بنور الرحمن حتى لا يبصر بعضهم بعضاً، ثم يقول ارجعوهم إلى القصور بالتحف فيرجعون وقد أبصر بعضهم بعضاً فقال رسول اللّه ﷺ فذلك قوله تعالى ﴿نزلاً من غفور رحيم﴾ رواه في كتاب البعث والنشور وفي كتاب الرؤية قال وقد مضى في هذا الكتاب وفي كتاب الرؤية ما يؤكد هذا الخبر وقال الدارقطني أنبأنا الحسن بن إسماعيل أنبأنا أبو الحسن علي بن عبدة حدثنا يحيى بن سعيد القطان عن ابن أبي ذئب عن محمد بن المنكدر عن جابر قال قال النبي ﷺ: «إن اللّه عز وجل يتجلى للناس عامة ويتجلى لأبي بكر خاصة».

(فصل)

وأما حديث أبي أمامة فقال ابن وهب أخبرني يونس بن يزيد عن عطاء الخراساني عن يحيى بن أبي عمرو الشيباني عن عمرو بن عبد اللّه الحضرمي عن أبي أمامة قال: «خطبنا رسول اللّه ﷺ يوماً فكان أكثر خطبته ذكر الدجال يحذرنا منه، ويحدثنا عنه حتى فرغ من خطبته، فكان فيما قال لنا يومئذ أن اللّه عز وجل لم يبعث نبياً إلا حذره أمته وأني آخر الأنبياء وأنتم آخر الأمم وهو خارج فيكم لا محالة فإن يخرج وأنا بين أظهركم فأنا حجيج كل مسلم، وإن يخرج فيكم بعدي فكل امرىء حجيج نفسه واللّه خليفتي على كل مسلم، إنه يخرج من خلة بين العراق والشام عاث يميناً وعاث شمالاً، يا عباد اللّه اثبتوا وأنه يبدأ فيقول أنا نبي ولا نبي بعدي، ثم يثني فيقول أنا ربكم ولن تروا ربكم حتى تموتوا وأنه مكتوب بين عينيه كافر يقرؤه كل مؤمن فمن لقيه منكم فليتفل في وجهه وليقرأ فواتح سورة أصحاب الكهف وأنه يسلط على نفس من بني آدم فيقتلها ثم يحييها وأنه لا يعدو ذلك ولا يسلط على نفس غيرها وأن من فتنته أن معه جنة وناراً فناره جنة وجنته نار فمن ابتلى بناره فليغمض عينيه وليستغث

باللّه تكن برداً وسلاماً كما كانت النار برداً وسلاماً على إبراهيم وأن أيامه أربعون يوماً يوماً كسنة ويوماً كشهر ويوماً كجمعة ويوماً كالأيام وآخر أيامه كالسراب، يصبح الرجل عند باب المدينة فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر، قالوا فكيف نصلي يا رسول اللّه في تلك الأيام، ؟ قال تقدرون في الأيام الطوال» ورواه الدارقطني عن ابن صاعد عن أحمد بن الفرج عن ضمرة بن ربيعة عن يحيى بن أبي عمرويه.

(فصل)

وأما حديث زيد بن ثابت فقال الإمام أحمد حدثنا أبو المغيرة قال حدثني أبو بكر قال حدثني ضمرة بن حبيب عن زيد بن ثابت «أن رسول اللّه ﷺ علمه دعاء وأمره أن يتعاهد به أهله كل يوم قال قل حين تصبح لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك والخير في يديك ومنك وإليك، اللهم وما قلت من قول أو نذرت من نذر أو حلفت من خلق فمشيئتك بين يديه ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بك إنك على كل شيء قدير، اللهم وما صليت من صلاة فعلي من صليت، وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت، أنت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين، أسألك اللهم الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، أعوذ بك اللهم أن أظلم أو أظلم أو أعتدي أو يعتدى عليّ أو أكسب خطيئة محبطة أو ذنباً لا تغفره، اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ذا الجلال والإكرام فإني أعهد إليك في هذه الحياة الدنيا وأشهدك وكفى بك شهيداً إني أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك. لك الملك ولك الحمد وأنت على كل شيء قدير، وأشهد أن محمداً عبدك ورسولك وأشهد أن وعدك حق وأن لقاءك حق، والجنة حق والساعة آتية لا ريب فيها وأنت تبعث من في القبور، وأشهد أنك أن تكلني إلى نفسي تكلني إلى ضيعة وعورة وذنب وخطيئة وإني لا أثق إلا برحمتك فاغفر لي ذنبي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت وتب عليّ إنك أنت التواب الرحيم» رواه أبو داود في صحيحه.

(فصل)

وأما حديث عمار بن ياسر فقال الإمام أحمد حدثنا إسحاق الأزرق عن شريك

عن ابي هاشم عن أبي مجلز: «قال صلى بنا عمار صلاة فأوجز فيها فأنكروا ذلك فقال ألم أتم الركوع والسجود؟ قالوا بلى، قال أما أني قد دعوت فيها بدعاء كان رسول الله ﷺ يدعو به اللهم بعلمك الغيب وقدرتك على الخلق أحيني ما علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي، وأسألك خشيتك في الغيب والشهادة وكلمة الحق في الغضب والرضا، والقصد في الفقر والغنى، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين» وأخرجه ابن حبان والحاكم في صحيحيهما.

(فصل)

(وأما حديث عائشة) ففي صحيح الحاكم من حديث الزهري عن عروة عنها قالت قال رسول الله ﷺ: «لجابر يا جابر ألا أبشرك؟ قال بلى بشرك الله بخير قال شعرت أن الله أحيا أباك فأقعده بين يديه فقال تمنّ عليّ عبدي، ما شئت أعطكه قال يا رب ما عبدتك حق عبادتك أتمنى عليك أن تردني إلى الدنيا فأقاتل مع نبيك، فأقتل فيك مرة أخرى، قال إنه قد سلف مني أنك إليها لا ترجع» وهو في المسند من حديث جابر وفي مسنده أدخله وللترمذي فيه سياق أتم من هذا عن جابر قال: «لما قتل عبد الله بن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله ﷺ يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟ قال بلى قال ما كلم الله عز وجل أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً فقال يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال أنه قد سبق مني أنهم إليها لا يرجعون قال يا رب فأبلغ من ورائي فأنزل الله عز وجل هذه الآية ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً﴾ الآية قال الترمذي هذا حديث حسن غريب قلت وإسناده صحيح ورواه الحاكم في صحيحه.

(فصل)

وأما حديث عبد الله بن عمر فقال الترمذي حدثنا عبد بن حميد عن شبابة عن سرائيل عن ثوير بن أبي فاختة وقال الطبراني حدثنا أسد بن موسى حدثنا أبو معاوية محمد بن حازم عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير بن أبي فاختة عن ابن عمر قال قال

رسول اللّه ﷺ: «إن أدنى أهل الجنة منزلة لرجل ينظر في ملكه الفي سنة يرى أقصاه كما يرى أدناه ينظر إلى أزواجه وسرره وخدمه وأن أفضلهم منزلة من ينظر إلى وجه اللّه تبارك وتعالى كل يوم مرتين» (قال الترمذي) وروى هذا الحديث من غير وجه عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً ورواه عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر مرفوعاً وروى الأشجعي عبيد اللّه عن سفيان الثوري عن ثوير عن مجاهد عن ابن عمر نحوه ولم يرفعه حدثنا بذلك أبو كريب قلت ورواه الحسن بن عرفة عن شبابة عن إسرائيل عن ثوير عن ابن عمر مرفوعاً وزاد فيه «ثم قرأ رسول اللّه ﷺ **﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** وقال سعيد بن هشيم بن بشير عن أبيه عن كريز بن حكيم عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول اللّه ﷺ: «يوم القيامة أول يوم نظرت فيه عين إلى اللّه تبارك وتعالى» ورواه الدارقطني عن جماعة عن أحمد بن يحيى بن حبان الرقي عن إبراهيم بن خرزاذ عنه (وقال الدارقطني) حدثنا أحمد بن سليمان حدثنا أحمد بن يونس حدثنا عبد الحميد بن صالح حدثنا أبو شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن عبد اللّه بن عمر قال سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «ألا أخبركم بأسفل أهل الجنة، قالوا بلى يا رسول اللّه، فذكر الحديث إلى أن قال حتى إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه أشرف الرب تبارك وتعالى عليهم فينظرون إلى وجه الرحمن عز وجل فيقول يا أهل الجنة هللوني وكبروني وسبحوني بما كنتم تهللوني وتكبروني وتسبحوني في دار الدنيا فيتجاوبون بتهليل الرحمن فيقول تبارك وتعالى لداود يا داود قم فمجدني فيقوم داود فيمجد ربه عز وجل» (وقال عثمان) بن سعيد الدارمي في رده على بشر المريسي حدثنا أحمد بن يونس عن أبي شهاب الخياط عن خالد بن دينار عن حماد بن جعفر عن ابن عمر يرفعه إلى النبي ﷺ: «إن أهل الجنة إذا بلغ النعيم منهم كل مبلغ وظنوا أن لا نعيم أفضل منه تجلى لهم الرب تبارك وتعالى فنظروا إلى وجه الرحمن فنسوا كل نعيم عاينوه حين نظروا إلى وجه الرحمن».

(فصل)

وأما حديث عمارة بن رويبة فقال ابن بطة في الإبانة حدثنا عبد الغافر بن سلامة الحمصي حدثنا محمد بن عوف بن سفيان الطائي حدثنا أبو اليمان حدثنا إسماعيل بن

عياش عن عبد الرحمن بن عبد اللّٰه بن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «نظر النبي ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تضارون في رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا» قال ابن بطة وأخبرني أبو القاسم بن عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا عبد الرزاق بن منصور حدثنا المغيرة حدثنا المسعودي عن إسماعيل بن أبي خالد عن أبي بكر بن عمارة بن رويبة عن أبيه قال: «نظر رسول اللّٰه ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال أنكم سترون ربكم تبارك وتعالى كما ترون هذا القمر لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على ركعتين قبل طلوع الشمس وركعتين بعد غروبها فافعلوا».

(فصل)

وأما حديث سلمان الفارسي فقال أبو معاوية حدثنا عاصم الأحول عن أبي عثمان عن سلمان الفارسي قال: «يأتون النبي ﷺ فيقولون يا نبي اللّٰه إن اللّٰه فتح بك وختم بك وغفر لك، قم فاشفع لنا إلى ربك، فيقول نعم أنا صاحبكم فيخرج يحوش الناس حتى ينتهي إلى باب الجنة فيأخذ بحلقة الباب فيقرع فيقال من هذا؟ فيقال محمد قال فيفتح له فيجيء حتى يقوم بين يدي اللّٰه فيستأذن في السجود فيؤذن له» الحديث.

(فصل)

وأما حديث حذيفة بن اليمان فقال ابن بطة أخبرني أبو القاسم عمر بن أحمد عن أبي بكر أحمد بن هارون حدثنا يزيد بن جمهور حدثنا الحسن بن يحيى ابن كثير العنبري حدثني أبي عن إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة بن اليمان وقال البزار حدثنا محمد بن معمر وأحمد بن عمرو بن عبيد العصفري قالا حدثنا يحيى بن كثير حدثنا إبراهيم بن المبارك عن القاسم بن مطيب عن الأعمش عن أبي وائل عن حذيفة قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «أتاني جبريل فإذا في كفه مرآة كأصفى المرايا وأحسنها وإذا في وسطها نكتة سوداء قال قلت يا جبريل ما هذه؟ قال هذه الدنيا صفاؤها وحسنها قال قلت وما هذه اللمعة في وسطها؟

قال هذه الجمعة قال قلت وما الجمعة؟ قال يوم من أيام ربك عظيم وسأخبرك بشرفه وفضله واسمه في الآخرة (أما شرفه وفضله في الدنيا فإن اللّه تعالى جمع فيه أمر الخلق وأما ما يرجى فيه فإن فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم أو أمة مسلمة يسألان اللّه فيها خيراً ألا أعطاهما إياه (وأما شرفه وفضله واسمه في الآخرة فإن اللّه تبارك وتعالى إذا صير أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار وجرت عليهم أيامها وساعاتها ليس بها ليل ولا نهار إلا قد علم اللّه مقدار ذلك وساعاته فإذا كان يوم الجمعة في الحين الذي يبرز أو يخرج فيه أهل الجنة إلى جمعتهم نادى مناد يا أهل الجنة اخرجوا إلى دار المزيد لا يعلم سعته وعرضه وطوله إلا الله عز وجل في كثبان من المسك قال فيخرج غلمان الأنبياء بمنابر من نور ويخرج غلمان المؤمنين بكراسي من ياقوت قال فإذا وضعت لهم وأخذ القوم مجالسهم بعث الله تبارك وتعالى عليهم ريحاً تدعى المثيرة تثير عليهم آثار المسك الأبيض تدخله من تحت ثيابهم وتخرجه في وجوههم وأشعارهم فتلك الريح أعلم كيف تصنع بذلك المسك من امرأة أحدكم لو دفع إليها ذلك الطيب بإذن اللّه تعالى قال ثم يوحي اللّه سبحانه إلى حملة العرش فيوضع بين ظهراني الجنة وبينه وبينهم الحجب فيكون أول ما يسمعون منه أن يقول أين عبادي الذين أطاعوني في الغيب ولم يروني وصدقوا رسلي واتبعوا أمري فسلوني فهذا يوم المزيد، قال فيجتمعون على كلمة واحدة ربنا رضينا عنك فارض عنا، قال فيرجع اللّه تعالى في قولهم أن يا أهل الجنة أني لو لم أرض عنكم لما اسكنتكم جنتي فسلوني فهذا يوم المزيد، قال فيجتمعون على كلمة واحدة رضينا عنك فارض عنا، قال فيرجع اللّه عز وجل في قولهم أن يا أهل الجنة إني لو لم أرض عنكم لما أسكنتكم جنتي فهذا يوم المزيد فسلوني، قال فيجتمعون على كلمة واحدة رب وجهك رب وجهك أرنا ننظر إليه، قال فيكشف اللّه تبارك وتعالى تلك الحجب ويتجلى لهم فيغشاهم من نوره شيء لولا أنه قضى عليهم أن لا يحترقوا لاحترقوا مما غشيهم من نوره، قال ثم يقال ارجعوا إلى منازلكم قال فيرجعون إلى منازلهم وقد خفوا على أزواجهم وخفين عليهم مما غشيهم من نوره فإذا صاروا إلى منازلهم يزاد النور وأمكن، ويزاد وأمكن حتى يرجعوا إلى صورهم التي كانوا عليها قال فيقول لهم أزواجهم لقد خرجتم من عندنا على صورة ورجعتم على غيرها قال فيقولون ذلك بأن اللّه تبارك وتعالى تجلى لنا فنظرنا منه إلى ما خفينا به عليكم، قال فلهم في كل سبعة أيام الضعف على ما كانوا

فيه قال وذلك قوله عز وجل ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون﴾ (وقال عبد الرحمن بن مهدي) حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن يزيد السعدي عن حذيفة في قوله عز وجل ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال النظر إلى وجه اللّٰه عز وجل، قال الحاكم وتفسير الصحابي عندنا في حكم المرفوع.

(فصل)

وأما حديث ابن عباس فروى ابن خزيمة من حديث حماد بن سلمة عن ابن جدعان عن أبي نضرة قال: خطبنا ابن عباس فقال قال رسول اللّٰه ﷺ: «ما من نبي إلا وله دعوة تعجلها في الدنيا وإني اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة فآتي باب الجنة فآخذ بحلقة الباب فاقرع الباب فيقال من أنت؟ فأقول أنا محمد فآتي ربي وهو على كرسيه أو على سريره فيتجلى لي ربي فأخر له ساجداً» ورواه ابن عيينة عن ابن جدعان فقال عن أبي سعيد بدل ابن عباس وقال أبو بكر بن أبي داود حدثنا عمي محمد بن الأشعث حدثنا ابن جبير قال حدثني أبي جبير عن الحسن عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يرون ربهم تبارك وتعالى في كل يوم جمعة في رمال الكافور وأقربهم منه مجلساً أسرعهم إليه يوم الجمعة وأبكرهم غدواً».

(فصل)

وأما حديث عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص فقال الصنعاني حدثنا صدقة بن عمرو العقدي قال قرأت على محمد بن إسحاق حدثني أمية بن عبد اللّٰه بن عمرو بن عثمان عن أبيه عن عبد اللّٰه بن عمرو قال سمعت عبد اللّٰه بن عمرو بن العاص يحدث مروان بن الحكم وهو أمير المدينة قال: «خلق اللّٰه الملائكة لعبادته أصنافاً فإن منهم لملائكة قياماً صافين من يوم خلقهم إلى يوم القيامة وملائكة ركوعاً خشوعاً من يوم خلقهم إلى يوم القيامة، وملائكة سجوداً منذ خلقهم إلى يوم القيامة، فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم تعالى ونظروا إلى وجهه الكريم قالوا سبحانك ما عبدناك حق عبادتك».

(فصل)

وأما حديث أبي بن كعب فقال الدارقطني حدثنا عبد الصمد بن علي حدثنا محمد بن زكريا بن دينار قال حدثني قحطبة بن علاقة حدثنا أبو جلدة عن أبي العالية عن أبي بن كعب عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال النظر إلى وجه الله عز وجل ﴿وأما حديث كعب بن عجرة﴾ فقال محمد بن حميد حدثنا إبراهيم بن المختار عن ابن جريج عن عطاء الخراساني عن كعب بن عجرة عن النبي ﷺ في قوله تعالى ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ قال الزيادة النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

(فصل)

وأما حديث فضالة بن عبيد فقال عثمان بن سعيد الدارمي حدثنا محمد بن المهاجر عن أبي حليس عن أبي الدرداء أن فضالة يعني ابن عبيد كان يقول: «اللهم إني أسألك الرضا بعد القضاء وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة».

(فصل)

وأما حديث عبادة بن الصامت ففي مسند أحمد من حديث بقية حدثنا يحيى بن سعيد عن خالد بن معدان عن عمرو بن الأسود عن جنادة بن أبي أمية عن عبادة بن الصامت عن النبي ﷺ أنه قال: «قد حدثتكم عن الدجال حتى خشيت أن لا تعقلوا أن مسيح الدجال رجل قصير أفحج[1] جعد أعور مطموس العين ليست بناتئة ولا حجراء[2] فإن التبس عليكم فاعلموا أن ربكم ليس بأعور وأنكم لن تروا ربكم حتى تموتوا» (وأما حديث الرجل من أصحاب النبي ﷺ) فقال الصنعاني حدثنا روح بن عبادة حدثنا عباد بن منصور قال سمعت عدي بن أرطاة يخطب على المنبر بالمدائن فجعل يعظ حتى بكى وأبكانا ثم قال كونوا كرجل قال لابنه وهو يعظه «يا بني أوصيك

---

(١) أفحج متباعد ما بين الفخذين.

(٢) جحراء أي غائرة متحجرة.

أن لا تصلي صلاة إلا ظننت أنك لا تصلي بعدها غيرها حتى تموت، وتعال يا بني نعمل عمل رجلين كأنهما قد وقفا على النار ثم سألا الكرة، ولقد سمعت فلاناً ـ نسي عباد اسمه ـ ما بيني وبين رسول اللَّه ﷺ غيره فقال أن رسول اللَّه ﷺ قال: «إن للَّه ملائكة ترعد فرائصهم من مخافته ما منهم ملك تقطر دمعته من عينه إلا وقعت ملكاً يسبح اللَّه تعالى، قال وملائكة سجود منذ خلق اللَّه السموات والأرض لم يرفعوا رؤوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة وصفوف لم ينصرفوا عن مصافهم ولا ينصرفون إلى يوم القيامة فإذا كان يوم القيامة وتجلى لهم ربهم فنظروا إليه قالوا سبحانك ما عبدناك كما ينبغي لك أن نعبدك».

(فصل)

وهاك بعض ما قاله أصحاب رسول اللَّه ﷺ والتابعون وأئمة الإسلام بعدهم.

(قول) أبي بكر الصديق رضي اللَّه عنه قال أبو إسحاق عن عامر بن سعد قرأ أبو بكر الصديق ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ فقالوا ما الزيادة يا خليفة رسول اللَّه؟ قال النظر إلى وجه اللَّه تبارك وتعالى (قول) علي بن أبي طالب رضي اللَّه عنه قال عبد الرحمن بن أبي حاتم حدثنا علي بن ميسرة الهمداني حدثنا صالح بن أبي خالد العنبري عن أبي الأحوص عن أبي إسحاق الهمداني عن عمارة بن عبيد قال سمعت علياً يقول: «من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه اللَّه تبارك وتعالى في جنته» (قول) حذيفة بن اليمان رضي اللَّه عنه قال حدثنا وكيع عن إسرائيل عن أبي إسحاق عن مسلم بن زيد عن حذيفة قال الزيادة النظر إلى وجه اللَّه تبارك وتعالى (قول) عبد اللَّه بن مسعود وعبد الله بن عباس رضي اللَّه عنهم ذكر أبو عوانة عن هلال عن عبد اللَّه بن عكيم قال سمعت عبد اللَّه بن مسعود يقول في هذا المسجد مسجد الكوفة يبدأ باليمين قبل أن يحدثنا فقال: «واللَّه ما منكم من إنسان إلا أن ربه سيخلو به يوم القيامة كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر قال فيقول ما غرك بي يا بن آدم ثلاث مرات، ماذا أجبت المرسلين ثلاثاً؟ كيف عملت فيما علمت» وقال ابن أبي داود حدثنا أحمد بن الأزهر حدثنا إبراهيم بن الحكم حدثنا أبي عن عكرمة قال قيل لابن عباس كل من دخل الجنة يرى اللَّه عزَّ وجل؟ قال نعم، وقال إسباط بن نصر عن إسماعيل السدي عن أبي مالك وأبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود

لزيادة النظر إلى وجه الله عز وجل؟ (قول معاذ بن جبل) قال عبد الرحمن بن أبي حاتم أنبأنا إسحاق بن أحمد الخراز حدثنا إسحاق بن سليمان الرازي عن المغيرة بن مسلم عن ميمون بن أبي حمزة قال: «كنت جالساً عند أبي وائل فدخل علينا رجل يقال له أبو عفيف فقال له شقيق بن سلمة يا أبا عفيف ألا تحدثنا عن معاذ بن جبل قال بلى سمعته يحشر الناس يوم القيامة في صعيد واحد فينادي أين المتقون فيقومون في كنف واحد من الرحمن لا يحتجب الله منهم ولا يستتر، قلت من المتقون؟ قال قوم اتقوا الشرك وعبادة الأوثان وأخلصوا لله في العبادة فيمرون إلى الجنة» (قول أبي هريرة رضي الله عنه) قال ابن وهب أخبرني ابن لهيعة عن أبي النصر أن أبا هريرة كان يقول لن تروا ربكم حتى تذوقوا الموت (قول عبد الله بن عمر) قال حسين الجعفي عن عبد الملك بن أبجر عن ثوير عن ابن عمر قال: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى ملكه ألفي عام يرى أدناه كما يرى أقصاه وأن أفضلهم منزلة لمن ينظر إلى وجه الله في كل يوم مرتين» (قول فضالة بن عبيد) ذكر الدارمي عن محمد بن مهاجر عن أبي حليس عن أبي الدرداء أن فضالة بن عبيد كان يقول: «أللهم إني أسألك الرضا بعد القضا، وبرد العيش بعد الموت، ولذة النظر إلى وجهك» وقد تقدم: (قول أبي موسى الأشعري) قال وكيع عن أبي بكر الهذلي عن أبي تميمة عن أبي موسى قال الزيادة النظر إلى وجه الله، وروى يزيد بن هارون وابن أبي عدي وابن علية عن التيمي عن أسلم العجلي عن أبي مزانة عن أبي موسى الأشعري أنه كان يحدث الناس فشخصوا بأبصارهم فقال ما صرف أبصارهم عني؟ قالوا الهلال قال فكيف بكم إذا رأيتم وجه الله جهرة (قول أنس بن مالك) قال ابن أبي شيبة حدثنا يحيى بن يمان حدثنا شريك عن أبي اليقظان عن أنس بن مالك في قوله عز وجل ﴿ولدينا مزيد﴾ قال يظهر لهم الرب تبارك وتعالى يوم القيامة (قول جابر بن عبد الله) قال مروان بن معاوية عن الحكم بن أبي خالد عن الحسن عن جابر قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأديم عليهم بالكرامة جاءتهم خيول من ياقوت أحمر لا تبول ولا تروث لها أجنحة فيقعدون عليها ثم يأتون الجبار فإذا تجلى لهم خروا له سجداً فيقول يا أهل الجنة ارفعوا رؤوسكم فقد رضيت عنكم لا سخط بعده، (قال الطبري) فتحصل في الباب ممن روى عن رسول الله ﷺ من الصحابة حديث الرؤية ثلاث وعشرون نفساً منهم علي وأبو هريرة وأبو سعيد وجرير وأبو موسى وصهيب وجابر وابن عباس وأنس وعمار بن

ياسر وأبي بن كعب، وابن مسعود وزيد بن ثابت وحذيفة بن اليمان وعبادة بن الصامت وعدي بن حاتم وأبو رزين العقيلي وكعب بن عجرة وفضالة بن عبيد وبريدة بن الحصيب ورجل من أصحاب النبي ﷺ (وقال الدارقطني) أنبأنا محمد بن عبد الله حدثنا جعفر بن محمد الأزهر حدثنا مفضل بن غسان قال سمعت يحيى بن معين يقول عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية كلها صحاح (وقال البيهقي) روينا في إثبات الرؤية عن أبي بكر الصديق وحذيفة بن اليمان وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس وأبي موسى وغيرهم ولم يرو عن أحد منهم نفيها ولو كانوا فيها مختلفين لنقل اختلافهم في ذلك إلينا كما أنهم لما اختلفوا في رؤية الله بالأبصار في الدنيا نقل اختلافهم في ذلك إلينا فلما نقلت رؤية الله سبحانه وتعالى بالأبصار في الآخرة عنهم ولم ينقل في ذلك اختلاف كما نقل عنهم فيها اختلاف في الدنيا علمنا أنهم كانوا على القول برؤية الله بالأبصار في الآخرة متفقين ومجتمعين وأما التابعون ونزل الإسلام وعصابة الإيمان من أئمة الحديث والفقه والتفسير وأئمة التصوف فأقوالهم أكثر من أن يحيط بها إلا الله عز وجل قال سعيد بن المسيب الزيادة النظر إلى وجه الله رواه مالك عن يحيى عنه وقال الحسن الزيادة النظر إلى وجه الله رواه ابن أبي حاتم عنه وقال عبد الرحمن بن أبي ليلى الزيادة النظر إلى وجه الله تعالى رواه حماد بن زيد عن ثابت عنه وقاله عامر بن سعد البجلي ذكره سفيان عن أبي إسحاق عنه وقاله عبد الرحمن بن سابط رواه جرير بن ليث عنه وقاله عكرمة ومجاهد وقتادة والسدي والضحاك وكعب وكتب عمر بن عبد العزيز إلى بعض عماله أما بعد فإني أوصيك بتقوى الله ولزوم طاعته والتمسك بأمره والمعاهدة على ما حملك الله من دينه واستحفظك من كتابه فإن بتقوى الله نجا أولياء من سخطه وبها رافقوا أنبياءه وبها نضرت وجوههم ونظروا إلى خالقهم، وهي عصمة في الدنيا من الفتن ومن كرب يوم القيامة، وقال الحسن لو علم العابدون في الدنيا أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لذابت أنفسهم في الدنيا وقال الأعمش وسعيد بن جبير إن أشرف أهل الجنة لمن ينظر إلى الله تبارك وتعالى غدوة وعشية، وقال كعب ما نظر الله سبحانه إلى الجنة قط إلا قال طيبي لأهلك فزادت ضعفاً على ما كانت حتى يأتيها أهلها وما من يوم كان لهم عيد في الدنيا إلا ويخرجون في مقداره في رياض الجنة فيبرز لهم الرب تبارك وتعالى فينظرون إليه وتسفى عليهم الريح المسك ولا يسألون الرب تعالى شيئاً إلا أعطاهم حتى يرجعوا وقد ازدادوا على

ما كانوا من الحسن والجمال سبعين ضعفاً، ثم يرجعون إلى أزواجهم وقد ازددن مثل ذلك. وقال هشام بن حسان إن اللّه سبحانه وتعالى يتجلى لأهل الجنة فإذا رآه أهل الجنة نسوا نعيم الجنة وقال طاووس أصحاب المراء والمقاييس لا يزال بهم المراء والمقاييس حتى يجحدوا الرؤية ويخالفوا أهل السنة وقال شريك عن أبي إسحاق السبيعي الزيادة النظر إلى وجه الرحمن تبارك وتعالى وقال حماد بن زيد عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى أنه تلى هذه الآية **﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾** قال إذا دخل أهل الجنة الجنة اعطوا فيها ما سألوا وما شاؤا فيقول اللّه عز وجل لهم أنه قد بقي من حقكم شيء لم تعطوه فيتجلى لهم ربهم فلا يكون ما اعطوه عند ذلك بشيء فالحسنى الجنة والزيادة النظر إلى وجه ربهم عز وجل **﴿ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة﴾** بعد نظرهم إلى ربهم تبارك وتعالى، وقال علي بن المديني سألت عبد اللّه بن المبارك عن قوله تعالى **﴿فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً﴾** قال عبد اللّه من أراد النظر إلى وجه اللّه خالقه فليعمل عملاً صالحاً ولا يخبر به أحداً. وقال نعيم بن حماد سمعت ابن المبارك يقول ما حجب اللّه عز وجل أحداً عنه إلا عذبه ثم قرأ **﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، ثم أنهم لصالوا الجحيم، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾** قال بالرؤية ذكره ابن أبي الدنيا عن يعقوب عن إسحاق عن نعيم، وقال عباد بن العوام قدم علينا شريك بن عبد الله منذ خمسين سنة فقلت له يا أبا عبد اللّه إن عندنا قوماً من المعتزلة ينكرون هذه الأحاديث «إن اللّه ينزل إلى سماء الدنيا» و«إن أهل الجنة يرون ربهم» فحدثني بنحو عشرة أحاديث في هذا وقال أما نحن فقد أخذنا ديننا هذا عن التابعين عن أصحاب رسول اللّه ﷺ فهم عمن أخذوا، وقال عقبة بن قبيصة أتينا أبا نعيم يوماً فنزل إلينا من الدرجة التي في داره فجلس وسطها كأنه مغضب فقال حدثنا سفيان بن سعيد ومنذر الثوري وزهير بن معاوية وحدثنا حسن بن صالح بن حي وحدثنا شريك بن عبد اللّه النخعي هؤلاء أبناء المهاجرين يحدثوننا عن رسول الله ﷺ أن اللّه تبارك وتعالى يرى في الآخرة حتى جاء ابن يهودي صباغ يزعم أن اللّه تعالى لا يرى ـ يعني بشر المريسي.

(فصل)

في المنقـول عن الأئمة الأربعـة ونظرائهم وشيـوخهم وأتباعهم على طـريقهم ومنهاجهم (ذكر قول إمام دار الهجرة مالك بن أنس) قال أحمـد بن صالـح المصري حدثنا عبد اللّه بن وهب قال قال مالك بن أنس. الناس ينظرون إلى ربهم عز وجل يوم القيامة بأعينهم؟ وقال الحارث بن مسكين حدثنا أشهب قال سئل مالك عن قولـه عز وجل ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ أتنظر إلى اللّه عز وجل؟ قال نعم، فقلت أن أقواماً يقولون تنظر ما عنده، قال بل تنظر إليه نظراً وقد قال موسى يا رب أرني أنظر إليك، قال لن تراني وقال اللّه تعالى ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وذكر الطبري وغيره أنه قيل لمالك إنهم يزعمون أن اللّه لا يرى، فقال مالك السيف السيف (ذكر قول ابن الماجشون) قال أبو حاتم الرازي قال أبو صالح كاتب الليث أملى على عبد العزيز بن أبي سلمة الماجشون وسألته عما جحدت الجهمية فقال لم يزل يملي لهم الشيطان حتى جحدوا قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ فقالوا لا يراه أحد يوم القيامة فجحدوا، والله أفضل كرامة الله التي أكرم بها أولياءه يوم القيامة من النظر إلى وجهه ونضرته إياهم في مقعد صـدق عند مليـك مقتدر فـورب السماء والأرض ليجعلن رؤيتـه يوم القيـامة للمخلصين لـه ثواباً لينضـر بهـا وجـوههم دون المجرمين وتفلج بها حجتهم على الجاحدين وهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون لا يرونه كمـا زعموا أنـه لا يرى ولا يكلمهم ولا ينـــظر إليهم ولهم عـذاب أليم (ذكـر قـول الأوزاعي) ذكـر ابن أبي حاتم عنـه قال إني لأرجـو أن يحجب الله عـز وجـل جهمـا وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين يقول ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ فجحد جهم وأصحابه أفضـل ثوابـه الذي وعـده اللّه أولياءه (ذكـر قول الليث بن سعد) قال ابن أبي حاتم حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث حـدثنا الهيثم بن خارجة قال سمعت الوليد بن مسلم يقول سألت الأوزاعي وسفيان الثوري ومالك بن أنس والليث بن سعد عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية فقالوا تمـر بلا كيف (قـول سفيان بن عيينة) ذكر الطبري وغيره عنه أنه قال من لم يقل إن القرآن كلام الله وإن الله يرى في الجنة فهـو جهمي، وذكر عنـه ابن أبي حاتم أنـه قال يصلي خلف الجهمي والجهمي الذي يقول لا يرى ربه يوم القيامة (قول جرير بن عبد الحميد) ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه ذكر حديث ابن سابط في الزيادة أنها النظر إلى وجـه الله فأنكـره رجل

فصاح به وأخرجه من مجلسه (قول عبد الله بن المبارك) ذكر عبد الرحمن بن أبي حاتم عنه أن رجلاً من الجهمية قال له يا أبا عبد الرحمن (خداراً بآن جهان جون ببينند) ومعناه كيف يرى الله يوم القيامة؟ فقال بالعين، وقال ابن أبي الدنيا حدثنا يعقوب بن إسحاق قال سمعت نعيم بن حماد يقول سمعت بن المبارك يقول ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ثم أنهم لصالوا الجحيم، ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون**﴾ قال ابن المبارك بالرؤية (قول وكيع بن الجراح) ذكر ابن أبي حاتم عنه أنه قال يراه تبارك وتعالى المؤمنون في الجنة ولا يراه إلا المؤمنون (قول قتيبة بن سعيد) ذكر ابن أبي حاتم عنه قال قول الأئمة المأخوذ به في الإسلام والسنة الإيمان بالرؤية والتصديق بالأحاديث التي جاءت عن رسول الله ﷺ في الرؤية (قول أبي عبيد القاسم بن سلام) ذكر ابن بطة وغيره عنه أنه ذكرت عنده هذه الأحاديث التي في الرؤية فقال هي عندنا حق رواها الثقات عن الثقات إلى أن صارت إلينا إلا أنا إذ قيل لنا فسروها لنا قلنا لا نفسر منها شيئاً ولكن نمضيها كما جاءت (قول أسود بن سالم شيخ الإمام أحمد) قال المروزي حدثنا عبد الوهاب الوراق قال سألت أسود بن سالم عن أحاديث الرؤية فقال أحلف عليها بالطلاق وبالمشي أنها حق (قول محمد بن إدريس الشافعي) قد تقدم رواية الربيع عنه أنه قال في قوله تعالى ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ لما حجب هؤلاء في السخط كان في هذا دليل على أن أولياءه يرونه في الرضا قال الربيع فقلت يا أبا عبد اللّه ونقول به؟ قال نعم وبه أدين الله، ولو لم يوقن محمد بن إدريس أنه يرى الله عز وجل لما عبده، وقال ابن بطة حدثنا ابن الأنباري حدثنا أبو القاسم الأنماطي صاحب المزني قال قال الشافعي رحمه الله ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ دلالة على أن أولياء الله يرونه يوم القيامة بأبصارهم ووجوههم (قول إمام السنة أحمد بن حنبل) قال إسحاق بن منصور قلت لأحمد أليس ربنا تبارك وتعالى يراه أهل الجنة؟ أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد صحيح. قال ابن منصور وقال إسحاق بن راهويه صحيح ولا يدعه إلا كل مبتدع أو ضعيف الرأي (وقال الفضل بن زياد) سمعت أبا عبد اللّه وقيل له تقول بالرؤية؟ فقال من لم يقل بالرؤية فهو جهمي، قال سمعت أبا عبد الله وبلغه عن رجل أنه قال أن الله لا يرى في الآخرة فغضب غضباً شديداً ثم قال من قال أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر، عليه لعنة الله وغضبه، ومن كان من الناس

أليس يقول الله عز وجل ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وقال ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وقال أبو داود سمعت أحمد وذكر له عن رجل شيء في الرؤية فغضب وقال من قال أن الله لا يرى فهو كافر، وقال أبو داود وسمعت أحمد بن حنبل وقيل له في رجل يحدث بحديث عن رجل عن أبي العطوف أن الله لا يرى في الآخرة فقال لعن الله من يحدث بهذا الحديث اليوم، ثم قال أخزي الله هذا، وقال أبو بكر المروزي قيل لأبي عبد اللّٰه تعرف عن يزيد بن هارون عن أبي العطوف عن أبي الزبير عن جابر إن استقر الجبل فسوف تراني وإن لم يستقر فلا تراني في الدنيا ولا في الآخرة فغضب أبو عبد اللّٰه غضباً شديداً حتى تبين في وجهه وكان قاعداً والناس حوله فأخذ نعله وانتعل وقال أخزى اللّٰه هذا لا ينبغي أن يكتب ودفع أن يكون يزيد بن هارون رواه أو حدث به وقال هذا جهمي كافر خالف ما قال اللّٰه عز وجل ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ وقال ﴿كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ أخزى اللّٰه هذا الخبيث، قال أبو عبد اللّٰه ومن زعم أن اللّٰه لا يرى في الآخرة فقد كفر، وقال أبو طالب قال أبو عبد اللّٰه قول اللّٰه عز وجل ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم اللّٰه في ظلل من الغمام والملائكة﴾ ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ فمن قال أن اللّٰه لا يرى فقد كفر، وقال إسحاق بن إبراهيم بن هانيء سمعت أبا عبد اللّٰه يقول من لم يؤمن بالرؤية فهو جهمي والجهمي كافر، وقال يوسف بن موسى بن محمد القطان قيل لأبي عبد اللّٰه أهل الجنة ينظرون إلى ربهم تبارك وتعالى ويكلمونه ويكلمهم؟ قال نعم ينظر إليهم وينظرون إليه ويكلمهم ويكلمونه كيف شاؤا إذا شاؤا، وقال حنبل بن إسحاق سمعت أبا عبد اللّٰه يقول القوم يرجعون إلى التعطيل في أقوالهم ينكرون الرؤية والآثار كلها وما ظننتم على هذا حتى سمعت مقالاتهم قال حنبل وسمعت أبا عبد اللّٰه يقول من زعم أن اللّٰه لا يرى في الآخرة فهو جهمي فقد كفر، ورد على اللّٰه وعلى الرسول ومن زعم أن اللّٰه لم يتخذ إبراهيم خليلاً فقد كفر ورد على اللّٰه قوله، قال أبو عبد اللّٰه نحن نؤمن بهذه الأحاديث ونقر بها ونمرها كما جاءت، وقال الأثرم سمعت أبا عبد اللّٰه يقول فأما من يقول أن اللّٰه لا يرى في الآخرة فهو جهمي، قال أبو عبد اللّٰه يقول: «الرؤية من كذب بها فهو زنديق» وقال حنبل سمعت أبا عبد اللّٰه يقول: أدركنا الناس وما ينكرون من هذه الأحاديث شيئاً ـ أحاديث الرؤية ـ وكانوا يحدثون بها على الجملة يمرونها على حالها غير منكرين لذلك ولا مرتابين، وقال أبو عبد اللّٰه قال اللّٰه

تعالى: ﴿**وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولاً**﴾ وكلم الله موسى من وراء حجاب فقال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني فأخبر الله عز وجل أن موسى يراه في الآخرة وقال ﴿**كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون**﴾ ولا يكون حجاب إلا لرؤية أخبر اللّٰه سبحانه وتعالى أن من شاء الله ومن أراد يراه والكفار لا يرونه، قال حنبل وسمعت أبا عبد الله يقول قال الله تعالى: ﴿**وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ والأحاديث التي تروى في النظر إلى اللّٰه تعالى حديث جابر بن عبد اللّٰه وغيره ﴿**وتنظرون إلى ربكم**﴾ أحاديث صحاح وقال: ﴿**للذين أحسنوا الحسنى وزيادة**﴾ النظر إلى وجه اللّٰه تعالى قال أبو عبد الله نؤمن بها ونعلم أنها حق أحاديث الرؤية ونؤمن بأن الله يرى، نرى ربنا يوم القيامة لا نشك فيه ولا نرتاب، قال وسمعت أبا عبد الله يقول: من زعم أن الله لا يرى في الآخرة فقد كفر بالله وكذب بالقرآن ورد على الله أمره يستتاب فإن تاب وإلا قتل، قال حنبل قلت لأبي عبد الله في أحاديث الرؤية فقال هذه صحاح نؤمن بها ونقر بها وكلما روى عن النبي ﷺ إسناده جيد أقررنا به قال أبو عبد الله إذا لم نقر بما جاء عن النبي ﷺ ودفعناه رددنا على الله أمره قال الله عز وجل ﴿**وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا**﴾ (قول إسحاق بن راهويه) ذكر الحاكم وشيخ الإسلام وغيرهما عنه أن عبد الله بن طاهر أمير خراسان سأله فقال يا أبا يعقوب هذه الأحاديث التي يروونها في النزول والرؤية ما هن؟ فقال رواها من روى الطهارة والغسل والصلاة والأحكام وذكر أشياء فإن يكونوا في هذه عدولاً وإلا فقد ارتفعت الأحكام وبطل الشرع فقال شفاك الله كما شفيتني أو كما قال (قول جميع أهل الإيمان) قال إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة في كتابه أن المؤمنين لم يختلفوا أن المؤمنين يرون خالقهم يوم المعاد ومن أنكر ذلك فليس بمؤمن عند المؤمنين (قول المزني) ذكر الطبري في السنة عن إبراهيم عن أبي داود المصري قال كنا عند نعيم بن حماد جلوساً فقال نعيم للمزني ما تقول في القرآن؟ فقال أقول أن اللّٰه يرى يوم القيامة؟ قال نعم فلما افترق الناس قام إليه المزني فقال يا أبا عبد الله شهرتني على رؤوس الناس، فقال إن الناس قد أكثروا فيك فأردت أن أبرئك (قول جميع أهل اللغة) قال أبو عبد الله بن بطة سمعت أبا عمر محمد بن عبد الواحد صاحب اللغة يقول سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول في قوله تعالى ﴿**وكان بالمؤمنين رحيماً تحيتهم يوم**

يلقونه سلام﴾ أجمع أهل اللغة على أن اللقاء ههنا لا يكون إلا معاينة ونظراً بالأبصار
وحسبك بهذا الإسناد صحة، واللقاء ثابت بنص القرآن كما تقدم وبالتواتر عن
النبي ﷺ وكل أحاديث اللقاء صحيحة كحديث أنس في قصة حديث بئر معونة «إنا قد
لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا» وحديث عبادة وعائشة وأبي هريرة وابن مسعود «من أحب
لقاء الله أحب الله لقاءه وحديث أنس «إنكم ستلقون بعدي أثره فاصبروا حتى تلقوا الله
ورسوله» وحديث أبي ذر «لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً
لقيتك بقرابها مغفرة» وحديث أبي موسى من لقي الله لا يشرك به شيئاً دخل الجنة»
وغير ذلك من أحاديث اللقاء التي أطردت كلها بلفظ واحد

(فصل)
في وعيد منكري الرؤية

قد تقدم قوله تعالى ﴿ كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون﴾ وقول عبد اللّه
ابن المبارك ما حجب الله عنه أحداً إلا عذبه ثم قرأ قوله تعالى ﴿ثم أنهم لصالوا
الجحيم ثم يقال هذا الذي كنتم به تكذبون﴾ قال بالرؤية وروى مسلم في صحيحه من
حديث أبي هريرة قال: «قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال هل تضارون
في رؤية الشمس في الظهيرة ليست فيها سحابة؟ قالوا لا، قال هل تضارون في رؤية
القمر ليلة البدر ليس فيه سحابة؟ قالوا لا، قال فوالذي نفس محمد بيده لا تضارون
في رؤية ربكم إلا كما إلا كما تضارون في رؤية أحدهما فيلقي العبد فيقول أي فل ألم
أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس وترفع؟ فيقول بلى،
فيقول أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول لا، فيقول فإني أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثاني
فيقول أي فل ألم أكرمك وأسودك وأزوجك وأسخر لك الخيل والإبل وأذرك ترأس
وترفع؟ فيقول بلى أي ربي، فيقول أفظننت أنك ملاقي فيقول لا، فيقول أني أنساك
كما نسيتني، ثم يلقي الثالث فيقول له مثل ذلك فيقول يا رب آمنت بك وبكتبك
وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت ويثني بخير ما استطاع فيقول ههنا إذاً، ثم يقال
الآن نبعث شاهداً عليك فيتفكر في نفسه من الذي يشهد علي فيختم على فيه ويقال
لفخذه انطقي فينطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله وذلك ليعذر من نفسه وذلك المنافق
وذلك الذي يسخط الله عليه» فاجمع بين قوله فإنكم سترون ربكم وقوله لمن ظن أنه

غير ملاقيه فإني أنساك كما نسيتني وإجماع أهل اللغة على أن اللقاء المعاينة بالأبصار يحصل لك العلم بأن منكر الرؤية أحق بهذا الوعيد (ومن تراجم أهل السنة على هذا الحديث) باب في الوعيد لمنكري الرؤية كما فعل شيخ الإسلام وغيره وباللّه التوفيق.

فصل)

قد دل القرآن والسنة المتواترة وإجماع الصحابة وأئمة الإسلام وأهل الحديث عصابة الإسلام ونزل الإيمان وخاصة رسول اللّه ﷺ على أن اللّه سبحانه وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عياناً كما يرى القمر ليلة البدر صحواً وكما ترى الشمس في الظهيرة فإن كان لما أخبر اللّه ورسوله عنه من ذلك حقيقة وإن له واللّه حق الحقيقة فلا يمكن أن يروه إلا من فوقهم لاستحالة أن يروه من أسفل منهم أو خلفهم أو أمامهم أو عن يمينهم أو عن شمالهم وإن لم يكن لما أخبر به حقيقة كما يقوله أفراخ الصائبة والفلاسفة والمجوس والفرعونية بطل الشرع والقرآن فإن الذي جاء بهذه الأحاديث هو الذي جاء بالقرآن والشريعة والذي بلغها هو الذي بلغ الدين فلا يجوز أن يجعل كلام اللّه ورسوله عضين بحيث يؤمن ببعض معانيه ويكفر ببعضها فلا يجتمع في قلب العبد بعد الإطلاع على هذه الأحاديث وفهم معناها إنكارها والشهادة بأن محمداً رسول اللّه أبداً. والحمد للّه الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق، والمنحرفون في باب رؤية الرب تبارك وتعالى نوعان (أحدهما) من يزعم أنه يرى في الدنيا ويحاضر ويسامر و (الثاني) من يزعم أنه لا يرى في الآخرة البتة ولا يكلم عباده وما أخبر الله به ورسوله وأجمع عليه الصحابة وائمة يكذب الفريقين وباللّه التوفيق.

الباب السادس والستون
في تكليمه سبحانه وتعالى لأهل الجنة وخطابه لهم ومحاضرته إياهم وسلامه عليهم

قال تعالى: ﴿إن الذين يشترون بعهد اللّه وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم﴾ وقال في حق

الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى ﴿ولا يكلمهم الله يوم القيامة﴾ فلو كان لا يكلم عباده المؤمنين لكانوا في ذلك هم وأعداؤه سواء ولم يكن في تخصيص أعدائه بأنه لا يكلمهم فائدة أصلاً إذ تكليمه لعباده عند الفرعونية والمعطلة مثل أن يقال يؤاكلهم ويشاربهم ونحو ذلك تعالى الله عما يقولون وقد أخبر الله سبحانه أنه يسلم على أهل الجنة وأن ذلك السلام حقيقة وهو قول من رب رحيم وتقدم تفسير النبي ﷺ لهذه الآية في حديث جابر في الرؤية وأنه يشرف عليهم من فوقهم ويقول سلام عليكم يا أهل الجنة فيرونه عياناً وفي هذا إثبات الرؤية والتكليم والعلو والمعطلة تنكر هذه الأمور الثلاثة وتكفر القائل بها وتقدم حديث أبي هريرة في سوق الجنة وقول النبي ﷺ «ولا يبقى أحد في ذلك المجلس إلا حاضره اللّه محاضرة فيقول يا فلان أتذكر يوم فعلت كذا وكذا» الحديث وتقدم حديث عدي بن حاتم «ما منكم إلا من سيكلمه ربه يوم القيامة» وحديث أبي هريرة في الرؤية وفيه : «يقول الرب تبارك وتعالى للعبد ألم أكرمك واسودك» الحديث وحديث بريدة «ما منكم من أحد إلاَّ سيخلو به ربه وليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب» الحديث وحديث أنس في يوم المزيد ومخاطبته فيه لأهل الجنة مراراً وبالجملة فتأمل أحاديث الرؤية تجد في أكثرها ذكر التكليم قال البخاري في صحيحه باب كلام الرب تبارك وتعالى مع أهل الجنة وساق فيه عدة أحاديث فأفضل نعيم أهل الجنة رؤية وجهه تبارك وتعالى وتكليمه لهم فإنكار ذلك إنكار لروح الجنة وأعلى نعيمها وأفضله الذي ما طابت لأهلها إلاَّ به والله المستعان .

الباب السابع والستون
في أبدية الجنة وأنها لا تفنى ولا تبيد

هذا مما يعلم بالاضطرار أن الرسول ﷺ أخبر به قال تعالى: ﴿وأما الذين سعدوا ففي الجنة خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك عطاء غير مجذوذ﴾ أي مقطوع ولا تنافي بين هذا وبين قوله إلا ما شاء ربك واختلف السلف في هذا الاستثناء فقال معمر عن الضحاك هو في الذين يخرجون من النار فيدخلون الجنة يقول سبحانه أنهم خالدون في الجنة ما دامت السموات والأرض الأمدة. مكثهم في النار، «قلت» وهذا يحتمل أمرين (أحدهما) أن يكون الإخبار عن الذين سعدوا وقع

عن قوم مخصوصين وهم هؤلاء (والثاني) وهو إلا ظهر أن يكون وقع عن جملة السعداء والتخصيص بالمذكورين هو في الاستثناء وما دل عليه، وأحسن من هذين التقديرين أن ترد المشيئة إلى الجميع حيث لم يكونوا في الجنة في الموقف وعلى هذا فلا يبقى في الآية تخصيص (وقالت فرقة أخرى) هو استثناء استثناه الرب تعالى ولا يفعله كما تقول والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك وأنت لا تراه بل تجزم بضربه (وقالت فرقة أخرى) العرب إذا استثنت شيئاً كثيراً مع مثله ومع ما هو أكثر منه كان معنى إلا في ذلك ومعنى الواو سواء والمعنى على هذا سوى ما شاء الله من الزيادة على مدة دوام السموات والأرض هذا قول الفراء (وسيبويه) يجعل إلا بمعنى لكن (قالوا) ونظير ذلك أن تقول لي عليك ألف إلا الألفين الذين قبلها أي سوى الألفين قال ابن جرير وهذا أحب الوجهين إلي لأن الله تعالى لا خلف لوعده وقد وصل الاستثناء بقوله عطاء غير مجذوذ، قالوا ونظيره أن تقول أسكنتك داري حولاً إلا ما شئت أي سوى ما شئت أو لكن ما شئت من الزيادة عليه (وقالت فرقة أخرى) هذا الاستثناء إنما هو مدة احتباسهم عن الجنة ما بين الموت والبعث وهو البرزخ إلى أن يصيروا إلى الجنة ثم هو خلود الأبد فلم يغيبوا عن الجنة إلا بمقدار إقامتهم في البرزخ (وقالت فرقة أخرى) العزيمة قد وقعت لهم من الله بالخلود الدائم إلا أن يشاء الله خلاف ذلك إعلاماً لهم بأنهم مع خلودهم في مشيئته وهذا كما قال لنبيه **﴿ولئن شئنا لنذهبن بالذي أوحينا إليك﴾** وقوله **﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾** وقوله **﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم﴾** ونظائره وأخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (وقالت فرقة أخرى) المراد بمدة دوام السموات والأرض في هذا العالم فأخبر سبحانه أنهم خالدون في الجنة مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء الله أن يزيدهم عليه ولعل هذا قول من قال أن إلا بمعنى سوى ولكن اختلفت عبارته وهذا اختيار ابن قتيبة قال المعنى خالدين فيها مدة العالم سوى ما شاء أن يزيدهم من الخلود على مدة العالم (وقالت فرقة أخرى) ما بمعنى من كقوله **﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء﴾** والمعنى إلا من شاء ربك أن يدخله النار بذنوبه من السعداء (والفرق) بين هذا القول وبين أول الأقوال أن الاستثناء على ذلك القول من المدة وعلى هذا القول من الأعيان (وقالت فرقة أخرى) المراد بالسموات والأرض سماء الجنة وأرضها وهما باقيتان أبداً (وقوله) **﴿إلا ما شاء ربك﴾** إن كانت ما بمعنى من فهم الذين يدخلون النار ثم

يخرجون منها وإن كانت بمعنى الوقت فهو مدة احتباسهم في البرزخ والموقف، قال الجعفي سألت عبد الله بن وهب عن هذا الاستثناء فقال سمعت فيه أنه قدر وقوفهم في الموقف يوم القيامة إلى أن يقضي بين الناس (وقالت فرقة أخرى) الاستثناء راجع إلى مدة لبثهم في الدنيا وهذه الأقوال متقاربة ويمكن الجمع بينها بأن يقال أخبر سبحانه عن خلودهم في الجنة كل وقت إلا وقتاً يشاء أن لا يكونوا فيها وذلك يتناول وقت كونهم في الدنيا وفي البرزخ وفي موقف القيامة وعلى الصراط وكون بعضهم في النار مدة وعلى كل تقدير فهذه الاية من المتشابه وقوله فيها ﴿عطاء غير مجذوذ﴾ محكم وكذلك قوله ﴿إن هذا لرزقنا ماله من نفاد﴾ وقوله ﴿أكلها دائم وظلها﴾ وقوله ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ وقد أكد الله سبحانه خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن وأخبر أنهم لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى وهذا الاستثناء منقطع وإذا ضممته إلى الاستثناء فيه قوله إلا ما شاء ربك تبين لك المراد من الآيتين واستثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية وذاك مفارقة للجنة تقدم على خلودهم فيها وبالله التوفيق وقد تقدم قول النبي ﷺ «من يدخل الجنة ينعم ولا يبؤس ويخلد ولا يموت» وقوله «ينادي مناد يا أهل الجنة أن لكم أن تضحوا فلا تسقموا أبداً، وأن تشبوا فلا تهرموا أبداً، وأن تحيوا فلا تموتوا أبداً» وثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ أنه قال: «يجاء بالموت في صورة كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون مشفقين ويقال يا أهل النار فيطلعون فرحين فيقال هل تعرفون هذا فيقولون نعم هذا الموت فيذبح بين الجنة والنار ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت ويا أهل النار خلود فلا موت».

(فصل)

وهذا موضع اختلف فيه المتأخرون على ثلاثة أقوال (أحدها) أن الجنة والنار فانيتان غير أبديتين بل كلاهما حادثتان فهما فانيتان (والقول الثاني) أنهما باقيتان دائمتان لا يفنيان أبداً (والقول الثالث) أن الجنة باقية أبدية والنار فانية ونحن نذكر هذه الأقوال وما قابلها وما احتج به أرباب كل قول ونرد ما خالف كتاب الله وسنة رسوله فأما القول بفنائهما فهو قول قاله جهم بن صفوان إمام المعطلة الجهمية وليس له فيه

سلف قط من الصحابة ولا من التابعين ولا أحد من أئمة الإسلام ولا قال به أحد من أهل السنة وهذا القول مما أنكره عليه وعلى أتباعه أئمة الإسلام وكفروهم به وصاحوا بهم من أقطار الأرض كما ذكره عبد اللّه بن الإمام أحمد في كتاب السنة عن خارجة بن مصعب أنه قال كفرت الجهمية بثلاث آيات من كتاب اللّه عز وجل بقول اللّه سبحانه وتعالى ﴿**أكلها دائم وظلها**﴾ وهم يقولون لا يدوم، وبقول اللّه تعالى ﴿**إن هذا لرزقنا ماله من نفاد**﴾ وهم يقولون ينفد، وبقول اللّه عز وجل ﴿**ما عندكم ينفد وما عند اللّه باق**﴾ (قال شيخ الإسلام) وهذا قاله جهم لأصله الذي اعتقده وهو امتناع وجود ما لا يتناهى من الحوادث وهو عمدة أهل الكلام التي استدلوا بها على حدوث الأجسام وحدوث ما لم يحل من الحوادث وجعلوا ذلك عمدتهم في حدوث العالم فرأى الجهم أن ما يمنع من حوادث لا أول لها في الماضي يمنع في المستقبل فدوام الفعل ممتنع عنده على الرب تبارك وتعالى في المستقبل كما هو ممتنع عنده عليه في الماضي وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة وافقه على هذا الأصل لكن قال إن هذا يقتضي فناء الحركات لكونها متعاقبة شيئاً بعد شيء فقال بفناء حركات أهل الجنة والنار حتى يصيروا في سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة (وزعمت فرقة) ممن وافقهم على امتناع حوادث لا نهاية لها أن هذا القول مقتضى العقل لكن لما جاء السمع ببقاء الجنة والنار قلنا بذلك، وكأن هؤلاء لم يعلموا إن ما كان ممتنعاً في في العقل لا يجيء الشرع بوقوعه إذ يستحيل عليه أن يخبر بوجود ما هو ممتنع في العقل وكأنهم لم يفرقوا بين محالات العقول ومجازاتها فالسمع يجيء بالثاني لا بالأول فالسمع يجيء بما يعجز العقل عن إدراكه ولا يستقل به ولا يجيء بما يعلم العقل إحالته، والأكثرون الذين وافقوا جهماً وأبا الهذيل على هذا الأصل فرقوا بين الماضي والمستقبل، وقالوا الماضي قد دخل في الوجود بخلاف المستقبل، والممتنع إنما هو دخول ما لا يتناهى في الوجود لا تقدير دخوله شيئاً بعد شيء قالوا وهذا نظير أن يقول القائل لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهماً آخر فهذا ممكن، والأول نظير أن يقول لا أعطيك درهماً إلا وأعطيك قبله درهماً فهذا محال، وهؤلاء عندهم وجود ما لا يتناهى في الماضي محال ووجوده في المستقبل واجب، ونازعهم في ذلك آخرون فقالوا بل الأمر في الماضي كهو في المستقبل ولا فرق بينهما بل الماضي والاستقبال أمر نسبي فكل ما يكون مستقبلاً يصير ماضياً وكل

ماض فقد كان مستقبلاً فلا يعقل إمكان الدوام في أحد الطرفين وإحالته في الطرف الآخر (قالوا) وهذه مسألة دوام فاعلية الرب تبارك وتعالى وهو لم يزل رباً قادراً فعالاً فإنه لم يزل حياً عليماً قديراً، ومن المحال أن يكون الفعل ممتنعاً عليه لذاته ثم ينقلب فيصير ممكناً لذاته من غير تجدد شيء وليس للأزل حد محدود حتى يصير الفعل ممكناً له عند ذلك الحد ويكون قبله ممتنعاً عليه فهذا القول تصوره كاف في الجزم بفساده ويكفي في فساده أن الوقت الذي انقلب فيه الفعل من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي إما أن يصح أن يفرض قبله وقت يمكن فيه الفعل أو لا يصح، فإن قلتم لا يصح كان هذا تحكماً غير معقول وهو من جنس الهوس، وإن قلتم يصح قيل وكذلك ما يفرض قبله لا إلى غاية فما من زمن محقق أو مقدر إلا والفعل ممكن فيه وهو صفة كمال وإحسان ومتعلق حمد الرب تعالى وربوبيته وملكه وهو لم يزل رباً حميداً ملكاً قادراً لم تتجدد له هذه الأوصاف كما أنه لم يزل حياً مريداً عليماً والحياة والإرادة والعلم والقدرة تقتضي آثارها ومتعلقاتها، فكيف يعقل حي قدير عليم مريد ليس له مانع ولا قاهر يقهره يستحيل عليه أن يفعل شيئاً البتة؟ وكيف يجعل هذا أصل أصول الدين ويجعل معياراً على ما أخبر الله به ورسوله ويفرق به بين جائزات العقول ومحالاتها؟ فإذا كان هذا شأن الميزان فكيف يستقيم الموزون به، وأما قول من فرق بأن الماضي قد دخل في الوجود دون المستقبل فكلام لا تحقيق وراءه فإن الذي يحصره الوجود من الحركات هو المتناهى ثم يعدم فيصير ماضياً كما كان معدوماً لما كان مستقبلاً فوجوده بين عدمين وكلما انقضت جملة حدثت بعدها جملة أخرى فالذي صار ماضياً هو بعينه الذي كان مستقبلاً فإن دل الدليل على امتناع ما لا يتناهى شيئاً قبل شيء فهو بعينه دال على امتناعه شيئاً بعد شيء، وأما تفريقكم بقولكم المستقبل نظير قوله ما أعطيك درهماً إلا وأعطيك بعده درهماً فهذا ممكن والماضي نظير قوله ما أعطيك درهماً إلا وأعطيتك قبله درهماً، فهذا الفرق فيه تلبيس لا يخفى وليس بنظير ما نحن فيه بل نظيره أن يقول ما أعطيك درهماً إلا وقد تقدم مني إعطاء درهم قبله فهذا ممكن الدوام في الماضي على حد إمكانه في المستقبل ولا فرق في العقل الصحيح بينهما البتة، ولما لم يجد الجهم وأبو الهذيل واتباعهما بين الأمرين فرقاً قالوا بوجوب تناهي الحركات في المستقبل كما يجب ابتداؤها عندهم في الماضي، وقال أهل الحديث بل هما سواء في

الإمكان والوقوع ولم يزل الرب سبحانه وتعالى فعالاً لما يريد ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال منعوتاً بنعوت الجلال، وليس المتمكن من الفعل كل وقت كالذي لا يمكنه الفعل إلا في وقت معين وليس من يخلق كمن لا يخلق، ومن يحسن كمن لا يحسن، ومن يدبر الأمر كمن لا يدبر، وأي كمال في أن يكون رب العالمين معطلاً عن الفعل في مدة مقدرة أو محققة لا تتناهى يستحيل منه الفعل وحقيقة ذلك أنه لا يقدر عليه وإن أبيتم هذا الإنطلاق وقلتم أن المحال لا يوصف بكونه غير مقدور عليه فجمعتم بين محالين الحكم بإباحة الفعل من غير موجب لإحالته وانقلابه من الإحالة الذاتية إلى الإمكان الذاتي من غير تجدد سبب وزعمتم أن هذا هو الأصل الذي تثبتون به وجود الصانع وحدوث العالم وقيامة الأبدان فجنيتم على العقل والشرع والرب تعالى لم يزل قادراً على الفعل والكلام بمشيئته ولم يزل فعالاً لما يريد ولم يزل رباً محسناً * والمقصود أن القول بفناء الجنة والنار قول مبتدع لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين والذين قالوه إنما تلقوه عن قياس فاسد كما اشتبه أصله على كثير من الناس فاعتقدوه حقاً وبنوا عليه القول بخلق القرآن ونفي الصفات وقد دل القرآن والسنة والعقل الصريح على أن كلمات الله وأفعاله لا تتناهى ولا تنقطع بآخر ولا تحد بأول قال تعالى **﴿قل لو كان البحر مداداً الكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾** وقال تعالى: **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله إن الله عزيز حكيم﴾** فأخبر عن عدم نفاد كلماته لعزته وحكمته وهذان وصفان ذاتيان له سبحانه وتعالى لا يكون إلا كذلك وذكر ابن أبي حاتم في تفسيره عن سليمان بن عامر قال: سمعت الربيع بن أنس يقول أن مثل علم العباد كلهم في علم الله عز وجل كقطرة من هذه البحور كلها وقد أنزل الله سبحانه وتعالى في ذلك **﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام﴾** الآية. وقوله **﴿قل لو كان البحر مداداً﴾** الآية يقول سبحانه وتعالى قل لو كان البحر مدادا لكلمات الله والشجر كلها أقلام لانكسرت الأقلام وفنى ماء البحر وكلمات الله تعالى باقية لا يفنيها شيء لأن أحداً لا يستطيع أن يقدر قدره ولا يثني عليه كما ينبغي بل هو كما أثنى على نفسه إن ربنا كما يقول وفوق ما يقول، ثم أن مثل نعيم الدنيا أوله وآخره في نعيم الآخر كحبة من خردل في خلال الأرض كلها.

(فصل)

وأما أبدية النار ودوامها فقال فيها شيخ الإسلام فيها قولان معروفان عن السلف والخلف والنزاع في ذلك معروف عن التابعين «قلت» ههنا أقوال سبعة (أحدها) أن من دخلها لا يخرج منها أبداً بل كل من دخلها مخلد فيها أبد الآباد بإذن الله وهذا قول الخوارج والمعتزلة (والثاني) أن أهلها يعذبون فيها مدة ثم تنقلب عليهم وتبقى طبيعة نارية لهم يتلذذون بها لموافقتها لطبيعتهم وهذا قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي (قال في فصوصه) الثناء بصدق الوعد لا بصدق الوعيد والحضرة الإلهية تطلب الثناء المحمود بالذات فيثنى عليها بصدق الوعد لا بصدق الوعيد بل بالتجاوز (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) لم يقل وعيده بل قال (ويتجاوز عن سيئاتهم) مع أنه توعد على ذلك، وأثنى على إسماعيل بأنه كان صادق الوعد وقد زال الإمكان في حق الحق لما فيه من طلب المرجح :

فلم يبق إلا صادق الوعد وحده	وما لوعيد الحق عين تعاين
وإن دخلوا دار الشقاء فإنهم	على لذة فيها نعيم مباين
نعيم جنان الخلد والأمر واحد	وبينهما عند التجلي تباين
يسمى عذاباً من عذوبة طعمه	وذاك له كالقشر والقشر صاين

وهذا في طرف والمعتزلة الذين يقولون لا يجوز على الله أن يخلف وعيده بل يجب عليه تعذيب من توعده بالعذاب في طرف، فأولئك عندهم لا ينجو من النار من دخلها أصلاً وهذا عنده لا يعذب بها أحد أصلاً والفريقان مخالفان لما علم بالاضطرار أن الرسول جاء به وأخبر به عن الله عز وجل (الثالث) قول من يقول إن أهلها يعذبون فيها إلى وقت محدود ثم يخرجون منها ويخلفهم فيها قوم آخرون، وهذا القول حكاه اليهود للنبي ﷺ فأكذبهم فيه وقد أكذبهم الله تعالى في القرآن فيه فقال تعالى ﴿وقالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودة قل اتخذتم عند الله أعهداً فلن يخلف الله عهده؟ أم تقولون على الله ما لا تعلمون، بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ وقال تعالى ﴿ألم تر إلى الذين أوتوا نصيباً من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم، ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون، ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياماً معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون﴾

فهذا القول إنما هو قول أعداء الله اليهود فهم شيوخ أربابه والقائلين به وقد دل القرآن والسنة وإجماع الصحابة والتابعين وأئمة الإسلام على فساده قال تعالى ﴿وما هم بخارجين من النار﴾ وقال ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ وقال ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها﴾ وقال تعالى ﴿كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها﴾ وقال تعالى ﴿لا يقضي عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها﴾ وقال تعالى ﴿ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط﴾ وهذا أبلغ ما يكون في الإخبار عن استحالة دخولهم الجنة (الرابع) قول من يقول يخرجون منها وتبقي ناراً على حالها ليس فيها أحد يعذب حكاه شيخ الإسلام والقرآن والسنة أيضاً يردان على هذا القول كما تقدم (الخامس) قول من يقول بل تفنى نفسها لأنها حادثة بعد أن لم تكن وما ثبت حدوثه استحال بقاؤه وأبديته وهذا قول جهم بن صفوان وشيعته ولا فرق عنده في ذلك بين الجنة والنار (السادس) قول من يقول تفنى حياتهم وحركاتهم ويصيرون جماداً لا يتحركون ولا يحسون بألم وهذا قول أبي الهذيل العلاف إمام المعتزلة طرداً لامتناع حوادث لا نهاية لها والجنة والنار عنده سواء في هذا الحكم (السابع) قول من يقول بل يفنيها ربها وخالقها تبارك وتعالى فإنه جعل لها أمداً تنتهي إليه ثم تفنى ويزول عذابها قال شيخ الإسلام وقد نقل هذا القول عن عمر وابن مسعود وأبي هريرة وأبي سعيد وغيرهم وقد روى عبد بن حميد وهو من أجل أئمة الحديث في تفسيره المشهور حدثنا سليمان بن حرب حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن الحسن قال قال عمر «لو لبث أهل النار في النار كقدر رمل عالج لكان لهم على ذلك يوم يخرجون فيه» وقال حدثنا حجاج بن منهال عن حماد بن سلمة عن حميد عن الحسن أن عمر بن الخطاب قال: «لو لبث أهل النار في النار عدد رمل عالج لكان لهم يوم يخرجون فيه» ذكر ذلك في تفسير قوله تعالى ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ فقد رواه عبد وهو من الأئمة الحفاظ وعلماء السنة عن هذين الجليلين سليمان بن حرب وحجاج بن منهال كلاهما عن حماد بن سلمة وحسبك به وحماد يرويه عن ثابت وحميد وكلاهما يرويه عن الحسن وحسبك بهذا الإسناد جلالة، والحسن وإن لم يسمع من عمر فإنما رواه عن بعض التابعين ولو لم يصح عنده ذلك عن عمر لما جزم به وقال قال عمر بن الخطاب، ولو قدر أنه لم يحفظ عن عمر فتداول هؤلاء الأئمة له غير مقابلين له بالإنكار والرد مع أنهم ينكرون على من خالف السنة بدون هذا فلو كان هذا القول عند هؤلاء الأئمة من البدع

المخالفة لكتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأئمة لكانوا أول منكر له، قال ولا ريب أن من قال هذا القول عن عمر ونقله عنه إنما أراد بذلك جنس أهل النار الذين هم أهلها فأما قوم أصيبوا بذنوبهم فقد علم هؤلاء وغيرهم أنهم يخرجون منها وأنهم لا يلبثون قدر رمل عالج ولا قريباً منه، ولفظ أهل النار لا يختص بالموحدين بل يختص بمن عداهم كما قال النبي ﷺ، أما أهل النار الذين هم أهلها فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولا يناقض هذا قوله تعالى ﴿خالدين فيها﴾ وقوله ﴿وما هم منها بمخرجين﴾ بل ما أخبر الله به وهو الحق والصدق الذي لا يقع خلافه لكن إذا انقضى أجلها وفنيت تفنى الدنيا لم تبق ناراً ولم يبق فيها عذاب قال أرباب هذا القول وفي تفسير علي بن أبي طلحة الوالبي عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ قال لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه ولا ينزلهم جنة ولا ناراً قالوا وهذا الوعيد في هذه الآية ليس مختصاً بأهل القبلة فإنه سبحانه قال ﴿ويوم نحشرهم جميعاً يا معشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال أولياؤهم من الأنس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم، وكذلك نولي بعض الظالمين بعضاً بما كانوا يكسبون﴾ وأولياء الجن من الانس يدخل فيه الكفار قطعاً فإنهم أحق بموالاتهم من عصاة المسلمين كما قال تعالى: ﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ وقال تعالى: ﴿إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون﴾ وقال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون وإخوانهم يمدونهم في الغي ثم لا يقصرون﴾ وقال تعالى: ﴿أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني وهم لكم عدو﴾ وقال تعالى: ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان﴾ وقال تعالى: ﴿أولئك حزب الشيطان ألا أن حزب الشيطان هم الخاسرون﴾ وقال تعالى: ﴿وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون﴾ والاستثناء وقع في الآية التي أخبرت عن دخول أولياء الشياطين النار فمن ههنا قال ابن عباس لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه (قالوا) وقول من قال إن إلا بمعنى سوى أي سوى ما شاء الله أن يزيدهم من أنواع العذاب وزمنه لا تخفى منافرته للمستثنى والمستثنى منه وأن الذي يفهمه المخاطب مخالفة ما بعد إلا لما قبلها (قالوا) وقول من قال إنه لإخراج ما قبل دخولهم إليها من

الزمان كزمان البرزخ والموقف ومدة الدنيا أيضاً لا يساعد عليه وجه الكلام فإنه استثناء من جملة خبرية مضمونها أنهم إذا دخلوا النار لبثوا فيها مدة دوام السموات والأرض إلا ما شاء اللّه وليس المراد الاستثناء قبل الدخول هذا ما لا يفهمه المخاطب ألا ترى أنه سبحانه يخاطبهم بهذا في النار حين يقولون ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ فيقول لهم حينئذ ﴿النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء اللّه﴾ وفي قوله ﴿ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا أجلنا الذي أجلت لنا﴾ نوع اعتراف واستسلام وتحسر أي استمتع الجن بنا واستمتعنا بهم فاشتركنا في الشرك ودواعيه وأسبابه وآثرنا الاستمتاع على طاعتك وطاعة رسلك وانقضت آجالنا وذهبت أعمارنا في ذلك ولم نكتسب فيها رضاك وإنما كان غاية أمرنا في مدة آجالنا استمتاع بعضنا ببعض، فتأمل ما في هذا من الاعتراف بحقيقة ما هم عليه وكيف بدت لهم تلك الحقيقة ذلك اليوم وعلموا أن الذي كانوا فيه في مدة آجالهم هو حظهم من استمتاع بعضهم ببعض ولم يستمتعوا بعبادة ربهم ومعرفته وتوحيده ومحبته وإيثار مرضاته وهذا من نمط قولهم (لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير) وقوله ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾ وقوله ﴿فعلموا أن الحق للّه﴾ ونظائره والمقصود أن قوله إلا ما شاء اللّه عائد إلى هؤلاء المذكورين مختصاً بهم أو شاملاً لهم ولعصاة الموحدين، وأما اختصاصه بعصاة المسلمين دون هؤلاء فلا وجه له، ولما رأت طائفة ضعف هذا القول قالوا الاستثناء يرجع إلى مدة البرزخ والموقف وقد تبين ضعف هذا القول، ورأت طائفة أخرى أن الاستثناء يرجع إلى نوع آخر من العذاب غير النار (قالوا) والمعنى أنكم في النار أبداً إلا ما شاء اللّه أن يعذبكم بغيرها وهو الزمهرير وقد قال تعالى ﴿إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً لابثين فيها أحقاباً﴾ قالوا والأبد لا يقدر بالأحقاب وقد قال ابن مسعود في هذه الآية ليأتين على جهنم زمان وليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً، وعن أبي هريرة مثله حكاه البغوي عنهما ثم قال ومعناه عند أهل السنة إن ثبت أنه لا يبقى فيها أحد من أهل الإيمان (قالوا) قد ثبت ذلك عن أبي هريرة وابن مسعود وعبد اللّه بن عمر وقد سأل حرب إسحاق بن راهويه عن هذه الآية فقال سألت إسحاق قلت قول اللّه تعالى ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ فقال أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن حدثنا عبيد اللّه بن معاذ حدثنا معتمر بن سليمان قال قال أبي حدثنا أبو نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو بعض أصحاب

النبي ﷺ قال هذه الآية تأتي على القرآن كله ﴿إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ قال المعتمر قال أتى على كل وعيد في القرآن حدثنا عبيد الله بن معاذ حدثنا أبي حدثنا شعبة عن أبي بلج سمع عمرو بن ميمون يحدث عن عبد الله بن عمرو قال ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً حدثنا عبيد الله حدثنا أبي حدثنا شعبة عن يحيى بن أيوب عن أبي زرعة عن أبي هريرة قال ما أنا بالذي لا أقول أنه سيأتي على جهنم يوم لا يبقى فيها أحد وقرأ قوله ﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ الآية قال عبيد الله كان أصحابنا يقولون يعني به الموحدين حدثنا أبو معن حدثنا وهب بن جرير حدثنا شعبة عن سليمان التيمي عن أبي نضرة عن جابر بن عبد الله أو بعض أصحابه في قوله ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ قال هذه الآية تأتي على القرآن كله وقد حكى ابن جرير هذا القول في تفسيره عن جماعة من السلف فقال وقال آخرون عنى بذلك أهل النار وكل من دخلها (ذكر من قال ذلك ثم ذكر الآثار التي ذكرها) وقال عبد الرزاق أنبأنا ابن التيمي عن أبيه عن أبي نضرة عن جابر أو أبي سعيد أو عن رجل من أصحاب رسول الله ﷺ في قوله ﴿إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ قال هذه الآية تأتي على القرآن كله يقول حيث كان في القرآن خالدين فيها تأتي عليه قال وسمعت أبا مجلز يقول جزاؤه فإن شاء الله تجاوز عن عذابه (وقال ابن جرير) حدثنا الحسن بن يحيى أنبأنا عبد الرزاق فذكره قال وحدثت عن المسيب عمن ذكره عن ابن عباس ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ قال لا يموتون وما هم منها بمخرجين ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك قال استثنى الله قال أمر الله النار أن تأكلهم قال وقال ابن مسعود ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، حدثنا ابن حميد حدثنا جرير عن بيان عن الشعبي قال جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً وحكى ابن جرير في ذلك قولاً آخر فقال وقال آخرون أخبرنا الله عز وجل بمشيئته لأهل الجنة فعرفنا معنى ثنياه بقوله عطاء غير مجذوذ وأنها لفي الزيادة على مقدار مدة السموات والأرض قالوا ولم يخبرنا بمشيئته في أهل النار وجائز أن تكون مشيئته في الزيادة وجائز أن تكون في النقصان حدثني يونس أنبأنا ابن وهب قال قال ابن زيد في قوله تعالى ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾ فقرأ حتى بلغ عطاء غير

مجذوذ فقال أخبرنا بالذي يشاء لأهل الجنة فقال عطاء غير مجذوذ ولم يخبرنا بالذي يشاء لأهل النار (وقال ابن مردويه) في تفسيره حدثنا سليمان بن أحمد حدثنا جبير بن عرفة حدثنا يزيد بن مروان الخلال حدثنا أبو خليد حدثنا سفيان يعني الثوري عن عمرو بن دينار عن جابر قال قرأ رسول اللّه ﷺ **﴿فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك﴾** قال رسول اللّه ﷺ إن شاء اللّه أن يخرج أناساً من الذين شقوا من النار فيدخلهم الجنة فعل وهذا الحديث يدل على أن الاستثناء إنما هو للخروج من النار بعد دخولها خلافاً لمن زعم أنه لما قبل الدخول، ولكن إنما يدل على إخراج بعضهم من النار وهذا حق بلا ريب وهو لا ينفي انقطاعها وفناء عذابها وأكلها لمن فيها وأنهم يعذبون فيها دائماً ما دامت كذلك وما هم منها بمخرجين فالحديث دل على أمرين (أحدهما) أن بعض الأشقياء إن شاء اللّه أن يخرجهم من النار وهي نار فعل وأن الاستثناء إنما هو فيما بعد دخولها لا فيما قبله وعلى هذا فيكون معنى الاستثناء إلا ما شاء ربك من الأشقياء فإنهم لا يخلدون فيها ويكون الأشقياء نوعين نوعاً يخرجون منها ونوعاً يخلدون فيها فيكونون من الذين شقوا أولاً ثم يصيرون من الذين سعدوا فتجتمع لهم الشقاوة والسعادة في وقتين قالوا وقد قال تعالى **﴿إن جهنم كانت مرصاداً للطاغين مآباً، لابثين فيها أحقاباً لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً جزاء وفاقاً، إنهم كانوا لا يرجون حساباً وكذبوا بآياتنا كذاباً﴾** فهذا صريح في وعيد الكفار المكذبين بآياتنا ولا يقدر إلا بدي بهذه الأحقاب ولا غيرها كما لا يقدر به القديم ولهذا قال عبد اللّه بن عمرو فيما رواه شعبة عن أبي بلخ سمع عمرو بن ميمين يحدث عنه **﴿ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً﴾**.

(فصل)

والذين قطعوا بدوام النار لهم ست طرق (أحدها) اعتقاد الإجماع فكثير من الناس يعتقدون أن هذا مجمع عليه بين الصحابة والتابعين لا يختلفون فيه وأن الاختلاف فيه حادث وهو من أقوال أهل البدع (الطريق الثاني) أن القرآن دل على ذلك دلالة قطعية فإنه سبحانه أخبر أنه عذاب مقيم وأنه لا يفتر عنهم وأنه لن يزيدهم

إلا عذاباً وأنهم خالدين فيها أبداً وما هم بخارجين من النار وما هم منها بمخرجين وأن الله حرم الجنة على الكافرين وأنهم لا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وأنهم لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها وأن عذابها كان غراماً أي مقيماً لازماً قالوا وهذا يفيد القطع بدوامه واستمراره (الطريق الثالث) أن السنة المستفيضة أخبرت بخروج من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان دون الكفار وأحاديث الشفاعة من أولها إلى آخرها صريحة بخروج عصاة الموحدين من النار وأن هذا حكم مختص بهم فلو خرج الكفار منها لكانوا بمنزلتهم ولم يختص الخروج بأهل الإيمان (الطريق الرابع) أن الرسول وقفنا على ذلك وعلمناه من دينه بالضرورة من غير حاجة بنا إلى نقل معين كما علمنا من دينه دوام الجنة وعدم فنائها (الطريق الخامس) أن عقائد السلف وأهل السنة مصرحة بأن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا يفنيان بل هما دائمتان وإنما يذكرون فناءهما عن أهل البدع (الطريق السادس) أن العقل يقضي بخلود الكفار في النار وهذا مبني على قاعدة وهي أن المعاد وثواب النفوس المطيعة وعقوبة النفوس الفاجرة هل هو مما يعلم بالعقل أو لا يعلم إلا بالسمع؟ فيه طريقتان لنظار المسلمين وكثير منهم يذهب إلى أن ذلك يعلم بالعقل مع السمع كما دل عليه القرآن في غير موضع كإنكاره سبحانه على من زعم أنه يسوي بين الأبرار والفجار في المحيا والممات وعلى من زعم أنه خلق خلقه عبثاً وأنهم إليه لا يرجعون وأنه يتركهم سدى أي لا يثيبهم ولا يعاقبهم وذلك يقدح في حكمته وكماله وأنه نسبه إلى ما لا يليق به وربما قرروه بأن النفوس البشرية باقية واعتقاداتها وصفاتها لازمة لها لا تفارقها وإن ندمت عليها لما رأت العذاب فلم تندم عليها لقبحها أو كراهة ربها لها بل لو فارقها العذاب رجعت كما كانت أولاً قال تعالى ﴿**ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون**﴾ فهؤلاء قد ذاقوا العذاب وباشروه ولم يزل سببه ومقتضيه من نفوسهم بل خبثها وكفرها قائم بها لم يفارقها بحيث لو ردوا لعادوا كفاراً كما كانوا وهذا يدل على أن دوام تعذيبهم يقضي به العقل كما جاء به السمع، قال أصحاب الفناء الكلام على هذه الطرق يبين الصواب في هذه المسألة (فأما الطريق الأول) فالإجماع الذي ادعيتموه غير معلوم وإنما يظن الإجماع في هذه المسألة من لم يعرف النزاع وقد عرف النزاع فيها قديماً وحديثاً بل لو كلف مدعي

الإجماع أن ينقل عن عشرة من الصحابة فما دونهم إلى الواحد أنه قال أن النار لا تفنى أبداً لم يجد إلى ذلك سبيلاً ونحن قد نقلنا عنهم التصريح بخلاف ذلك فما وجدنا عن واحد منهم خلاف ذلك بل التابعون حكوا عنهم هذا وهذا، قالوا والإجماع المعتد به نوعان متفق عليهما ونوع ثالث مختلف فيه ولم يوجد واحد منها في هذه المسألة (النوع الأول) ما يكون معلوماً من ضرورة الدين كوجوب أركان الإسلام وتحريم المحرمات الظاهرة (الثاني) ما ينقل عن أهل الاجتهاد التصريح بحكمه (الثالث) أن يقول بعضهم القول وينتشر في الأمة ولا ينكره أحد فأين معكم واحد من هذه الأنواع ولو أن قائلاً ادعى الإجماع من هذه الطرق واحتج بأن الصحابة صح عنهم ولم ينكر أحد منهم عليه لكان أسعد بالإجماع منكم، قالوا (وأما الطريق الثاني) وهو دلالة القرآن على بقاء النار وعدم فنائها فأين في القرآن دليل واحد يدل على ذلك نعم الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدين في النار أبداً وأنهم غير خارجين منها وأنه لا يفتر عنهم عذابها وأنهم لا يموتون فيها وأن عذابهم فيها مقيم وأنه غرام لازم لهم وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين وليس هذا مورد النزاع وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء، وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها ولا يقضى عليهم فيموتوا ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ولا أهل السنة وإنما خالف في ذلك من قد حكينا أقوالهم من اليهود.والاتحادية وبعض أهل البدع وهذه النصوص وأمثالها تقتضي خلودهم في دار العذاب ما دامت باقية ولا يخرجون منها مع بقائها البتة كما يخرج أهل التوحيد منها مع بقائها فالفرق بين من يخرج من الحبس وهو حبس على حاله وبين من يبطل جنسه بخراب الحبس وانتقاضه (قالوا وأما الطريق الثالث) وهو مجيء السنة المستفيضة بخروج أهل الكبائر من النار دون أهل الشرك فهي حق لا شك فيه وهي إنما تدل على ما قلناه من خروج الموحدين منها وهي دار عذاب لم تفن ويبقى المشركون فيها ما دامت باقية والنصوص دلت على هذا وعلى هذا (قالوا وأما الطريق الرابع) وهو أن رسول الله ﷺ وقفنا على ذلك ضرورة فلا ريب أنه من المعلوم من دينه بالضرورة أن الكفار باقون فيها ما دامت باقية هذا معلوم من دينه بالضرورة وأما كونها أبدية لا انتهاء لها ولا تفنى كالجنة فأين في القرآن والسنة دليل واحد يدل على ذلك (قالوا وأما الطريق الخامس) وهو أن في عقائد

أهل السنة أن الجنة والنار، مخلوقتان لا يفنيان أبداً فلا ريب أن القول بفنائهما قول أهل البدع من الجهمية والمعتزلة وهذا القول لم يقله أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أحد من أئمة المسلمين وأما فناء النار وحدها فقد أوجدنا كم من قال به من الصحابة وتفريقهم بين الجنة والنار فكيف يكون القول به من أقوال أهل البدع مع أنه لا يعرف عن أحد من أهل البدع التفريق بين الدارين فقولكم إنه من أقوال أهل البدع كلام من لا خبرة له بمقالات بني آدم وآرائهم واختلافهم، قالوا والقول الذي يعد من أقوال أهل البدع ما خالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة أما الصحابة أو من بعدهم، وأما قول يوافق الكتاب والسنة وأقوال الصحابة فلا يعد من أقوال أهل البدع وإن دانوا به واعتقدوه فالحق يجب قبوله ممن قاله والباطل يجب رده على من قاله وكان معاذ بن جبل يقول: «الله حكم قسط هلك المرتابون أن من ورائكم فتنا يكثر فيها المال ويفتح فيها القرآن حتى يقرؤه المؤمن والمنافق والمرأة والصبي والأسود والأحمر فيوشك أحدهم أن يقول قد قرأت القرآن فما أظن أن يتبعوني حتى ابتدع بدلهم غيره فإياكم وما ابتدع فإن كل بدعة ضلالة وإياكم وزيغة الحكيم؟ فإن الشيطان قد يتكلم على لسان الحكيم بكلمة الضلالة، وأن المنافق قد يقول كلمة الحق فتلقوا الحق عمن جاء به فإن على الحق نوراً، قالوا وكيف زيغة الحكيم، قال هي الكلمة تروعكم وتنكرونها وتقولون ما هذه؟ فاحذروا زيغته ولا تصدنكم عنه فإنه يوشك أن يفيء وأن يراجع الحق، وأن العلم والإيمان مكانهما إلى يوم القيامة» والذي أخبر به أهل السنة في عقائدهم هو الذي دل عليه الكتاب والسنة واجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها، ومن ذكر منهم أن النار لا تفنى أبداً فإنما قاله لظنه أن بعض أهل البدع قال بفنائها ولم يبلغه تلك الآثار التي تقدم ذكرها (قالوا وأما حكم العقل) بتخليد أهل النار فيها فإخبار عن العقل بما ليس عنده فإن المسألة من المسائل التي لا تعلم إلا بخبر الصادق (وأما أصل الثواب والعقاب) فهل يعلم بالعقل مع السمع أو لا يعلم إلا بالسمع وحده؟ ففيه قولان لنظار المسلمين من أتباع الأئمة الأربعة وغيرهم، والصحيح أن العقل دل على المعاد والثواب والعقاب إجمالاً وأما تفصيله فلا يعلم إلا بالسمع ودوام الثواب والعقاب مما لا يدل عليه العقل بمجرده وإنما علم بالسمع وقد دل السمع دلالة قاطعة على دوام ثواب المطيعين، وأما عقاب العصاة فقد دل السمع

أيضاً دلالة قاطعة على انقطاعه في حق الموحدين، وأما دوامه وانقطاعه في حق الكفار فهذا معترك النزال فمن كان السمع من جانبه فهو أسعد بالصواب وبالله التوفيق.

(فصل)

ونحن نذكر الفرق بين دوام الجنة والنار شرعاً وعقلاً وذلك يظهر من وجوه (أحدها) أن الله سبحانه وتعالى أخبر ببقاء نعيم أهل الجنة ودوامه وأنه لا نفاد له ولا انقطاع وأنه غير مجذوذ، وأما النار فلم يخبر عنها بأكثر من خلود أهلها فيها وعدم خروجهم منها وأنهم لا يموتون فيها ولا يحيون وأنها مؤصدة عليهم وأنهم كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعيدوا فيها وأن عذابها لازم لهم وأنه مقيم عليهم لا يفتر عنهم والفرق بين الخبرين ظاهر (الوجه الثاني) أن النار قد أخبر سبحانه وتعالى في ثلاث آيات عنها بما يدل على عدم أبديتها (الأولى) قوله سبحانه وتعالى ﴿قال النار مثواكم خالدين فيها إلا ما شاء الله إن ربك حكيم عليم﴾ «الثانية» قوله ﴿خالدين فيها ما دامت السموات والأرض إلا ما شاء ربك إن ربك فعال لما يريد﴾ «الثالثة» قوله ﴿لابثين فيها أحقاباً﴾ ولولا الأدلة القطعية الدالة على أبدية الجنة ودوامها لكان لكم الاستثنائين في الموضعين واحداً كيف وفي الآيتين من السياق ما يفرق بين الاستثنائين فإنه قال في أهل النار ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ فعلمنا أنه سبحانه وتعالى يريد أن يفعل فعلاً لم يخبرنا به، وقال في أهل الجنة عطاء غير مجذوذ فعلمنا أن هذا العطاء والنعيم غير مقطوع عنهم أبداً فالعذاب موقت معلق والنعيم ليس بموقت ولا معلق (الوجه الثالث) أنه قد ثبت أن الجنة لم يدخلها من لم يعمل خيراً قط من المعذبين الذين يخرجهم الله من النار وأما النار فلم يدخلها من لم يعمل سوءاً قط ولا يعذب إلا من عصاه (الوجه الرابع) أنه قد ثبت أن الله سبحانه وتعالى ينشيء للجنة خلقاً آخر يوم القيامة يسكنهم إياها ولا يفعل ذلك بالنار، وأما الحديث الذي قد ورد في صحيح البخاري من قوله ﴿وأما النار فينشيء الله لها خلقاً آخرين﴾ فغلط وقع من بعض الرواة انقلب عليه الحديث وإنما هو ما ساقه البخاري في الباب نفسه وأما الجنة فينشيء الله لها خلقاً آخرين ذكره البخاري رحمه الله مبيناً أن الحديث انقلب لفظه على من رواه بخلاف هذا وهذا، والمقصود أنه لا تقاس النار بالجنة في التأبيد مع هذه الفروق (يوضحه الوجه الخامس) أن الجنة من موجب رحمته ورضاه، والنار من غضبه

وسخطه، ورحمته سبحانه تغلب غضبه وتسبقه كما جاء في الصحيح من حديث أبي هريرة عنه ﷺ أنه قال: «لما قضى اللّٰه الخلق كتب في كتاب فهو عنده موضوع على العرش أن رحمتي تغلب غضبي» وإذا كان رضاه قد سبق غضبه وهو يغلبه كان التسوية بين ما هو من موجب رضاه وما هو من موجب غضبه ممتنعاً (يوضحه الوجه السادس) أن ما كان بالرحمة وللرحمة فهو مقصود لذاته قصد الغايات وما كان من موجب الغضب والسخط فهو مقصود لغيره قصد الوسائل فهو مسبوق مغلوب مراد لغيره وما كان بالرحمة فغالب سابق مراد لنفسه (يوضحه الوجه السابع) وهو أنه سبحانه قال للجنة أنت رحمتي أرحم بك من أشاء وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وعذابه به مفعول منفصل، وهو ناشيء عن غضبه، ورحمته ههنا هي الجنة وهي رحمة مخلوقة ناشئة عن الرحمة التي هي صفة الرحمن فههنا أربعة أمور رحمة هي وصفه سبحانه، وثواب منفصل هو ناشيء عن رحمته، وغضب يقوم به سبحانه، وعقاب منفصل ينشأ عنه فإذا غلبت صفة الرحمة صفة الغضب فلأن يغلب ما كان بالرحمة لما كان بالغضب أولى وأحرى، فلا تقاوم النار التي نشأت عن الغضب الجنة التي نشأت عن الرحمة (يوضحه الوجه الثامن) أن النار خلقت تخويفاً للمؤمنين وتطهيراً للخاطئين والمجرمين، فهي طهرة من الخبث الذي اكتسبته النفس في هذا العالم فإن تطهرت ههنا بالتوبة النصوح والحسنات الماحية والمصائب المكفرة لم يحتج إلى تطهير هناك وقيل لها مع جملة الطيبين سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وإن لم تتطهر في هذه الدر ووافت الدار الأخرى بدرنها ونجاستها وخبثها أدخلت النار طهرة لها ويكون مكثها في النار بحسب زوال ذلك الدرن والخبث والنجاسة التي لا يغسلها الماء فإذا تطهرت الطهر التام أخرجت من النار واللّٰه سبحانه خلق عباده حنفاء وهي فطرة اللّٰه التي فطر الناس عليها، فلو خلوا وفطرهم لما نشؤا إلا على التوحيد ولكن عرض لأكثر الفطر ما غيرها، ولهذا كان نصيب النار أكثر من نصيب الجنة وكان هذا التغيير مراتب لا يحصيها إلا اللّٰه فأرسل اللّٰه رسله وأنزل كتبه يذكر عباده بفطرته التي فطرهم عليها فعرف الموفقون الذين سبقت لهم من اللّٰه الحسنى صحة ما جاءت به الرسل، ونزلت به الكتب بالفطرة الأولى فتوافق عندهم شرع اللّٰه ودينه الذي أرسل به رسله وفطرته التي فطرهم عليها فمنعتهم الشرعة المنزلة والفطرة المكملة، أن تكتسب نفوسهم خبثاً ونجاسة ودرناً يعلق بها ولا يفارقها، بل كلما ألم بهم شيء من ذلك ومسهم طائف من

الشيطان أغاروا عليه بالشرعة والفطرة فأزالوا موجبه وأثره، وكمل لهم الرب تعالى ذلك بأقضية يقضيها لهم مما يحبون أو يكرهون تمحص عنهم تلك الآثار التي شوشت الفطرة فجاء مقتضى الرحمة فصادف مكاناً قابلاً مستعداً لها ليس فيه شيء يدافعه فقال ههنا أمرت * وليس للّه سبحانه غرض في تعذيب عباده بغير موجب كما قال تعالى ﴿ما يفعل اللّه بعذابكم إن شكرتم وآمنتم وكان اللّه شاكراً عليماً﴾ واستمر الأشقياء مع تغيير الفطرة ونقلها مما خلقت عليه إلى ضده حتى استحكم الفساد وتم التغيير فاحتاجوا في إزالة ذلك إلى تغيير آخر وتطهير ينقلهم إلى الصحة حيث لم تنقلهم آيات اللّه المتلوة والمخلوقة وأقداره المحبوبة والمكروهة في هذه الدار فأتاح لهم آيات أخر وأقضية وعقوبات فوق التي كانت في الدنيا تستخرج ذلك الخبث والنجاسة التي لا تزول بغير النار .فإذا زال موجب العذاب وسببه زال العذاب وبقي مقتضى الرحمة لا معارض له فإن قيل هذا حق ولكن سبب التعذيب لا يزول إلا إذا كان السبب عارضاً كمعاصي الموحدين أما إذا كان لازماً كالكفر والشرك فإن أثره لا يزول كما لا يزول السبب، وقد أشار سبحانه إلى هذا المعنى بعينه في مواضع من كتابه * (منها) قوله تعالى ﴿ولوردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ فهذا إخبار بأن نفوسهم وطبائعهم لا تقتضي غير الكفر والشرك وأنها غير قابلة للإيمان أصلاً (ومنها) قوله تعالى: ﴿ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى وأضل سبيلاً﴾ فأخبر سبحانه أن ضلالهم وعماهم عن الهدى دائم لا يزول حتى مع معاينة الحقائق التي أخبرت بها الرسل وإذا كان العمى والضلال لا يفارقهم فإن موجبه وأثره ومقتضاه لا يفارقهم * (منها) قوله تعالى ﴿ولو علم اللّه فيهم خيراً لأسمعهم، ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون﴾ وهذا يدل على أنه ليس فيهم خير يقتضي الرحمة ولو كان فيهم خير لما ضيع عليهم أثره، ويدل على أنهم لا خير فيهم هناك أيضاً قوله ﴿اخرجوا من النار من كان في قلبه أدنى مثقال ذرة من خير﴾ فلو كان عند هؤلاء أدنى أدنى مثقال ذرة من خير لخرجوا منها مع الخارجين (قيل) لعمر اللّه إن هذا لمن أقوى ما يتمسك به في المسئلة وإن الأمر لكما قلتم، وأن العذاب يدوم بدوام موجبه وسببه، ولا ريب أنهم في الآخرة في عمى وضلال كما كانوا في الدنيا وبواطنها خبيثة كما كانت في الدنيا والعذاب مستمر عليهم دائم ما داموا كذلك * ولكن هل هذا الكفر والتكذيب والخبث أمر ذاتي لهم زواله مستحيل أم هو أمر عارض طارىء على الفطرة قابل للزوال؟ هذا حرف المسئلة وليس بأيديكم ما

يدل على استحالة زواله وأنه أمر ذاتي وقد أخبر سبحانه أنه فطر عباده على الحنيفية وأن الشياطين اجتالتهم عنها فلم يفطرهم سبحانه على الكفر والتكذيب كما فطر الحيوان البهيم على طبيعته وإنما فطرهم على الإقرار بخالقهم ومحبته وتوحيده فإذا كان هذا الحق الذي قد فطروا عليه وخلقوا عليه قد أمكن زواله بالكفر والشرك الباطل فإمكان زوال الكفر والشرك الباطل بضده من الحق أولى وأحرى، ولا ريب أنهم لوردوا على تلك الحال التي هم عليها لعادوا لما نهوا عنه ولكن من أين لكم أن تلك الحال لا تزول ولا تتبدل بنشأة أخرى ينشئهم فيها تبارك وتعالى إذا أخذت النار مأخذها منهم، وحصلت الحكمة المطلوبة من عذابهم فإن العذاب لم يكن سدى وإنما كان لحكمة مطلوبة فإذا حصلت تلك الحكمة لم يبق في التعذيب أمر يطلب ولا غرض يقصد والله سبحانه ليس يشتفى بعذاب عباده كما يشتفي المظلوم من ظالمه وهو لا يعذب عبده لهذا الغرض وإنما يعذبه طهرة له ورحمة به فعذابه مصلحة له وإن تألم به غاية الألم كما أن عذابه بالحدود في الدنيا مصلحة لاربابها، وقد سمى الله سبحانه الحد عذاباً وقد اقتضت حكمته سبحانه أن جعل لكل داء دواء يناسبه ودواء الداء العضال يكون من أشق الأدوية، والطبيب الشفيق يكوي المريض بالنار كياً بعد كي ليخرج منه المادة الرديئة الطارئة على الطبيعة المستقيمة وإن رأى قطع العضو أصلح للعليل قطعه وأذاقه أشد الألم فهذا قضاء الرب وقدره في إزالة مادة غريبة طرأت على الطبيعة المستقيمة بغير اختيار العبد فكيف إذا طرأ على الفطرة السليمة مواد فاسدة باختيار العبد وإرادته * وإذا تأمل اللبيب شرع الرب تعالى وقدره في الدنيا وثوابه وعقابه في الآخرة وجد ذلك في غاية التناسب والتوافق وارتباط ذلك بعضه ببعض فإن مصدر الجميع عن علم تام وحكمة بالغة ورحمة سابغة وهو سبحانه الملك الحق المبين وملكه ملك رحمة وإحسان وعدل (الوجه التاسع) أن عقوبته للعبد ليست لحاجته إلى عقوبته لا لمنفعة تعود إليه ولا لدفع مضرة وألم عنه بالعقوبة بل يتعالى عن ذلك ويتنزه كما يتعالى عن سائر العيوب والنقائص ولا هي عبث محض خال عن الحكمة والغاية الحميدة فإنه أيضاً يتنزه عن ذلك ويتعالى عنه، فأما أن يكون من تمام نعيم أوليائه وأحبابه، وإما أن يكون من مصلحة الأشقياء ومداواتهم أو لهذا ولهذا، وعلى التقادير الثلاث فالتعذيب أمر مقصود لغيره قصد الوسائل لا قصد الغايات والمراد من الوسيلة إذا حصل على

الوجه المطلوب زال حكمها، ونعيم أوليائه ليس متوقفاً في أصله ولا في كماله على استمرار عذاب أعدائه ودوامه ومصلحة الأشقياء ليست في الدوام والاستمرار وإن كان في أصل التعذيب مصلحة لهم (الوجه العاشر) أن رضا الرب تبارك وتعالى ورحمته صفتان ذاتيتان له فلا منتهى لرضاه بل كما قال أعلم الخلق به سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته فإذا كانت رحمته غلبت غضبه فإن رضي نفسه أعلى وأعظم، فإن رضوانه أكثر من الجنات ونعيمها وكل ما فيها وقد أخبر أهل الجنة أنه يحل عليهم رضوانه فلا يسخط عليهم أبداً * وأما غضبه تبارك وتعالى وسخطه فليس من صفاته الذاتية التي يستحيل انفكاكه عنها بحيث لم يزل ولا يزال غضبان * والناس لهم في صفة الغضب قولان (أحدهما) أنه من صفاته الفعلية القائمة به كسائر أفعاله (والثاني) أنه صفة فعل منفصل عنه غير قائم به وعلى القولين فليس كالحياة والعلم والقدرة التي يستحيل مفارقتها له والعذاب إنما ينشأ من صفة غضبه وما سعرت النار إلا بغضبه، وقد جاء في أثر مرفوع «إن اللّه خلق خلقاً من غضبه وأسكنهم بالمشرق وينتقم بهم ممن عصاه» فمخلوقاته سبحانه نوعان نوع مخلوق من الرحمة وبالرحمة ونوع مخلوق، من الغضب وبالغضب فإنه سبحانه له الكمال المطلق من جميع الوجوه الذي يتنزه عن تقدير خلافه ومنه أنه يرضى ويغضب ويثيب ويعاقب ويعطي ويمنع ويعز ويذل وينتقم ويعفو بل هذا موجب ملكه الحق وهو حقيقة الملك المقرون بالحكمة والرحمة والحمد فإذا زال غضبه سبحانه وتبدل برضاه زالت عقوبته وتبدلت برحمته فانقلبت العقوبةرحمة بل لم تزل رحمة وإن تنوعت صفتها وصورتها كما كان عقوبة العصاة رحمة وإخراجهم من النار رحمة فتقلبوا في رحمته في الدنيا وتقلبوا فيها في الآخرة لكن تلك رحمة يحبونها وتوافق طبائعهم وهذه رحمة يكرهونها وتشق عليهم كرحمة الطبيب الذي يبضع لحم المريض ويلقي عليه المكاوي ليستخرج منه المواد الردية الفاسدة * (فإن قيل) هذا اعتبار غير صحيح فإن الطبيب يفعل ذلك بالعليل وهو يحبه وهو راض عنه ولم ينشأ فعله به عن غضبه عليه ولهذا لا يسمى عقوبة، وأما عذاب هؤلاء فإنه إنما حصل بغضبه سبحانه عليهم وهو عقوبة محضة (قيل) هذا حق ولكن لا ينافي كونه رحمة بهم وإن كان عقوبة لهم وهذا كإقامة الحدود عليهم في الدنيا فإنه عقوبة ورحمة وتخفيف وطهرة فالحدود طهرة لأهلها وعقوبة

وهم لما أغضبوا الرب تعالى وقابلوه بما لا يليق أن يقابل بـه وعاملوه أقبح المعاملة وكذبوه وكذبوا رسله وجعلوا أقل خلقه وأخبثهم وأمقتهم لـه نداً لـه وآلهة معـه وآثروا رضـاهم على رضـاه وطـاعتهم على طـاعتـه وهـو ولي الأنعـام عليهم وهـو خـالقهم ورازقهم ومولاهم الحق اشتد مقتـه لهم وغضبه عليهم وذلـك يوجب كمـال أسمائـه وصفاته التي يستحيل عليه تقدير خلافها ويستحيل عليه تخلف آثارها ومقتضاها عنها بل ذلك تعطيل لأحكامها كما أن نفيها عنـه تعطيـل لحقائقهـا وكلا التعـطيلين محال عليه سبحانه، فالمعطلون نوعان (أحدهمـا) عطل صفـاته و (الثـاني) عطل أحكـامها وموجباتها وكان هذا العذاب عقوبة لهم من هـذا الوجـه ودواء لهم من جهة الـرحمة السابقة للغضب فـاجتمع فيـه الأمران * فـإذا زال الغضب بزوال سببـه وزالت المادة الفـاسدة بتغيير الطبيعـة المقتضية لهـا في الجحيم بمرور الأحقـاب عليها وحصلت الحكمة التي أوجبت العقوبـة عملت الرحمـة عملها وطلبت أثـرها من غيـر معارض (يوضحه الوجه الحادي عشر) وهو أن العفو أحب إليه سبحانه من الانتقام، والرحمة أحب إليـه من العقوبـة * والرضـا أحب إليـه من الغضب * والفضـل أحب إليـه من العدل * ولهذا ظهرت آثار هذه المحبة في شرعه وقدره ويظهر كل الظهور لعباده في ثوابه وعقابه، وإذا كان ذلك أحب الأمرين إليه وله خلق الخلق وأنزل الكتب وشـرع الشرائع وقدرته سبحـانه صـالحة لكـل شيء لا قصور فيهـا بوجـه ما، وتلك المـواد الردية الفاسدة مرض من الأمراض وبيده سبحانه الشفاء التام والأدوية الموافقة لكـل داء، وله القدرة التامة والرحمة السابغة والغنى المطلق، وبالعبد أعظم حاجة إلى من يداوي علته التي بلغت به غاية الضرر والمشقة وقد عـرف العبد أنـه عليل وأن دواءه بيد الغني الحميد، فتضرع إليه ودخل به عليه واستكان له وانكسر قلبه بين يديه وذل لعزته وعرف أن الحمد كله له. وأن الخلق كله له وأنه هو الـظلوم الجهول وأن ربـه تبارك وتعالى عامله بكل عدله لا ببعض عدله وأن له غاية الحمد فيما يفعل به، وأن حمده هو الذي أقامه في هذا المقـام وأوصله إليه وأنـه لا خير عنـده من نفسه بـوجه من الوجوه بل ذلك محض فضل الله وصدقتـه عليه وأنـه لا نجاة لـه مما هـو فيه إلا بمجرد العفو والتجاوز عن حقه فنفسـه أولى بكل ذم وعيب ونقص وربـه تعالى أولى بكل حمد وكمال ومدح، فلو أن أهل الجحيم شهدوا نعمته سبحانه ورحمته وكمـاله وحمده الذي أوجب لهم ذلك فطلبوا مرضاته ولو بدوامهم في تلك الحال وقالـوا إن

كان ما نحن فيه رضاك فرضاك الذي نريد، وما أوصلنا إلى هذه الحال إلا طلب ما لا يرضيك فأما إذا أرضاك هذا منا فرضاك غاية ما نقصده. ﴿وما لجرح إذا أرضاك من ألم﴾ وأنت أرحم بنا من أنفسنا وأعلم بمصالحنا ولك الحمد كله عاقبت أو عفوت لانقلبت النار عليهم برداً وسلاماً (وقد روى الإمام أحمد) في مسنده من حديث الأسود بن سريع أن النبي ﷺ قال: «يأتي أربعة يوم القيامة رجل أصم لا يسمع شيئاً، ورجل أحمق، ورجل هرم، ورجل مات في فترة، فأما الأصم فيقول رب لقد جاء الإسلام وما أسمع شيئاً. وأما الأحمق فيقول رب لقد جاء الإسلام والصبيان يحذفوني بالبعر، وأما الهرم فيقول ربي لقد جاء الإسلام وما أعقل شيئاً، وأما الذي مات في الفترة فيقول رب ما أتاني لك من رسول فيأخذ مواثيقهم ليطيعنه فيرسل إليهم أن ادخلوا النار، قال فوالذي نفس محمد بيده لو دخلوها لكانت عليهم برداً وسلاماً» (وفي المسند أيضاً) من حديث قتادة عن الحسن عن أبي رافع عن أبي هريرة مثله وقال «فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن لم يدخلها يسحب إليها» فهؤلاء لما رضوا بتعذيبهم وبادروا إليه لما علموا أن فيه رضى ربهم وموافقة أمره ومحبته انقلب في حقهم نعيماً (ومثل هذا) ما رواه عبد الله بن المبارك حدثني رشدين قال حدثني ابن نعيم عن أبي عثمان أنه حدثه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «إن رجلين ممن دخلا النار يشتد صياحهما فقال الرب جل جلاله أخرجوهما فإذا أخرجا فقال لهما لأي شيء اشتد صياحكما؟ قال فعلنا ذلك لترحمنا، قال رحمتي لكما أن تنطلقا فتلقيا أنفسكما حيث كنتما من النار قال فينطلقان فيلقي أحدهما نفسه فيجعلها الله سبحانه عليه برداً وسلاماً ويقوم الآخر فلا يلقي فيقول له الرب ما منعك أن تلقي نفسك كما ألقى صاحبك؟ فيقول رب إني أرجوك أن لا تعيدني فيها بعدما أخرجتني منها، فيقول الرب تعالى لك رجاؤك فيدخلان الجنة جميعاً برحمة الله» (وذكر الأوزاعي) عن بلال بن سعد قال: «يؤمر بإخراج رجلين من النار فإذا أخرجا ووقفا قال الله لهما كيف وجدتما مقيلكما وسوء مصيركما؟ فيقولان شر مقيل وأسوأ مصير صار إليه العباد فيقول لهما بما قدمت أيديكما وما أنا بظلام للعبيد قال فيؤمر بصرفهما إلى النار فأما أحدهما فيغدو في أغلاله وسلاسله حتى يقتحمها وأما الآخر فيتلكأ فيؤمر بردهما فيقول للذي غدا في أغلاله وسلاسله حتى اقتحمها ما حملك على ما صنعت وقد خرجت منها فيقول إني

خبرت من وبال معصيتك ما لم أكن أتعرض لسخطك ثانياً ويقول للذي تلكأ ما حملك على ما صنعت؟ فيقول حسن ظني بك حين أخرجتني منها أن لا تردني إليها فيرحمهما جميعاً ويأمر بهما إلى الجنة» (الوجه الثاني عشر) أن النعيم والثواب من مقتضى رحمته ومغفرته وبره وكرمه ولذلك يضيف ذلك إلى نفسه وأما العذاب والعقوبة فإنما هو من مخلوقاته، ولذلك لا يسمى بالمعاقب والمعذب بل يفرق بينهما فيجعل ذلك من أوصافه وهذا من مفعولاته حتى في الآية الواحدة كقوله تعالى: ﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم وأن عذابي هو العذاب الأليم﴾ وقال تعالى ﴿اعلموا أن اللّه شديد العقاب، وأن اللّه غفور رحيم﴾ وقال تعالى ﴿إن ربك لسريع العقاب وأنه لغفور رحيم﴾ ومثلها في آخر الأنعام، فما كان من مقتضى أسمائه وصفاته فإنه يدوم بدوامها ولا سيما إذا كان محبوباً له وهو غاية مطلوبة في نفسها وأما الشر الذي هو العذاب فلا يدخل في أسمائه وصفاته وإن دخل في مفعولاته لحكمة إذا حصلت زال وفنى بخلاف الخير فإنه سبحانه دائم المعروف لا ينقطع معروفه أبداً وهو قديم الإحسان أبدي الإحسان فلم يزل ولا يزال محسناً على الدوام وليس من موجب أسمائه وصفاته أنه لا يزال معاقباً على الدوام غضبان على الدوام منتقماً على الدوام، فتأمل هذا الوجه تأمل فقيه في باب أسماء اللّه وصفاته يفتح لك باباً من أبواب معرفته ومحبته (يوضحه الوجه الثالث عشر) وهو قول أعلم خلقه به، وأعرفهم بأسمائه وصفاته (والشر ليس إليك) ولم يقف على المعنى المقصود من قال الشر لا يتقرب به إليك بل الشر لا يضاف إليه سبحانه بوجه لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله ولا في أسمائه فإن ذاته لها الكمال المطلق من جميع الوجوه، وصفاته كلها صفات كمال يحمد عليها ويثنى عليه بها وأفعاله كلها خير ورحمة وعدل وحكمة لا شر فيها بوجه ما، وأسماؤه كلها حسنى فكيف يضاف الشر إليه بل الشر في مفعولاته ومخلوقاته وهو منفصل عنه إذ فعله غير مفعوله ففعله خير كله وأما المخلوق المفعول ففيه الخير والشر، وإذا كان الشر مخلوقاً منفصلاً غير قائم بالرب سبحانه فهو لا يضاف إليه وهو ﷺ لم يقل أنت لا تخلق الشر حتى يطلب تأويل قوله وإنما نفى إضافته إليه وصفاً وفعلاً وأسماء * وإذا عرف هذا فالشر ليس إلا الذنوب وموجباتها وأما الخير فهو الإيمان والطاعات وموجباتها والإيمان والطاعات متعلقة به سبحانه ولأجلها خلق خلقه وأرسل رسله وأنزل كتبه، وهي ثناء على الرب

وإجلاله وتعظيمه وعبوديته وهذه لها أثار تطلبها وتقتضيها فتدوم آثارها بدوام متعلقها * وأما الشرور فليست مقصودة لذاتها ولا هي الغاية التي خلق لها الخلق فهي مفعولات قدرت لأمر محبوب وجعلت وسيلة إليه فإذا حصل ما قدرت له اضمحلت وتلاشت وعاد الأمر إلى الخير المحض (الوجه الرابع عشر) أنه سبحانه قد أخبر أن رحمته وسعت كل شيء فليس شيء من الأشياء إلا وفيه رحمته ولا ينافي هذا أن يرحم العبد بما يشق عليه ويؤلمه وتشتد كراهته له فإن ذلك من رحمته أيضاً كما تقدم * وقد ذكرنا حديث أبي هريرة آنفاً وقوله تعالى لذينك الرجلين * رحمتي لكما أن تنطلقا فتنقيا أنفسكما حيث كنتما من النار * وقد جاء في بعض الآثار أن العبد إذا دعا لمبتلى قد اشتد بلاؤه وقال اللهم ارحمه يقول الرب تبارك وتعالى كيف أرحمه من شيء به أرحمه فالابتلاء رحمة منه لعباده (وفي أثر الهي) يقول الله تعالى: «**أهل ذكرى أهل مجالستي * وأهل طاعتي أهل كرامتي، وأهل شكري أهل زيادتي، وأهل معصيتي لا أقنطهم من رحمتي إن تابوا فأنا حبيبهم وإن لم يتوبوا فأنا طبيبهم أبتليهم بالمصايب لأطهرهم من المعايب**» فالبلاء والعقوبة أدوية قدرت لإزالة أدواء لا تزول إلا بها والنار هي الدواء الأكبر فمن تداوى في الدنيا أغناه ذلك عن الدواء في الآخرة وإلا فلا بد له من الدواء بحسب دائه ومن عرف الرب تبارك وتعالى بصفات جلاله ونعوت كماله من حكمته ورحمته وبره وإحسانه وغناه وجوده وتحببه إلى عباده وإرادة الأنعام عليهم وسبق رحمته لهم لم يبادر إلى إنكار ذلك إن لم يبادر إلى قبوله (يوضحه الوجه الخامس عشر) أن أفعاله سبحانه لا تخرج عن الحكمة والرحمة والمصلحة والعدل فلا يفعل عبثاً ولا جوراً ولا باطلاً بل هو المنزه عن ذلك كما ينزه عن سائر العيوب والنقائص * وإذا ثبت ذلك فتعذيبهم إن كان رحمة بهم حتى يزول ذلك الخبث وتكمل الطهارة فظاهر، وإن كان لحكمة فإذا حصلت تلك الحكمة المطلوبة زال العذاب وليس في الحكمة دوام العذاب أبد الآباد بحيث يكون دائماً بدوام الرب تبارك وتعالى وإن كان لمصلحة فإن كان يرجع إليهم فليست مصلحتهم في بقائهم في العذاب كذلك، وإن كانت المصلحة تعود إلى أوليائه فإن ذلك أكمل في نعيمهم فهذا لا يقتضي تأييد العذاب وليس نعيم أوليائه وكماله موقوفاً على بقاء آبائهم وأبنائهم وأزواجهم في العذاب السرمد * فإن قلتم إن ذلك هو موجب الرحمة والحكمة والمصلحة قلتم ما لا يعقل، وإن قلتم إن

ذلك عائد إلى محض المشيئة ولا تطلب له حكمة ولا غاية فجوابه من وجهين (أحدهما) أن ذلك محال على أحكم الحاكمين وأعلم العالمين أن تكون أفعاله معطلة عن الحكم والمصالح والغايات المحمودة والقرآن والسنة وأدلة العقول والفطر والآيات المشهودة شاهدة ببطلان ذلك (والثاني) أنه لو كان الأمر كذلك لكان ابقاؤهم في العذاب وانقطاعه عنهم بالنسبة إلى مشيئته سواء ولم يكن في انقضائه ما ينافي كماله وهو سبحانه لم يخبر بأبدية العذاب وأنه لا نهاية له * وغاية الأمر على هذا التقدير أن يكون من الجائزات الممكنات الموقوف حكمها على خبر الصادق فإن سلكت طريق التعليل بالحكمة والرحمة والمصلحة لم يقتض الدوام وإن سلكت طريق المشيئة المحضة التي لا تعلل لم تقتضه أيضاً وإن وقف الأمر على مجرد السمع فليس فيه ما يقتضيه (الوجه السادس عشر) أن رحمته سبحانه سبقت غضبه في المعذبين فإنه أنشأهم برحمته، ورباهم برحمته ورزقهم وعافاهم برحمته وأرسل إليهم الرسل برحمته، وأسباب النقمة والعذاب متأخرة عن أسباب الرحمة طارئة عليها فرحمته سبقت غضبه فيهم وخلقهم على خلقة تكون رحمته إليهم أقرب من غضبه وعقوبته، ولهذا ترى أطفال الكفار قد ألقى عليهم رحمته فمن رآهم رحمهم، ولهذا نهى عن قتلهم فرحمته سبقت غضبه فيهم، فكانت هي السابقة إليهم ففي كل حال هم في رحمته في حال معافاتهم وابتلائهم وإذا كانت الرحمة هي السابقة فيهم لم يبطل أثرها بالكلية وإن عارضها أثر الغضب والسخط فذلك لسبب منهم، وأما أثر الرحمة فسببه منه سبحانه فما منه يقتضي رحمتهم وما منهم يقتضي عقوبتهم والذي منه سابق وغالب وإذا كانت رحمته تغلب غضبه فلأن يغلب أثر الرحمة أثر الغضب أولى وأحرى (الوجه السابع عشر) أنه سبحانه يخبر عن العذاب أنه عذاب يوم عقيم وعذاب يوم عظيم، وعذاب يوم أليم، ولا يخبر عن النعيم أنه نعيم يوم ولا في موضع واحد، وقد ثبت في الصحيح تقدير يوم القيامة بخمسين ألف سنة والمعذبون متفاوتون في مدة لبثهم في العذاب بحسب جرائمهم والله سبحانه جعل العذاب على ما كان من الدنيا وأسبابها، وما أريد به الدنيا ولم يرد به الله فالعذاب على ذلك وأما ما كان للآخرة وأريد به وجه الله فلا عذاب عليه، والدنيا قد جعل لها أجل تنتهي إليه فما انتقل منها إلى تلك الدار مما ليس لله فهو المعذب به، وأما ما أريد به وجه الله والدار الآخرة فقد أريد به ما لا يفنى ولا يزول فيدوم بدوام

المراد به، فإن الغاية المطلوبة إذا كانت دائمة لا تزول لم يـزل ما تعلق بهـا بخلاف الغاية المضمحلة الفانية فما أريد به غير الله يضمحل ويزول بزوال مراده ومـطلوبه، ومـا أريد بـه وجه الله يبقى ببقـاء المطلوب المـراد فإذا اضمحلت الـدنيا وانقـطعت أسبابها وانتقل ما كان فيها لغير الله، من الأعمال والذوات وانقلب عذاباً وآلاماً لم يكن له متعلق يدوم بدوامه بخلاف النعيم (الوجه الثامن عشر) أنه ليس في حكمـة أحكم الحاكمين أن يخلق خلقاً يعذبهم أبد الآباد عذاباً سرمداً لا نهايـة له ولا انقـطاع أبداً وقـد دلت الأدلة السمعيـة والعقلية والفـطريـة على أنـه سبحـانـه حكيم وأنـه أحكم الحاكمين فإذا عذب خلقه عذبهم بحكمة كما يوجد التعذيب والعقوبة في الدنيا في شرعه وقدره فإن فيـه من الحكم والمصالـح وتطهيـر العبد ومـداواته وإخـراج المواد الـردية عنـه بتلك الآلام ما تشهـده العقول الصحيحـة وفي ذلك من تـزكية النفـوس وصلاحها وزجرها وردع نظائرها وتوقيفها على فقرها وضرورتهـا إلى ربها وغيـر ذلك من الحكم والغـايـات الحميـدة مـا لا يعلمـه إلا الله، ولا ريب أن الجنـة طيبـــة لا يدخلها إلا طيب ولهـذا يحاسبـون إذا قطعـوا الصراط على قـنطرة بين الجنة والنـار فيقتص لبعضهم من بعض مـظالم كانت بينهم في الـدنيا حتى إذا هـذبوا ونقـوا أذن لهم في دخول الجنة ومعلوم أن النفوس الشريرة الخبيثة المـظلمة التي لـو ردت إلى الدنيا قبـل العذاب لعـادت لما نهيت عنـه لا يصلح أن تسكن دار السلام في جـوار رب العـالمين، فإذا عـذبوا بـالنار عـذاباً تخلص نفـوسهم من ذلك الخبث والـوسخ والدرن كان ذلك من حكمة أحكم الحاكمين ورحمته ولا ينافي الحكمة خلق نفوس فيها شر يزول بالبلاء الطويل والنار كم يزول بها خبث الذهب والفضة والحديد فهذا معقول في الحكمة وهو من لوازم العالم المخلوق على هذه الصفة، أما خلق نفوس لا يزول شرها أبداً وعذابها لا انتهاء له فـلا يظهـر في الحكمة والـرحمة وفي وجـود مثل هذا النوع نزاع بين العقلاء أعني ذواتاً هي شر من كل وجـه ليس فيها شيء من خير أصلاً وعلى تقدير دخوله في الوجود فالرب تبارك وتعالى قادر على قلب الأعيان وإحـالتها وإحـــالـة صفـاتها فـإذا وجدت الحكمـة المطلوبـة من خلق هذه النفـوس والحكمة المطلوبة من تعذيبهـا فالله سبحـانه قـادر أن ينشئها نشـأة أخرى غيـر تلك النشأة ويرحمها فى النشأة الثانية نوعاً آخر من الرحمة (يوضحه الوجـه التاسـع عشر) وهو أنه قد ثبت أن الله سبحانه ينشيء للجنة خلقاً آخر يسكنهم إياها ولم يعملوا خيراً

تكون الجنة جزاء لهم عليه فإذا أخذ العذاب من هذه النفوس مأخذه وبلغت العقوبة مبلغها فانكسرت تلك النفوس وخضعت وذلت واعترفت لربها وفاطرها بالحمد، وأنه عدل فيها كل العدل، وأنها في هذه الحال كانت في تخفيف منه ولو شاء أن يكون عذابهم أشد من ذلك لفعل وشاء كتب العقوبة طلباً لموافقة رضاه ومحبته وعلم أن العذاب أولى بها وأنه لا يليق بها سواه ولا تصلح إلا له فذابت منها تلك الخبائث كلها وتلاشت وتبدلت بذل وانكسار وحمد وثناء على الرب تبارك وتعالى لم يكن في حكمته أن يستمر بها في العذاب بعد ذلك إذ قد تبدل شرها بخيرها، وشركها بتوحيدها وكبرها بخضوعها وذلها. ولا ينتقض هذا بقوله عز وجل **﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾** فإن هذا قبل مباشرة العذاب الذي يزيل تلك الخبائث وإنما هو عند المعاينة قبل الدخول فإنه سبحانه قال **﴿ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون﴾** فهذا إنما قالوه قبل أن يستخرج العذاب منهم تلك الخبائث، فأما إذا لبثوا في العذاب أحقاباً والحقب كما رواه الطبراني في معجمه من حديث أبي أمامة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال «الحقب خمسون ألف سنة» فأنه من الممتنع أن يبقى ذلك الكبر والشرك والخبث بعد هذه المدد المتطاولة في العذاب؛ (الوجه العشرون أنه قد ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري في حديث الشفاعة «فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيها في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل فيقول أهل الجنة هؤلاء عتقاء الله الذين أدخلهم الله الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه» فهؤلاء أحرقتهم النار جميعهم فلم يبق في بدن أحدهم موضع لم تمسه النار بحيث صاروا حمماً وهو الفحم المحترق بالنار، وظاهر السياق أنه لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير فإن لفظ الحديث هكذا «فيقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه فيخرجون خلقاً كثيراً ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيراً فيقول الله عز وجل شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض الله قبضة من النار فيخرج منها قوماً لم يعملوا خيراً قط» فهذا السياق يدل على أن هؤلاء لم يكن في قلوبهم مثقال ذرة من خير ومع هذا فأخرجتهم الرحمة

ومن هذا رحمته سبحانه للذي أوصى أهله أن يحرقوه بالنار ويذروه في البر والبحر زعماً منه بأنه يفوت الله سبحانه فهذا قد شك في المعاد والقدرة ولم يعمل خيراً قط ومع هذا فقال له حملك على ما صنعت؟ قال خشيتك وأنت أعلم فما تلافاه أن رحمه الله فلله سبحانه في خلقه حكم لا تبلغه عقول البشر وقد ثبت في حديث أنس رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «يقول الله عز وجل أخرجوا من النار من ذكرني يوماً أو خافني في مقام» قالوا ومن ذا الذي في مدة عمره كلها من أولها إلى آخرها لم يذكر ربه يوماً واحداً ولا خافه ساعة واحدة ولا ريب أن رحمته سبحانه إذا أخرجت من النار من ذكره وقتاً أو خافه في مقام ما، فغير بدع أن تفنى النار ولكن هؤلاء خرجوا منها وهي نار (الوجه الحادي والعشرون) أن اعتراف العبد بذنبه حقيقة الاعتراف المتضمن لنسبة السوء والظلم واللوم إليه من كل وجه ونسبة العدل والحمد والرحمة والكمال المطلق إلى ربه من كل وجه يستعطف ربه تبارك وتعالى عليه ويستدعي رحمته له وإذا أراد أن يرحم عبده ألقى ذلك في قلبه والرحمة معه ولا سيما إذا اقترن بذلك جزم العبد على ترك المعاودة لما يسخط ربه عليه وعلم الله أن ذلك داخل قلبه وسويدائه فإنه لا تتخلف عنه الرحمة مع ذلك، وفي معجم الطبراني من حديث يزيد بن بن سنان الرهاوي عن سليمان بن عامر عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «أن آخر رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر منه يعجز عنه عمله أن يسعى فيقوا يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار فيوحي الله تبارك وتعالى إليه عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك فيقول العبد نعم يا رب وعزتك وجلالك إن نجيتني من النار لاعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر ويقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار، فيوحي الله إليه عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحي الله إليه عبدي إن لي عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً فيقول يا رب أرني بينتك فيستنطق الله تعالى جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول يا رب عندي وعزتك العظائم فيوحي الله إليه عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول

اللّه ﷺ حتى بدت نواجذه يقول هـذا أدنى أهل الجنـة منزلـة فكيف بالـذي فوقـه؟»
فالرب تعالى يريد من عبده الاعتراف والانكسار بين يديه والخضوع والذلة لـه والعزم على مرضاته * فما دام أهل النار فاقدين لهذا الروح فهم فاقدون لروح الرحمـة فإذا أراد عز وجل أن يرحمهم أو من يشاء منهم جعل في قلبه ذلك فتدركه الرحمة وقدرة الرب تبارك وتعالى غير قاصرة عن ذلك وليس فيه ما يناقض موجب أسمائـه وصفاتـه وقد أخبر أنـه فعـال لمـا يريـد * (الوجـه الثاني والعشـرون) أنه سبحـانه قـد أوجب الخلود على معـاصي من الكبائـر وقيده بـالتأبيـد ولم يناف ذلـك انقـطاعـه وانتهـاءه (فمنها) قوله تعالى: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب اللّه عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾ (ومنهـا) قول النبي ﷺ: «من قتـل نفسه بحـديدة فحـديدتـه في يده يتـوجأ بهـا في نار جهنم خـالـداً مخلداً فيهـا أبـداً» وهـو حـديث صحيح * وكذلك قوله في الحديث الآخر في قاتل نفسه «فيقـول اللّه تبارك وتعـالى بادرني عبدي بنفسه حرمت عليه الجنة» وأبلغ من هذا قولـه تعالى ﴿ومن يعص اللّه ورسوله فإن له نار جهنم خالـدين فيها أبـداً﴾ فهذا وعيـد مقيد بـالخلود والتأبيـد مع انقطاعه قطعاً بسبب من العبـد وهو التـوحيد * فكـذلك الـوعيد العـام لأهل النـار لا يمتنع انقطاعه بسبب ممن كتب على نفسه الـرحمة وغلبت رحمتـه غضبه، فلو يعلم الكـافر بكـل ما عنـده من الرحمـة لما يئس من رحمتـه كمـا في صحيـح البخـاري عنه ﷺ: «خلق اللّه الرحمة يوم خلقها مائـة رحمة، وقـال في آخره فلو يعلم الكـافر بكل الذي عنـد اللّه من الرحمـة لم ييأس من الجنـة، ولو يعلم المسلم بكـل الذي عند اللّه من العذاب لم يأمن من النار» (الوجه الثالث والعشرون) أنه لو جاء الخبر منه سبحانه صريحاً بـأن عذاب النـار لا انتهاء لـه وأنه أبـدي لا انقطاع لـه، لكان ذلـك وعيـداً منه سبحـانه واللّه تعـالى لا يخلف وعده * وأمـا الوعيـد فمذهب أهـل السنة كلهم أخلافه كرم وعفو وتجاوز يمدح الرب تبارك وتعالى به ويثني عليـه به فـإنه حق لـه إن شـاء تـركـه وإن شـاء استـوفـاه والكـريم لا يستـوفي حقـه فكيف بـأكـرم الأكرمين؟!! وقد صرح سبحانه في كتابـه في غير مـوضع بـأنه لا يخلف وعـده ولم يقل في موضع واحد لا يخلف وعيـده، وقد روى أبـو يعلى الموصلي ثنـا هدبـة بن خالد ثنا سهيل بـن أبي حزم ثنا ثـابت البناني عن أنس بن مـالك رضي اللّه عنـه أن رسول اللّه ﷺ قال: «من وعـده اللّه على عمل ثـواباً فهـو منجزه، ومن أوعـده على

عمل عقاباً فهو فيه بالخيار» وقال أبو الشيخ الاصبهاني ثنا محمد بن حمزة ثنا أحمد ابن الخليل ثنا الأصمعي قال: «جاء عمرو بن عبيد إلى أبي عمرو بن العلاء فقال يا أبا عمرو يخلف اللّٰه وعده؟ قال لا، قال أفرأيت من أوعده اللّٰه على عمله عقاباً أيخلف اللّٰه وعده عليه؟ فقال أبو عمرو بن العلاء من العجمة أتيت يا أبا عثمان إن الوعد غير الوعيد إن العرب لا تعد عاراً ولا خلفاً أن تعد شراً ثم لا تفعله ترى ذلك كرماً وفضلاً وإنما الخلف أن تعد خيراً ثم لا تفعله، قال فأوجدني هذا في كلام العرب قال نعم أما سمعت إلى قول الأول:

ولا يرهب ابن العم ما عشت سطوتي ... ولا أختشي من صولة المتهدد
وإني وإن أوعدته أو وعدته ... لمخلف إيعادي ومنجز موعدي

قال أبو الشيخ وقال يحيى بن معاذ الوعد والوعيد حق فالوعد حق العباد على اللّٰه ضمن لهم إذا فعلوا كذا أن يعطيهم كذا ومن أولى بالوفاء من اللّٰه، والوعيد حقه على العباد قال لا تفعلوا كذا فأعذبكم ففعلوا فإن شاء عفا وإن شاء أخذ لأنه حقه وأولاهما بربنا تبارك وتعالى العفو والكرم إنه غفور رحيم، ومما يدل على ذلك ويؤيده خبر كعب بن زهير حين أوعده رسول اللّٰه ﷺ فقال: نبئت أن رسول اللّٰه أوعدني * والعفو عند رسول اللّٰه مأمول فإذا كان هذا في وعيد مطلق فكيف بوعيد مقرون باستثناء معقب بقوله إن ربك فعال لما يريد وهذا إخبار منه أنه يفعل ما يريد عقيب قوله إلا ما شاء ربك فهو عائد إليه ولا بد، ولا يجوز أن يرجع إلى المستثنى منه وحده بل إما أن يختص بالمستثنى أو يعود إليهما وغير خاف أن تعلقه بقوله إلا ما شاء ربك أولى من تعلقه بقوله خالدين فيها وذلك ظاهر للمتأمل وهو الذي فهمه الصحابة فقالوا أتت هذه الآية على كل وعيد في القرآن، ولم يريدوا بذلك الاستثناء وحده فإن الاستثناء مذكور في الأنعام أيضاً وإنما أرادوا أنه عقب الاستثناء بقوله أن ربك فعال لما يريد وهذا التعقيب نظير قوله في الأنعام ﴿خالدين فيها إلا ما شاء اللّٰه إن ربك حكيم عليم﴾ فأخبر أن عذابهم في جميع الأوقات ورفعه عنهم في وقت يشاؤه صادر عن كمال علمه وحكمته لا عن مشيئة مجردة عن الحكمة والمصلحة والرحمة والعدل إذ يستحيل تجرد مشيئته عن ذلك، (الوجه الرابع والعشرون) أن جانب الرحمة أغلب في هذه الدار الباطلة الفانية الزائلة عن قرب من جانب العقوبة والغضب ولولا ذلك لما

عمرت ولا قام لها وجود كما قال تعالى ﴿ولو يؤاخذ اللّه الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة﴾ وقال ﴿ولو يؤاخذ اللّه الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة﴾ فلولا سعة رحمته ومغفرته وعفوه لما قام العالم ومع هذا فالذي أظهره من الرحمة في هذه الدار وأنزله بين الخلائق جزء من مائة جزء من الرحمة فإذا كان جانب الرحمة قد غلب في هذه الدار ونالت البر والفاجر والمؤمن والكافر مع قيام مقتضى العقوبة به ومباشرته له وتمكنه من إغضاب ربه والسعي في مساخطته فكيف لا يغلب جانب الرحمة في دار تكون الرحمة فيها مضاعفة على ما في هذه الدار تسعاً وتسعين ضعفاً، وقد أخذ العذاب من الكفار مأخذه وانكسرت تلك النفوس ونهكها العذاب وأذاب منها خبثاً وشراً لم يكن يحول بينها وبين رحمته لها في الدنيا بل كان يرحمها مع قيام مقتضى العقوبة والغضب بها فكيف إذا زال مقتضى الغضب والعقوبة وقوي جانب الرحمة أضعاف أضعاف الرحمة في هذه الدار واضمحل الشر والخبث الذي فيها فأذابته النار وأكلته، وسر الأمر أن أسماء الرحمة والإحسان أغلب وأظهر وأكثر من أسماء الانتقام وفعل الرحمة أكثر من فعل الانتقام، وظهور آثار الرحمة أعظم من ظهور آثار الانتقام، والرحمة أحب إليه من الانتقام، وبالرحمة خلق خلقه ولها خلقهم، وهي التي سبقت غضبه وغلبته وكتبها على نفسه ووسعت كل شيء وما خلق بها فمطلوب لذاته، وما خلق بالغضب فمراد لغيره كما تقدم تقرير ذلك والعقوبة تأديب وتطهير، والرحمة إحسان وكرم وجود والعقوبة مداواة، والرحمة عطاء وبذل. (الوجه الخامس والعشرون) إنه سبحانه لا بد أن يظهر لخلقه جميعهم يوم القيامة صدقه وصدق رسله وأن أعداءه كانوا هم الكاذبين المفترين، ويظهر لهم حكمه الذي هو أعدل حكم في أعدائه وأنه حكم فيهم حكماً يحمدونه هم عليه فضلاً عن أوليائه وملائكته ورسله بحيث ينطق الكون كله بالحمد للّه رب العالمين ولذلك قال تعالى: ﴿وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد للّه رب العالمين﴾ فحذف فاعل القول لإرادة الإطلاق وإن ذلك جار على لسان كل ناطق وقلبه، قال الحسن لقد دخلوا النار وأن قلوبهم لممتلئة من حمده ما وجدوا عليه سبيلاً * وهذاهو الذي حسن حذف الفاعل من قوله ﴿قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها﴾ حتى كان الكون جميعه قائل ذلك لهم إذ هو حكمه العدل فيهم ومقتضى حكمته وحمده * وأما أهل الجنة فقال تعالى ﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ فهم لم يستحقوها بأعمالهم وإنما استحقوها بعفوه

ورحمته وفضله فإذا أشهد سبحانه ملائكته وخلقه كلهم حكمه العدل وحكمته الباهرة ووضعه العقوبة حيث تشهد العقول والفطر والخليقة أنه أولى المواضع وأحقها بها وأن ذلك من كمال حمده الذي هو مقتضى أسمائه وصفاته وأن هذه النفوس الخبيثة الظالمة الفاجرة لا يليق بها غير ذلك، ولا يحسن بها سواه، بحيث تعترف هي من ذواتها بأنها أهل ذلك، وأنها أولى به حصلت الحكمة التي لأجلها وجد الشر وموجباته في هذه الدار وتلك الدار * وليس في الحكمة الإلهية أن الشرور تبقى دائماً لا نهاية لها ولا انقطاع أبداً فتكون هي والخيرات في ذلك على حد سواء، فهذا نهاية أقدام الفريقين في هذه المسئلة ولعلك لا تظفر به في غير هذا الكتاب، فإن قيل فإلى أين انهي قدمكم في هذه المسئلة العظيمة الشأن: التي هي أكبر من الدنيا بأضعاف مضاعفة؟ قيل إلى قوله تبارك وتعالى: ﴿إن ربك فعال لما يريد﴾ وإلى هنا انتهى قدم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه فيها حيث ذكر دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار وما يلقاه هؤلاء وهؤلاء وقال ثم يفعل اللّه بعد ذلك ما يشاء، بل وإلى ههنا انتهت أقدام الخلائق وما ذكرنا في هذه المسئلة بل في الكتاب كله من صواب فمن اللّه سبحانه وهو المانّ له وما كان من خطأ فمني ومن الشيطان واللّه ورسوله بريء منه وهو عند لسان كل قائل وقلبه وقصده واللّه أعلم.

الباب الثامن والستون
في ذكر آخر أهل الجنة دخولاً إليها

في الصحيحين من حديث منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبد اللّه بن مسعود رضي اللّه عنه قال قال رسول اللّه ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل النار خروجاً منها وآخر أهل الجنة دخولاً الجنة رجل يخرج من النار حبوا فيقول اللّه له اذهب فادخل الجنة فيأتيها فيخيل إليه أنها ملآى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملآى فيقول اللّه له اذهب فادخل الجنة قال فيأتيها فيخيل إليه أنها ملآى فيرجع فيقول يا رب وجدتها ملآى فيقول اللّه له اذهب فادخل الجنة فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها: أو إن لك عشرة أمثال الدنيا، قال فيقول أتسخر بي وتضحك بي وأنت الملك قال لقد رأيت رسول اللّه ﷺ يضحك حتى بدت نواجذه قال فكان يقول ذلك أدنى أهل الجنة منزلة»

(وفي صحيح مسلم) من حديث الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وآخر أهل النار خروجاً منها رجل يؤتى به يوم القيامة فيقال اعرضوا عليه صغار ذنوبه وارفعوا عنه كبارها، فيعرض عليه صغار ذنوبه فيقال عملت يوم كذا وكذا كذا وكذا وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا فيقول نعم لا يستطيع أن ينكر وهو مشفق من كبار ذنوبه أن تعرض عليه فيقال له فإن لك مكان كل سيئة حسنة، فيقول رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه» وقال الطبراني حدثنا عبد الله ابن سعد بن يحيى الزرقي، حدثنا أبو فروة يزيد بن محمد بن سنان الرهاوي قال حدثني أبي عن أبيه قال حدثني أبو يحيى الكلاعي عن أبي أمامة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: «إن آخر رجل رجل يدخل الجنة رجل يتقلب على الصراط ظهراً لبطن كالغلام يضربه أبوه وهو يفر يعجز عنه عمله أن يسعى فيقول يا رب بلغ بي الجنة ونجني من النار، فيوحي الله تبارك وتعالى إليه عبدي إن أنا نجيتك من النار وأدخلتك الجنة أتعترف لي بذنوبك وخطاياك؟ فيقول العبد نعم يا رب وعزتك وجلالك لئن نجيتني من النار لأعترفن لك بذنوبي وخطاياي فيجوز الجسر فيقول العبد فيما بينه وبين نفسه لئن اعترفت له بذنوبي وخطاياي ليردني إلى النار فيوحي الله إليه عبدي اعترف لي بذنوبك وخطاياك أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيقول العبد لا وعزتك وجلالك ما أذنبت ذنباً قط ولا أخطأت خطيئة قط فيوحي الله إليه عبدي أن لي عليك بينة فيلتفت العبد يميناً وشمالاً فلا يرى أحداً فيقول يا رب أرني بينتك فيستنطق الله جلده بالمحقرات فإذا رأى ذلك العبد فيقول يا رب عندي وعزتك العظائم فيوحي الله إليه عبدي أنا أعرف بها منك اعترف لي بها أغفرها لك وأدخلك الجنة، فيعترف العبد بذنوبه فيدخل الجنة ثم ضحك رسول الله ﷺ حتى بدت نواجذه يقول هذا أدنى أهل الجنة منزلة فكيف بالذي فوقه» ورواه ابن أبي شيبة عن هاشم بن القاسم ثنا أبو عقيل عبد الله بن عقيل الثقفي عن يزيد بن سنان به (وفي صحيح مسلم) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي على الصراط مرة ويكبو مرة وتسعفه النار مرة فإذا جاوزها التفت إليها فقال تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين، فترتفع له شجرة فيقول أي رب ادنني من هذه الشجرة أستظل بظلها وأشرب من مائها فيقول الله

تبارك وتعالى يا ابن آدم لعلي أن أعطيتكها سألتني غيرها، فيقول لا يا رب ويعاهده أن لا يسأله وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة هي أحسن من الأولى فيقول يا رب أدنني من هذه لأشرب من مائها وأستظل بظلها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أنك لا تسألني غيرها؟ فيقول لعلي إن أدنيتك منها أن تسألني غيرها فيعاهده أن لا يسأله غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فيستظل بظلها ويشرب من مائها ثم ترفع له شجرة عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين، فيقول أي رب ادنني من هذه الشجرة لأستظل بظلها وأشرب من مائها لا أسألك غيرها فيقول يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟ قال بلى يا رب هذه لا أسألك غيرها وربه يعذره لأنه يرى ما لا صبر له عليه فيدنيه منها فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة فيقول يا رب أدخلنيها فيقول يا ابن آدم ما يرضيك مني أيرضيك أني أعطيك الدنيا ومثلها معها؟ قال يا رب أتستهزىء مني وأنت رب العالمين فضحك ابن مسعود فقال ألا تسألونني مم أضحك؟ قالوا مم تضحك؟ قال ضحك رسول اللّٰه ﷺ فقالوا مم تضحك يا رسول اللّٰه؟ قال من ضحك رب العالمين حين قال أتستهزىء بي وأنت رب العالمين، فيقول لا استهزيء بك ولكن على ما أشاء قادر» * وفي صحيح البرقاني عن أبي سعيد البرقاني من حديث أبي سعيد الخدري نحو هذه القصة ونحن نسوقه بتمامه من عنده وهو بإسناد مسلم سواء قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «أن أدنى أهل النار عذاباً متنعل بنعلين من نار يغلي دماغه من حرارة نعليه، وأن أدنى أهل الجنة منزلة رجل صرف اللّٰه وجهه عن النار قبل الجنة، ومثل له شجرة ذات ظل فقال أي رب قدمني إلى هذه الشجرة لأكون في ظلها فقال اللّٰه عز وجل هل عسيت أن فعلت أن تسألني غيره قال لا وعزتك فقدمه اللّٰه إليها ومثل له شجرة ذات ظل وثمر أخرى فقال أي رب قدمني إلى هذه الشجرة أستظل بظلها وآكل من ثمرها قال فقال هل عسيت أن أعطيتك ذلك أن تسألني غيره، قال لا وعزتك فيقدمه اللّٰه إليها فيمثل له شجرة أخرى ذات ظل وثمر وماء فيقول أي رب قدمني إلى هذه الجشرة فأكون في ظلها وآكل من ثمرها وأشرب من مائها فيقول هل عسيت أن فعلت ذلك أن تسألني غيره فيقول لا وعزتك لا أسئلك غيره فيقدمه اللّٰه إليها فتبرز له الجنة فيقول أي رب قدمني إلى باب الجنة فأكون نجاف الجنة» وفي رواية «تحت نجاف الجنة انظر إلى أهلها فيقدمه اللّٰه إليها فيرى أهل الجنة وما فيها

فيقول أي رب ادخلني الجنة فيدخله الجنة، فإذا دخل الجنة قال هذا لي فيقول اللّٰه له تمن قال فيتمنى ويذكره اللّٰه سل كذا وكذا فإذا انقطعت به الأماني قال اللّٰه هو لك وعشرة أمثاله، قال ثم يدخل بيته ويدخل عليه زوجتاه من الحور العين فيقولان الحمد للّٰه الذي أحياك لنا وأحيانا لك فيقول ما أعطي أحد مثل ما أعطيت» وفي (صحيح مسلم) من حديث المغيرة بن شعبة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ قال: «سأل موسى ربه من أدنى أهل الجنة منزلة؟ فقال هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل الجنة فيقول أي رب كيف وقد نزل الناس منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أترضى أن يكون لك مثل ملك من ملوك الدنيا فيقول رضيت رب فيقال ذلك لك ومثله ومثله ومثله ومثله فيقول في الخامسة رضيت رب فيقول لك هذا وعشرة أمثاله ولك ما اشتهت نفسك ولذت عينك، فيقول رضيت رب، قال فاعلاهم منزلة قال ذلك الذي أردت غرس كرامتهم بيدي وختمت عليها فلم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر، ومصداقه في كتاب اللّٰه فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين.

الباب التاسع والستون
وهو باب جامع فيه فصول منثورة لم تذكر فيما تقدم من الأبواب

(فصل)
في لسان أهل الجنة

قال ابن أبي الدنيا حدثنا القاسم بن هاشم ثنا صفوان بن صالح حدثني رواد بن الجراح العسقلاني، ثنا الاوزاعي عن هارون بن زباب عن أنس بن مالك رضي اللّٰه عنه قال قال رسول اللّٰه ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة على طول آدم ستين ذراعاً بذراع الملك على حسن يوسف وعلى ميلاد عيسى ثلاث وثلاثون سنة، وعلى لسان محمد ﷺ جرد مرد مكحلون» (وروى) داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس قال: «لسان أهل الجنة عربي» وقال عقيل قال الزهري: لسان أهل الجنة عربي.

(فصل)

في احتجاج الجنة والنار

في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي اللّٰه عنه عن النبي ﷺ قال: «احتجت النار والجنة فقالت هذه يدخلني الجبارون والمتكبرون وقالت هذه يدخلني الضعفاء والمساكين، فقال اللّٰه عز وجل لهذه أنت عذابي أعذب بك من أشاء، وقال لهذه أنت رحمتي أرحم بك من أشاء ولكل واحدة منكما ملؤها» وفي رواية أخرى «تحاجت النار والجنة فقالت النار أو ثرت بالمتكبرين والمتجبرين وقالت الجنة ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم وعجزهم فقال اللّٰه سبحانه للجنة: «أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي وقال للنار أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منكما ملؤها» فأما النار فلا تمتليء حتى يضع قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتليء وينزوي بعضها إلى بعض ولا يظلم اللّٰه من خلقه أحداً، وأما الجنة فإن اللّٰه عز وجل ينشىء لها خلقاً.

(فصل)

في أن الجنة يبقى فيها فضل

فينشىء اللّٰه لها خلقاً دون النار في الصحيحين عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لا تزال جهنم يلقى فيها وتقول هل من مزيد، حتى يضع رب العزة فيها قدمه فينزوي بعضها إلى بعض وتقول قط قط بعزتك وكرمك ولا يزال في الجنة فضل حتى ينشىء اللّٰه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» وفي لفظ مسلم: «يبقى من الجنة ما شاء اللّٰه أن يبقي ثم ينشيء اللّٰه سبحانه لها خلقاً فيسكنهم فضل الجنة» وفي لفظ مسلم «يبقى من الجنة ما شاء اللّٰه أن يبقى مما يشاء» وأما اللفظ الذي وقع في صحيح البخاري في حديث أبي هريرة «وأنه ينشيء للنار من يشاء فيلقي فيها فتقول هل من مزيد» فغلط من بعض الرواة انقلب عليه لفظه والروايات الصحيحة ونص القرآن يرده فإن اللّٰه سبحانه أخبر أنه يملأ جهنم من إبليس وأتباعه فإنه لا يعذب إلا من قامت عليه حجته وكذب رسله قال تعالى ﴿كلما ألقي فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير؟ قالوا بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وقلنا ما نزل الله من شيء﴾ ولا يظلم الله أحداً من خلقه.

(فصل)
في امتناع النوم على أهل الجنة

روى ابن مردويه من حديث سفيان الثوري عن محمد بن المنكدر عن جابر رضي اللَّه عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ : «النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون» (وذكر) الطبراني من حديث يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن المنكدر عن جابر قال: «سئل نبي اللَّه ﷺ فقيل أينام أهل الجنة؟ فقال النبي ﷺ : النوم أخو الموت وأهل الجنة لا ينامون».

(فصل)
في ارتقاء العبد وهو في الجنة من درجة إلى درجة أعلى منها

قال الإمام أحمد ثنا يزيد أنبأنا حماد بن سلمة عن عاصم بن أبي النجود عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي اللَّه عنه قال قال رسول اللَّه ﷺ : «إن اللَّه ليرفع الدرجة للعبد الصالح في الجنة فيقول يا رب أنى لي هذه؟ فيقول باستغفار ولدك لك».

(فصل)
في إلحاق ذرية المؤمن به في الدرجة وإن لم يعملوا عمله

قال تعالى: **﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امريء بما كسب رهين﴾** وروى قيس عن عمرو بن مرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي اللَّه عنهما قال قال رسول اللَّه ﷺ : «إن اللَّه ليرفع ذرية المؤمن إليه في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عينه ثم قرأ **﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء﴾** قال ما نقصنا الآباء مما أعطينا البنين» (وذكر) ابن مردويه في تفسيره من حديث شريك عن سالم الأفطس عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال شريك أظنه حكاه عن النبي ﷺ قال: «إذا دخل الرجل الجنة سأل عن أبويه وزوجته وولده فيقال إنهم لم يبلغوا درجتك أو عملك فيقول يا رب قد عملت لي ولهم فيؤمر بالإلحاق بهم ثم تلا ابن عباس **﴿والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان﴾** إلى آخر الآية، وقد

اختلف المفسرون في الذرية في هذه الآية هل المراد بها الصغار أو الكبار أو النوعان؟ على ثلاثة أقوال واختلافهم مبني على أن قوله بإيمان حال من الذرية التابعين أو المؤمنين المتبوعين فقالت طائفة المعنى والذين آمنوا وأتبعناهم ذرياتهم في إيمانهم فأتوا من الإيمان بمثل ما أتوا به ألحقناهم بهم في الدرجات قالوا ويدل على هذا قراءة من قرأ ﴿واتبعتهم ذريتهم﴾ فجعل الفعل في الاتباع لهم، قالوا وقد أطلق اللّه سبحانه الذرية على الكبار كما قال ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾ وقال ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ وقال ﴿وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون﴾ وهذا قول الكبار العقلاء، (قالوا) ويدل على ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس يرفعه «إن اللّه يرفع ذرية المؤمن إلى درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقرّ بهم عينه» فهذا يدل على أنهم دخلوا بأعمالهم ولكن لم يكن لهم أعمال يبلغوا بها درجة آبائهم فبلغهم إياها وإن تقاصر عملهم عنها (قالوا) وأيضاً فالإيمان هو القول والعمل والنية وهذا إنما يمكن من الكبار وعلى هذا فيكون المعنى أن اللّه سبحانه يجمع ذرية المؤمن إليه إذا أتوا من الإيمان بمثل إيمانه إذ هذه حقيقة التبعية وإن كانوا دونه في الإيمان رفعهم اللّه إلى درجته إقراراً لعينه وتكميلاً لنعيمه وهذا كما أن زوجات النبي ﷺ معه في الدرجة تبعاً وإن لم يبلغوا تلك الدرجة بأعمالهن (وقالت طائفة أخرى) الذرية ههنا الصغار والمعنى والذين آمنوا أو أتبعناهم ذرياتهم في إيمان الآباء والذرية تتبع الآباء وإن كانوا صغاراً في الإيمان وأحكامه من الميراث والدية والصلاة عليهم والدفن في قبور المسلمين وغير ذلك إلا فيما كان من أحكام البالغين ويكون قوله بإيمان على هذا في موضع نصب على الحال من المفعولين أي وأتبعناهم ذرياتهم بإيمان الآباء (قالوا) ويدل على صحة هذا القول أن البالغين لهم حكم أنفسهم في الثواب والعقاب فإنهم مستقلون بأنفسهم ليسوا تابعين الآباء في شيء من أحكام الدنيا ولا أحكام الثواب والعقاب لاستقلالهم بأنفسهم ولو كان المراد بالذرية البالغين لكان أولاد الصحابة البالغون كلهم في درجة آبائهم وتكون أولاد التابعين البالغون كلهم في درجة آبائهم وهلم جرا إلى يوم القيامة فيكون الآخرون في درجة السابقين. (قالوا) ويدل عليه أيضاً أنه سبحانه جعلهم معهم تبعاً في الدرجة كما جعلهم تبعاً معهم في الإيمان ولو كانوا بالغين لم يكن إيمانهم تبعاً بل إيمان استقلال (قالوا) ويدل عليه أن اللّه سبحانه جعل المنازل في الجنة بحسب الأعمال في حق المستقلين وأما الاتباع فإن اللّه سبحانه

يرفعهم إلى درجة أهليهم وإن لم يكن لهم أعمالهم كما تقدم وأيضاً فالحور العين والخدم في درجة أهليهم وإن لم يكن لهم عمل بخلاف المكلفين البالغين فإنهم يرفعون إلى حيث بلغتهم أعمالهم، ؛وقالت فرقة منهم الواحدي) الوجه أن تحمل الذرية على الصغار والكبار لأن الكبير يتبع الأب بإيمان نفسه والصغير يتبع الأب بإيمان الأب * (قالوا) والذرية تقع على الصغير والكبير والواحد والكثير والابن والأب كما قال تعالى ﴿وآية لهم أنا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون﴾ أي آباءهم * والإيمان يقع على الإيمان التبعي وعلى الاختياري الكسبي فمن وقوعه على التبعي قوله ﴿فتحرير رقبة مؤمنة﴾ فلو أعتق صغيراً جاز (قالوا) وأقوال السلف تدل على هذا قال سعيد بن جبير عن ابن عباس إن الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل لتقربهم عيونهم ثم قرأ هذه الآية، وقال ابن مسعود في هذه الآية الرجل يكون له القدم ويكون له الذرية فيدخل الجنة فيرفعون إليه لتقربهم عينه وإن لم يبلغوا ذلك * وقال أبو مجلز يجمعهم الله له كما كان يحب أن يجتمعوا في الدنيا، وقال الشعبي أدخل الله الذرية بعمل الآباء الجنة * وقال الكلبي عن ابن عباس إن كان الآباء أرفع درجة من الأبناء رفع الله الأبناء إلى الآباء * وإن كان الأبناء أرفع درجة من الآباء رفع الله الآباء إلى الأبناء، وقال إبراهيم أعطوا مثل أجور آبائهم ولم ينقص الآباء من أجورهم شيئاً قال ويدل على صحة هذا القول أن القراءتين كالآيتين فمن قرأ ﴿واتبعتهم ذريتهم﴾ فهذا من حق البالغين الذين تصح نسبة الفعل إليهم كما قال تعالى ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار * والذين اتبعوهم بإحسان﴾ ومن قرأ ﴿وأتبعناهم ذرياتهم﴾ فهذا في حق الصغار الذين أتبعهم الله إياهم في الإيمان حكماً فدلت القرآتان على النوعين * قلت واختصاص الذرية ههنا بالصغار أظهر لئلا يلزم استواء المتأخرين والسابقين في الدرجات ولا يلزم مثل هذا في الصغار فإن أطفال كل رجل وذريته معه في درجته والله أعلم.

(فصل)
في أن الجنة تتكلم

قد تقدم قوله ﷺ : «احتجت الجنة والنار» وقوله «قالت الجنة يا رب قد أطردت أنهاري* وطابت ثماري فعجل علي بأهلي» وقال إسماعيل بن أبي خالد

عن سعيد الطائي «أخبرت أن اللّه تعالى لما خلق الجنة قال لها تزيني فتزينت ثم قال لها تكلمي فتكلمت فقالت طوبي لمن رضيت عنه» وقال قتادة «لما خلق اللّه الجنة قال لها تكلمي فقالت طوبي للمتقين» وقال الطبراني حدثنا أحمد بن علي ثنا هشام بن خالد ثنا بقية عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس رضي اللّه عنهما قال قال رسول اللّه ﷺ «لما خلق اللّه جنة عدن خلق فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون».

(فصل)
في أن الجنة تزداد حسناً على الدوام

قال عبد اللّه بن أحمد ثنا خلف بن هشام ثنا خالد بن عبد اللّه عن زيد بن أبي زياد عن عبد اللّه بن الحارث عن كعب قال: «ما نظهر اللّه إلى الجنة إلا قال طيبي لأهلك فتزداد ضعفاً حتى يدخلها أهلها».

(فصل)
في أن الحور العين يطلبن أزواجهن أكثر مما يطلبهن أزواجهن

كما تقدم حديث معاذ بن جبل في ذلك * وقول الحوراء لامرأته في الدنيا لا تؤذيه فيوشك أن يفارقك إلينا * وحديث عكرمة عن النبي ﷺ في قول الحور العين اللهم أعنه على دينك وأقبل بقلبه على طاعتك، وذكر ابن أبي الدنيا عن أبي سليمان الداراني قال: كان شاب بالعراق يتعبد فخرج مع رفيق له إلى مكة فكان إن نزلوا فهو يصلي وإن أكلوا فهو صائم، فصبر عليه رفيقه ذاهباً وجائياً فلما أراد أن يفارقه قال له يا أخي أخبرني ما الذي هيجك إلى ما رأيت؟ قال رأيت في النوم قصراً من قصور الجنة وإذا لبنة من فضة ولبنة من ذهب فلما تم البناء إذا شرافة من زبرجدة وشرافة من ياقوت وبينهما حوراء من حور العين مرخية شعرها عليها ثوب من فضة ينثني معها كلما تثنت، فقالت جد إلى اللّه في طلبي فقد واللّه جددت إليه في طلبك فهذا الذي تراه في طلبها. قال أبو سليمان هذا في طلب حوراء فكيف بمن قد طلب ما هو أكثر منها.

(فصل)

في ذبح الموت بين الجنة والنار

قـال اللّه تعـالى ﴿وانـذرهم يـوم الحسـرة إذ قضي الأمـر في غفلة وهم لا يـؤمنون﴾ وعن أبي سعيد الخدري رضي اللّه عنه قـال قال رسـول اللّه ﷺ: «يجاء بالموت كأنه كبش أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال يا أهل الجنة هل تعرفون هذا؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت ثم يقال يا أهل النـار هل تعـرفون هـذا فيشرئبون وينظرون ويقولون نعم هذا الموت، قال فيؤمر به فيذبح، قال ثم يقال يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت ثم قرأ رسول اللّه ﷺ ﴿وأنذرهم يـوم الحسـرة إذ قضي الأمـر وهم في غفلة وهم لا يؤمنـون﴾ متفق عليـه * وفي الصحيحين أيضاً من حديث ابن عمر رضي اللّه عنهما أن رسول اللّه ﷺ قال: «يدخل أهل الجنة الجنة ويدخل أهل النار النار ثم يقوم مؤذن بينهم فيقول يـا أهل الجنـة لا موت ويا أهل النار لا موت كل خالد فيما هو فيه» * وعنه قال قال رسول اللّه ﷺ: «إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وصـار النار إلى النـار أتى بالمـوت حتى يجعل بين النـار والجنة ثم ينادى مناد يا أهل الجنة لا موت ويا أهل النار لا موت فيزداد أهل الجنة فرحاً ويزداد أهل النار حزناً إلى جهنم» وعن أبي هريـرة رضي اللّه عنه أن رسـول اللّه ﷺ قال: «إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار أتى بالموت ملبياً فيوقف على السور الذي بين أهل الجنة وأهل النار ثم يقال يا أهل الجنة فيطلعون خائفين ثم يقال يا أهل النار فيطلعون مبشرين يرجون الشفاعة فيقال لأهل الجنة وأهل النار هل تعرفون هذا؟ فيقول هؤلاء وهؤلاء قد عرفناه هو الموت الـذي وكل بنـا فيضجع فيـذبح ذبحـاً على السور ثم يقال يا أهل الجنة خلود لا موت، ويا أهل النار خلود لا موت» رواه النسائي والترمذي وقال حديث حسن صحيح وهذا الكبش والاضجاع والذبح ومعاينة الفريقين ذلك حقيقة لا خيال ولا تمثيل كمـا أخطأ فيـه بعض الناس خـطأ قبيحاً وقـال الموت عرض والعرض لا يتجسم فضلاً عن أن يذبح وهذا لا يصح فإن اللّه سبحانه ينشيء من الموت صورة كبش يذبح كما ينشيء من الأعمال صوراً معاينة يثاب بهـا ويعاقب واللّه تعالى ينشيء من الأعراض أجساماً تكون الأعراض مادة لها وينشيء من الأجسام أعراضاً كما ينشيء سبحانـه من الأعراض أعـراضاً ومن الأجسـام أجسامـاً فالأقسـام

الأربعة ممكنة مقدورة للرب تعالى ولا يستلزم جمعاً بين النقيضين ولا شيئاً من المحال ولا حاجة إلى تكلف من قال أن الذبح لملك الموت فهذا كله من الاستدراك الفاسد على اللَّه ورسوله والتأويل الباطل الذي لا يوجبه عقل ولا نقل وسببه قلة الفهم لمراد الرسول ﷺ من كلامه فظن هذا القائل أن لفظ الحديث يدل على أن نفس العرض يذبح وظن غالط آخر أن العرض يعدم ويزول ويصير مكانه جسم يذبح ولم يهتد الفريقان إلى هذا القول الذي ذكرناه وأن اللَّه سبحانه ينشيء من الأعراض أجساماً ويجعلها مادة لها كما في الصحيح عنه ﷺ «تجيء البقرة وآل عمران يوم القيامة كأنهما غمامتان» الحديث فهذه هي القراءة التي ينشئها الله سبحانه غمامتين وكذلك قوله في الحديث الآخر «إن ما تذكرون من جلال اللَّه من تسبيحه وتحميده وتهليله يتعاطفن حول العرش لهن دوي كدوي النحل يذكرن بصاحبهن» ذكره أحمد وكذلك قوله في حديث عذاب القبر ونعيمه للصورة التي يراها «فيقول من أنت فيقول أنا عملك الصالح وأنا عملك السيء» وهذا حقيقة لا خيال ولكن اللَّه سبحانه أنشأ له من عمله صورة حسنة وصورة قبيحة وهل النور الذي يقسم بين المؤمنين يوم القيامة إلا نفس إيمانهم أنشأ اللَّه سبحانه لهم منه نوراً يسعى بين أيديهم فهذا أمر معقول لو لم يرد به النص فورود النص به من باب تطابق السمع والعقل (وقال) سعيد عن قتادة بلغنا أن نبي اللَّه ﷺ قال: «إن المؤمن إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة حسنة وبشارة حسنة فيقول له من أنت فواللَّه أني لأراك أمرأ الصدق فيقول له أنا عملك فيكون له نوراً وقائداً إلى الجنة. وأما الكافر إذا خرج من قبره صور له عمله في صورة سيئة وبشارة سيئة فيقول ما أنت فواللَّه إني لأراك امرأ السوء فيقول له أنا عملك فينطلق به حتى يدخله النار» وقال مجاهد مثل ذلك وقال ابن جريج يمثل له عمله في صورة حسنة وريح طيبة يعارض صاحبه ويبشره بكل خير فيقول له من أنت فيقول أنا عملك فيجعل له نوراً بين يديه حتى يدخله الجنة فذلك قوله ﴿يهديهم ربهم بإيمانهم﴾ والكافر يمثل له عمله في صورة سيئة وريح منتنة فيلازم صاحبه ويلاده حتى يقذفه في النار، وقال ابن المبارك ثنا المبارك بن فضالة عن الحسن أنه ذكر هذه الآية ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ قال علموا أن لك نعيم بعده الموت أنه يقطعه فقالوا أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين قيل لا، قالوا أن هذا لهو الفوز العظيم وكان يزيد الرقاشي يقول في كلامه أمن أهل الجنة من الموت

فطاب لهم العيش وأمنوا من الأسقام فهناهم في جوار اللّه طول المقام ثم يبكي حتى تجري دموعه على لحيته.

(فصل)
في ارتفاع العبادات في الجنة إلا عبادة الذكر فإنها دائمة

(روى) مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد اللّه رضي اللّه عنهما أن النبي ﷺ قال: «يأكل أهل الجنة فيها ويشربون ولا يتمخطون ولا يتغوطون ولا يبولون ويكون طعامهم ذلك جشاء ورشحا كرشح المسك يلهمون التسبيح والحمد كما يلهمون النفس» وفي رواية «التسبيح والتكبير كما تلهمون» بالتاء المثناة من فوق أي تسبيحهم وتحميدهم يجري مع الأنفاس كما تلهمون أنتم النفس.

(فصل)
في تذاكر أهل الجنة ما كان بينهم في دار الدنيا

قال اللّه تعالى ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قال قائل منهم أني كان لي قرين﴾ الآيات وقد تقدم الكلام عليها وقال تعالى ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين فمن اللّه علينا ووقانا عذاب السموم﴾ وذكر ابن أبي الدنيا من حديث الربيع بن صبيح عن الحسن عن أنس يرفعه: «إذا دخل أهل الجنة الجنة فيشتاق الأخوان بعضهم إلى بعض فيسير سرير هذا إلى سرير هذا وسرير هذا إلى سرير هذا حتى يجتمعا جميعاً فيتكيء هذا ويتكيء هذا فيقول أحدهما لصاحبه تعلم متى غفر اللّه لنا؟ فيقول صاحبه نعم يوم كذا وكذا في موضع كذا وكذا فدعونا اللّه فغفر لنا وإذا تذاكروا ما كان بينهم فتذاكرهم فيما كان يشكل عليهم في الدنيا من مسائل العلم وفهم القرآن والسنة وصحة الأحاديث أولى وأحرى فإن المذاكرة في الدنيا في ذلك ألذ من الطعام والشراب والجماع فتذاكر ذلك في الجنة أعظم لذة وهذه لذة يختص بها أهل العلم ويتميزون بها على من عداهم.

الباب السبعون
في ذكر من يستحق هذه البشارة دون غيره

قال اللّه تعالى ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها﴾ وقال تعالى ﴿ألا إن أولياء اللّه لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات اللّه ذلك هو الفوز العظيم﴾ وقال تعالى ﴿إن الذين قالوا ربنا اللّه ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة أن لا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾ وقال تعالى ﴿فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم اللّه وأولئك هم أولوا الألباب﴾ وقال تعالى ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل اللّه بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند اللّه وأولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن اللّه عنده أجر عظيم﴾ وقال تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات في روضات الجنات لهم ما يشاؤن عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ذلك الذي يبشر اللّه عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ وقال تعالى ﴿إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم﴾ وقال تعالى ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى اللّه بإذنه وسراجاً منيراً وبشر المؤمنين بأن لهم من اللّه فضلاً كبيراً﴾ وقال تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل اللّه أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم اللّه من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم أن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من اللّه وفضل وأن اللّه لا يضيع أجر المؤمنين﴾ وقال تعالى ﴿إن اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل اللّه فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من اللّه؟ فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ وقال تعالى ﴿ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا للّه وإنا إليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون﴾ وقال تعالى ﴿وأخرى تحبونها نصر من اللّه وفتح قريب وبشر المؤمنين﴾ وقال في الجنة ﴿أعدت للمتقين﴾ وقال ﴿أعدت للذين آمنوا باللّه ورسله﴾ وقال ﴿إن الذين آمنوا

وعملوا الصالحات كانت لهم جنة الفردوس نزلاً﴾ وقال تعالى ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ إلى قوله ﴿أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾ وفي المسند وغيره أن النبي ﷺ قال: «قد أنزلت على عشر آيات من أقامهن دخل الجنة ثم تلا قد أفلح المؤمنون حتى ختم العشر آيات» وقال تعالى ﴿إن المسلمين والمسلمات﴾ إلى قوله ﴿أعد الله لهم مغفرة وأجراً عظيماً﴾ وقال تعالى ﴿التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين﴾ وقال تعالى ﴿تلك الجنة نورث من عبادنا من كان تقياً﴾ وقال تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين﴾ وقال تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ إلى قوله ﴿وبشر المؤمنون﴾ وقال تعالى ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ وقال تعالى ﴿وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى﴾ وهذا في القرآن كثير مقداره على ثلاث قواعد إيمان وتقوى وعمل خالص لله على موافقة السنة فأهل هذه الأصول الثلاثة هم أهل البشرى دون من عداهم من سائر الخلق وعليها دارت بشارات القرآن والسنة جميعها وهي تجتمع في أصلين إخلاص في طاعة الله وإحسان إلى خلقه وضدها يجتمع في الذين يراءون ويمنعون الماعون وترجع إلى خصلة واحدة وهي موافقة الرب تبارك وتعالى في محابه ولا طريق إلى ذلك إلا بتحقيق القدوة ظاهراً وباطناً برسول الله ﷺ وأما الأعمال التي هي تفاصيل هذا الأصل فهي بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق وبين هاتين الشعبتين سائر الشعب التي مرجعها تصديق الرسول في كل ما أخبر به وطاعته في جميع ما أمر به إيجاباً واستحباباً كالإيمان بأسماء الرب وصفاته وأفعاله وآياته من غير تحريف لها ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل كما قال الشافعي رحمه الله: الحمد لله الذي هو كما وصف به نفسه وفوق ما يصف به خلقه،

وكأنه أخذ هذا من قول النبي ﷺ: «اللهم لك الحمد كالذي تقول وخيراً مما تقول» وقد ذكرنا في أول الكتاب جملة مقالات أهل السنة والحديث التي أجمعوا عليها كما حكاه الأشعري عنهم ونحن نحكي إجماعهم كما حكاه حرب صاحب الإمام أحمد عنهم بلفظه، قال في مسائله المشهورة هذه مذاهب أهل العلم وأصحاب الأثر وأهل السنة المتمسكين بها المقتدى بهم فيها من لدن أصحاب النبي ﷺ إلى يومنا هذا وأدركت من أدركت من علماء أهل الحجاز والشام وغيرهم عليها فمن خالف شيئاً من هذه المذاهب أو طعن فيها أو عاب قائلها فهو مخالف مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة وسبيل الحق قال وهو مذهب أحمد واسحاق بن إبراهيم وعبد الله بن مخلد وعبد الله بن الزبير الحميدي وسعيد بن منصور وغيرهم ممن جالسنا وأخذنا عنهم العلم، وكان من قولهم أن الإيمان يزيد وينقص * ويستثنى من الإيمان غير أن لا يكون الاستثناء شكاً إنما هي سنة ماضية عند العلماء فإذا سئل الرجل أمؤمن أنت فإنه يقول أنا مؤمن إن شاء الله * أو مؤمن أرجوا، ويقول آمنت بالله وملائكته وكتبه ورسله، ومن زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجيء * ومن زعم أن الإيمان هو القول والأعمال شرائع فهو مرجيء، ومن زعم أن الإيمان يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئة ومن لم ير الاستثناء في الإيمان فهو مرجيء * ومن زعم أن إيمانه كإيمان جبريل والملائكة فهو مرجيء * ومن زعم أن المعرفة في القلب وإن لم يتكلم بها فهو مرجيء * والقدر خيره وشره وقليله وكثيره وظاهره وباطنه وحلوه ومره ومحبوبه ومكروهه وحسنه وسيئه وأوله وآخره من الله عز وجل قضاء قضاه على عباده. وقدر قدره عليهم لا يعدو واحد، منهم مشيئة الله ولا يجاوزه قضاه بل هم كلهم صائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدر عليه وهو عدل منه جل ربنا وعز، والزنا والسرقة وشرب الخمر وقتل النفس وأكل المال الحرام والشرك والمعاصي كلها بقضاء الله من غير أن يكون لأحد من خلقه على الله حجة بل لله الحجة البالغة على خلقه، لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون، وعلم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه فهو سبحانه قد علم من إبليس ومن غيره ممن عصاه من لدن عصى الله تبارك وتعالى إلى قيام الساعة المعصية وخلقهم لها، وعلم الطاعة من أهل الطاعة وخلقهم لها، فكل يعمل لما خلق له وصائر إلى ما قضى عليه لا يعدو أحد منهم قدر الله ومشيئته، والله الفعال لما يريد،

ومن زعم أن الله سبحانه وتعالى شاء لعباده الذين عصوه وتكبروا الخير والطاعة وأن العباد شاءوا لأنفسهم الشر والمعصية فعملوا على مشيئتهم فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئةالله تعالى، وأي افتراء على الله أكبر من هذا؟ ومن زعم أن الزنا ليس بقدر قيل له أرأيت هذه المرأة حملت من الزنا وجاءت بولد هل شاء اللّه عز وجل أن يخلق هذا الولد وهل مضى في سابق علمه؟ فإن قال لا فقد زعم أن مع اللّه خالقاً وهذا الشرك صراحاً، ومن زعم أن السرقة وشرب الخمر وأكل المال الحرام ليس بقضاء وقدر فقد زعم أن هذا الإنسان قادر على أن يأكل رزق غيره وهذا صراح قول المجوسية بل أكل رزقه الذي قضى اللّه أن يأكله من الوجه الذي أكله، ومن زعم أن قتل النفس ليس بمقدر من اللّه عز وجل فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، وأي كفر أوضح من هذا؟ بل ذلك بقضاء اللّه عز وجل وذلك عدل منه في خلقه وتدبيره فيهم وما جرى من سابق علمه فيهم وهو العدل الحق الذي يفعل ما يريد ومن أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة على الصغر والقماءة * ولا نشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله ولا لكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء في حديث ولا بنص الشهادة ولا نشهد لأحد أنه في الجنة بصالح عمله ولا لخير أتاه إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء على ما روى ولا بنص الشهادة والخلافة في قريش ما بقي من الناس اثنان وليس لأحد من الناس أن ينازعهم فيها ولا نخرج عليهم ولا نقر لغيرهم بها إلى قيام الساعة، والجهاد، ماض قائم مع الأئمة بروا أو فجروا لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل، والجمعة والعيدان والحج مع السلطان وإن لم يكونوا بررة عدولا أتقياء، ودفع الصدقات والخراج والأعشار والفيء والغنائم إليهم عدلوا فيها أو جاروا والانقياد لمن ولاه اللّه عز وجل أمركم لا تنزع يداً من طاعته ولا تخرج عليه بسيف حتى يجعل الله لك فرجاً ومخرجاً، ولا تخرج على السلطان وتسمع وتطيع ولا تنكث بيعته فمن فعل ذلك فهو مبتدع مخالف مفارق للجماعة، وإن أمرك السلطان بأمر فيه للّه معصية فليس لك أن تطيعه البتة وليس لك أن تخرج عليه ولا تمنعه حقه والإمساك في الفتنة سنة ماضية واجب احترامها، فإن ابتليت فقدم نفسك دون دينك، ولا تعن على الفتنة بيد ولا لسان ولكن أكفف لسانك ويدك وهواك * واللّه المعين * والكف عن أهل القبلة فلا تكفر أحداً منهم بذنب، ولا تخرجه عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث كما جاء، وما روى فتصدقه وتقبله وتعلم أنه كما

روى نحو كفر من يستحل نحو ترك الصلاة وشرب الخمر وما أشبه ذلك أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج من الإسلام فاتبع ذلك ولا تجاوزه * والأعور الدجال خارج لا شك في ذلك ولا ارتياب وهو أكذب الكاذبين، وعذاب القبر حق يسأل العبد عن دينه وعن ربه وعن الجنة وعن النار * ومنكر ونكير حق وهما فتانا القبر نسأل اللّه الثبات * وحوض محمد ﷺ حق، حوض ترده أمته ولهم آنية يشربون بها منه، والصراط حق يوضع على سواءَ جهنم ويمر الناس عليه والجنة من وراء ذلك والميزان حق يوزن به الحسنات والسيئات كما شاء اللّه أن يوزن * والصور حق ينفخ فيه إسرافيل فتموت الخلق ثم ينفخ فيه الأخرى فيقومون لرب العالمين للحساب وفصل القضاء والثواب والعقاب * والجنة والنار * واللوح المحفوظ يستنسخ منه أعمال العباد لما سبق فيه من التقادير والقضاء * والقلم حق كتب اللّه به مقادير كل شيء وأحصاه في الذكر، والشفاعة يوم القيامة حق، يشفع قوم في قوم فلا يصيرون إلى النار * ويخرج قوم من النار بعد ما دخلوها ولبثوا فيها ما شاء اللّه ثم يخرجهم من النار، وقوم يخلدون فيها أبداً وهم الشرك والتكذيب والجحود والكفر باللّه عز وجل، ويذبح الموت يوم القيامة بين الجنة والنار، وقد خلقت الجنة وما فيها وخلقت النار وما فيها خلقهما اللّه عز وجل وخلق الخلق لهما ولا يفنيان ولا يفنى ما فيهما أبداً فإذا احتج مبتدع أو زنديق بقول اللّه عز وجل ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ وبنحو هذا من متشابه القرآن قيل له كل شيء مما كتب الله عليه الفناء والهلاك هالك والجنة والنار خلقهما للبقاء لا للفناء ولا للهلاك وهما من الآخرة لا من الدنيا والحور العين لا يمتن عند قيام الساعة ولا عند النفخة ولا أبداً لأن اللّه عز وجل خلقهن للبقاء لا للفناء ولم يكتب عليهن الموت، فمن قال خلاف هذا فهو مبتدع ضل عن سواء السبيل، وخلق سبع سموات بعضها فوق بعض، وسبع أرضين بعضها أسفل من بعض، وبين الأرض العليا والسماء الدنيا مسيرة خمس مائة عام وبين كل سماء مسيرة خمسمائة عام، والماء فوق السماء العليا السابعة وعرش الرحمن عز وجل فوق الماء والله عز وجل على العرش والكرسي موضع قدميه وهو يعلم ما في السموات والأرضين وما بينهما وما تحت الثرى، وما في قعر البحر ومنبت كل شعرة وشجرة وكل زرع وكل نبات * ومسقط كل ورقة وعدد كل كلمة وعدد الرمل والحصى والتراب ومثاقيل الجبال، وأعمال العباد وآثارهم وكلامهم وأنفاسهم ويعلم كل شيء، ولا يخفى عليه

من ذلك شيء، وهو على العرش فوق السماء السابعة ودونه حجب من نار ونور وظلمة وما هو أعلم به فإن احتج مبتدع أو مخالف بقول الله عز وجل ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾؛ وقوله تعالى ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا﴾ ونحو هذا من متشابه القرآن فقل إنما يعني بذلك العلم أن اللّه عز وجل على العرش فوق السماء السابعة العليا يعلم ذلك كله وهو بائن من خلقه لا يخلو من علمه مكان * ولله عز وجل عرش وللعرش حملة يحملونه والله عز وجل مستو على عرشه وليس له حد * والله عز وجل سميع لا يشك، بصير لا يرتاب، عليم لا يجهل، جواد لا يبخل، حليم لا يعجل، حفيظ لا ينسى، ولا يسهو، قريب لا يغفل ويتكلم وينظر ويبسط ويضحك ويفرح، ويحب ويكره ويبغض، ويرضى ويغضب ويسخط ويرحم، ويعفو ويغفر، ويعطي ويمنع، وينزل كل ليلة إلى السماء الدنيا كيف شاء ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، وقلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ويوعيها ما أراد، وخلق آدم بيده على صورته، والسموات والأرض يوم القيامة في كفه، ويضع قدمه في النار فتنزوي ويخرج قوماً من النار بيده، وينظر إلى وجهه أهل الجنة يرونه فيكرمهم ويتجلى لهم وتعرض عليه العباد يوم القيامة ويتولى حسابهم بنفسه ولا يلي ذلك غيره عز وجل، والقرآن كلام اللّه الذي تكلم به ليس بمخلوق فمن زعم أن القرآن مخلوق فهو جهمي كافر، ومن زعم أن القرآن كلام الله ووقف ولم يقل ليس بمخلوق فهو أخبث من القول الأول، ومن زعم أن ألفاظنا وتلاوتنا مخلوقة والقرآن كلام الله فهو جهمي، وكلم الله موسى تكليماً منه إليه، وناوله التوراة من يده إلى يده، ولم يزل الله عز وجل متكلماً، والرؤيا من الله وهي حق إذا رأى صاحبها في منامه ما ليس ضغثاً فقصها على عالم وصدق فيها فأولها العالم على أصل تأويلها الصحيح ولم يحرف فالرؤيا تأويلها حينئذ حق وقد كانت الرؤيا من الأنبياء وحيا فأي جاهل أجهل ممن يطعن في الرؤيا ويزعم أنها ليست بشيء؟ وبلغني أن من قال هذا القول لا يرى الاغتسال من الاحتلام، وقد روي عن النبي ﷺ: «إن رؤيا المؤمن كلام يكلم به الرب عبده» وقال: «إن الرؤيا من الله» وذكر محاسن أصحاب رسول الله ﷺ كلهم والكف عن ذكر مساويهم التي شجرت بينهم فمن سب أصحاب رسول الله ﷺ أو واحداً منهم أو نقصه أو طعن عليه أو عرض بعيبهم أو عاب أحداً منهم فهو مبتدع رافضي خبيث

مخالف لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً، بل حبهم سنة والدعاء لهم قربة والاقتداء بهم وسيلة والأخذ بآثارهم فضيلة وخير الأمة بعد النبي ﷺ أبو بكر وعمر بعد أبي بكر وعثمان بعد عمر وعلي بعد عثمان ووقف قوم على عثمان، وهم خلفاء راشدون مهديون ثم أصحاب رسول الله ﷺ بعد هؤلاء الأربعة خير الناس، لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساويهم ولا أن يطعن على واحد منهم بعيب ولا نقص فمن فعل ذلك فقد وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه بل يعاقبه ويستتيبه فإن تاب قبل منه وإن لم يتب أعاد عليه العقوبة وخلده في الحبس حتى يموت أو يرجع. ونعرف للعرب حقها وفضلها وسابقتها ونحبهم لحديث رسول الله ﷺ فإن حبهم إيمان وبغضهم نفاق ولا نقول بقول الشعوبية وأراذل الموالي الذين لا يحبون العرب ولا يقرون لهم بفضل فإن قولهم بدعة، ومن حرم المكاسب والتجارات وطلب المال من وجهه فقد جهل وأخطأ وخالف بل المكاسب من وجوهها حلال قد أحلها الله عز وجل ورسوله فالرجل ينبغي له أن يسعى على نفسه وعياله من فضل ربه فإن ترك ذلك على أنه لا يرى الكسب فهو مخالف، والدين إنما هو كتاب الله عز وجل وآثار وسنن وروايات صحاح عن الثقات بالأخبار الصحيحة القوية المعروفة يصدق بعضها بعضاً حتى ينتهي ذلك إلى رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم والتابعين وتابعي التابعين ومن بعدهم من الأئمة المعروفين المقتدى بهم المتمسكين بالسنة والمتعلقين بالآثار ولا يعرفون ببدعة ولا يطعن فيهم بكذب ولا يرمون بخلاف إلى أن قال فهذه الأقاويل التي وصفت مذاهب أهل السنة والجماعة والأثر وأصحاب الروايات وحملة العلم الذين أدركناهم وأخذنا عنهم الحديث وتعلمنا منهم السنن وكانوا أئمة معروفين ثقات أهل صدق وأمانة يقتدى بهم ويؤخذ عنهم ولم يكونوا أهل بدعة ولا خلاف ولا تخليط وهو قول أئمتهم وعلمائهم الذين كانوا قبلهم فتمسكوا بذلك وتعلموه وعلموه * قلت حرب هذا صاحب أحمد وإسحاق وله عنهما مسائل جليلة وأخذ عن سعيد بن منصور وعبد الله بن الزبير الحميدي وهذه الطبقة وقد حكى هذه المذاهب عنهم واتفاقهم عليها * ومن تأمل المنقول عن هؤلاء وأضعاف أضعافهم من أئمة السنة والحديث وجده مطابقاً لما نقله حرب ولو تتبعناه لكان بمقدار هذا الكتاب مراراً وقد جمعت منه في مسئلة علو الرب تعالى على خلقه واستوائه على عرشه وحدها سفراً متوسطاً فهذا مذهب المستحقين لهذه البشرى

قولاً وعملاً واعتقاداً وبالله التوفيق .

(فصل)

ونختم الكتاب بما ابتدأنا به أولاً وهو خاتمه دعوى أهل الجنة

قال تعالى ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بإيمانهم تجري من تحتهم الأنهار في جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن الحمد للّه رب العالمين﴾ قال حجاج عن ابن جريج أخبرت أن قوله دعواهم فيها سبحانك اللهم قال إذا مر بهم الطير ليشتهونه قالوا سبحانك اللهم وذلك دعواهم فيأتيهم الملك بما اشتهوا فيسلم عليهم فيردون عليه فذلك قوله تعالى وتحيتهم فيها سلام، قال فإذا أكلوا حمدوا اللّه ربهم فذلك قوله تعالى وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين (قال سعيد) عن قتادة قوله تعالى دعواهم فيها سبحانك اللهم يقول ذلك دعاؤهم فيها وتحيتهم فيها سلام (وقال) الأشجعي سمعت سفيان الثوري يقول إذا أرادوا الشيء قالوا سبحانك اللهم فيأتيهم ما دعوا به ومعنى هذه الكلمة تنزيه الرب تعالى وتعظيمه وإجلاله عما لا يليق به (وذكر) سفيان عن عبد الله بن موهب سمعت موسى بن طلحة قال: «سئل رسول الله ﷺ عن سبحان الله فقال تنزيه الله عن السوء» وسأل ابن الكواء علياً عنها فقال كلمة رضيها الله تعالى لنفسه وقال حفص بن سليمان بن طلحة بن يحيى بن طلحة عن أبيه عن طلحة بن عبيد الله قال: «سألت رسول الله ﷺ عن تفسير سبحان الله فقال هو تنزيه الله عن كل سوء» فأخبر الله تعالى عن أول دعواهم إذا استدعوا شيئاً قالوا سبحان الله وعن آخر دعواهم عندما يحصل لهم وهو قولهم الحمد للّه رب العالمين ومعنى الآية أعم من هذا والدعوى مثل الدعاء والدعاء يراد به الثناء ويراد به المسئلة وفي الحديث أفضل الدعاء الحمد للّه رب العالمين فهذا دعاء ثناء وذكر يلهمه الله أهل الجنة فأخبر سبحانه عن أوله وآخره فأوله تسبيح وآخره حمد يلهمونهما كما يلهمون النفس * وفي هذا إشارة إلى أن التكليف في الجنة يسقط عنهم ولا تبقى عبادتهم إلا هذه الدعوى التي

يلهمونها، وفي لفظة اللهم إشارة إلى صريح الدعاء فأنها متضمنة لمعنى يا اللّٰه فهي متضمنة للسؤال والثناء وهذا هو الذي فهمه من قال إذا أرادوا الشيء قالوا سبحانك اللهم فذكروا بعض المعنى ولم يستوفوه مع أنهم قصروا به، فإنهم أوهموا أنهم إنما يقولون ذلك عندما يريدون الشيء، وليس في الآية ما يدل على ذلك، بل يدل على أن أول دعائهم التسبيح وآخره الحمد وقد دل الحديث الصحيح على أنهم يلهمون ذلك كما يلهمون النفس فلا تختص الدعوى المذكورة بوقت إرادة الشيء وهذا كما أنه لا يليق بمعنى الآية فهو لا يليق بحالهم والله تعالى أعلم بالصواب.

فهـــرس

الموضوع	الصفحة